"عن مصر التى غيرت نظرتى لها"

چوڤانَّا لوكَّاتيلّي
Giovanna Loccatelli

يوميات صحفية إيطالية

ترجمة: إسلام فوزي

العربي
للنشر والتوزيع

يوميات صحفية إيطالية
چوڤانّا لوكّاتيلّي

يوميات صحفية إيطالية
چوڤانّا لوكّاتيلّي
Giovanna Loccatelli

ترجمة: إسلام فوزي
تصحيح: عبد العزيز البديوي

الطبعة الأولى : 2015
رقم الإيداع: 2014/23732

الغلاف: محمد السيد
60 شارع القصر العيني - 11451 - القاهرة
ت 27921943 - 27954529 فاكس 27947566
www.alarabipublishing.com.eg

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

يوميات صحفية إيطالية

چوڤانَّا لوكَّاتيلّي

ترجمة: إسلام فوزي

بطاقة فهرسة
لوكّاتيلّي، چوڤانّا
يوميات صحفية إيطالية: چوڤانّا لوكّاتيلّي؛ ترجمة إسلام فوزي .– اط
ا . - القاهرة: العربي للنشر والتوزيع 2014
- ص؛ سم.
1- لوكّاتيلّي، چوڤانّا - المذكرات أ- فوزي، إسلام (مترجم)
2- مصر –تاريخ - الثورات ب- العنوان 920

كلمة شكر

أول كلمة شكر في هذا الكتاب أتوجه بها بالتأكيد لـصديقي لاديزلاف أوتاكار سكاكال الذي أشار علي وقال لي يومًا: "حاولي أن تتواصلي مع دار نشر العربي؛ فأنا تعرفت على الناشر شريف بكر، وهو شخص ممتاز، وأنا متأكد أنه سيقدر مشروعك". وبالفعل كان هذا ما حدث. ودون المساعدة القيمة من جانب لاديزلاف، لما كنت هنا الآن أكتب كلمات الشكر هذه. وبالطبع أوجه كلمة شكر خاصة لشريف بكر، مدير دار نشر العربي، وهو الذي آمن بي وبكتابي؛ فأعطاني الفرصة لنشره. وأشكر إسلام فوزي الذي عمل على ترجمة الكتاب من الإيطالية إلى العربية باهتمام ودقة واحترافية. وكثير من المقابلات التي أجريتها في الكتاب يعود الفضل فيها لأشرف حنا – الذي نطلق عليه في لغة الصحافة "فيكسر" – الشخص الثقة الذي اصطحبني في كل مغامراتي الصحفية تقريبًا، وقام بالترجمة لي في تلك المقابلات الصحفية وقدمني وسهل لي الدخول لأماكن لما كانت لتدخلها امرأة غربية بمفردها. ومع أشرف حدث الكثير من الجدال والمناوشات، ولكن يمكنني القول بكل فخر عندما أنظر خلفي: إننا قمنا معًا بعمل ممتاز. وفي النهاية – وهذا ليس بترتيب الأهمية – أشكر دومينكو ألونسي الذي ساندني طوال هذه الرحلة وقبلها أيضًا. أشكر أبي وأمي اللذين آمنا بي وعانا كثيرًا في صمت من القلق علي وهما يعرفان جيدًا أني كنت في الصفوف الأولى أثناء الثورات المصرية. وأريد أيضًا أن أشكر نفسي؛ فقد كافحت بعناد وإصرار كي يتحقق هذا المشروع.

أنا صحفية حرة نشرت كل هذه القصص في العديد من الجرائد الإيطالية والأجنبية؛ وفي الحقيقة تولدت فكرة الكتاب من رغبتي في عدم إهدار كل هذا العمل الذي كنت قد قمت به في مصر منذ 2011 حتى اليوم. كنت أريد وضع كل هذه القصص التي كتبتها في نصٍ واحد. وكما يعرف شريف بكر جيدًا – لأننا تحدثنا عن ذلك مرات عديدة – كانت رغبتي ملحة في أن يخرج هذا الكتاب أولًا بالعربية للجمهور المصري. فمن الأولى أن يستطيع المصريون قراءة العمل الذي قمت به، وربما يجدون فيه بعض النقاط المهمة التي تعطيهم تأملات حول ما حدث وما يحدث في مصر: ذلك البلد الشاسع المليء بالمتناقضات.

أحب القاهرة. هذه المدينة منحتني الكثير، وساعدتني على النضج على المستوى الشخصي وعلى المستوى العملي. ولا أعرف إلى أين سأصل بمشواري في العمل، ولكن لمصر دائمًا في الحاضر والمستقبل مكان خاص في عملي وذكرياتي الجميلة منها والعصيبة.

وصولي إلى مصر

عندما وصلت إلى القاهرة للمرة الأولى عام 2011 كان معي حقيبتين: إحداهما فيها أغراضي الشخصية، والأخرى في خيالي تحمل الأحكام المسبقة والأفكار الشائعة التي يأتي بها الأجنبي عند زيارته لبلد جديد، حتى وإن لم يكن يرغب في ذلك.

أصبحت إقامتي التي كانت مرتبطة بتغطيتي لأحداث الثورة باعتباري صحفية أطول من المتوقع بمرور الوقت وتوالي الأحداث. فاليوم أعيش في القاهرة، وقد مرت أربعة أعوام. وعندما أعود بذاكرتي للوراء أرى أنه من الضروري أن أحكي عن هذا الشعب الذي يختلف عما كنت أتصور في بداية رحلتي.

وقد قمت بكتابة هذا الكتاب بأسلوب صحفي وليس بأسلوب أكاديمي، وذكرت فيه الأشخاص الذين قابلتهم، والقصص التي سمعتها وعايشتها، والأجواء التي تنفستها في هذه الأعوام الأخيرة. إن عملي صحفية على الأرض كان ميزة بالنسبة لي؛ حيث مكنني من اكتشاف الاختلافات التي تتعايش معًا في القاهرة هذه المدينة الكبيرة والضخمة، فاكتشفت وقائع قد تبدو أحيانًا غير معروفة للمصريين أنفسهم.

وقد بدت لي مصر منذ الوهلة الأولى بلدًا لا ترتبط بزمن معين، مليئة بمتناقضات قوية وصارخة. لها واقع معقد مصنوع من أنسجة متعددة ودقيقة، ولعل الطريقة الوحيدة لفهم هذه البلد هي أن نجمع كل أجزاء لعبة

'البازل' وأن نشاهد النتيجة النهائية من وجهات نظر متعددة واتجاهات مختلفة. والأصداء التي سنراها في الصفحات القادمة ما هي إلا تجارب حياتية خاصة تمتزج بشكل لا يمكن التغاضي عنه بأحداث عامة مُهمة ومؤثرة دائمًا وغالبًا ما تكون حاسمة؛ إنها قصص شخصية، لكنها تتحدث إلى الجميع وعن الجميع، وكل واحدة من تلك القصص لها نظرة مختلفة غالبًا ما تكون معارضة للأخرى، فتستبدل الوقائع بمقطوعات مشتتة. إنها كلمات مطلقة ولكن غير نهائية على الإطلاق، أحب أن أطلق عليها أصوات مصر. وفي الصفحات التالية تظل الثورة في الخلفية، بينما تظهر وجوه هذا الشعب في الصورة الأمامية: رجال ونساء من طبقات اجتماعية مختلفة، يأتي الكثير منهم من الشارع ليحكي عن حياته من جوانب عديدة للغاية ولهويات متعددة في مدينة كبيرة بهذا الحجم بها تناقضات كثيرة.

ولتسهيل الكتابة وإعطاء خط منطقي للحكي خصصت الفصل الأول للقاءات متتابعة زمنيًا لمجموعة من النساء. ثم على العكس من ذلك في الفصول التالية حيث ستكون بطولة الأحداث لفنانين، وأصوليين إسلاميين، وسلفيين، وإخوان مسلمين، ونشطاء شباب، وتجار، وأطباء، وباعة جائلين، وآخرين. ليمثل كل هذا لوحة فيسفاء ثقافية تعكس الجمال الحقيقي لمصر الكامن في هؤلاء الأشخاص.

سنبدأ من أول رحلتي؛ فعندما وصلت إلى القاهرة استأجرت شقة في الزمالك، وهو حي ذو طبيعة خاصة في وسط القاهرة حيث يقع في الجزء الشمالي لمنطقة الجزيرة على النيل. وبعد بضعة أيام من وصولي تولد داخلي على الفور الانطباع بأني أعيش في واقع موازٍ ومختبئ بعيد كل البعد عن حياة المصريين. ولا أخفي سرًا بأنه على الأقل في البداية كنت سعيدة بذلك؛ فلم أكن مستعدة لمواجهة مدينة القاهرة الحقيقية، تلك المدينة الفوضوية، المنغمسة في الضوضاء غير المتوقعة غالبًا. كانت تنفتح أمامي مغامرة جديدة ولم يكن لدي وقتها الأدوات المناسبة لمواجهتها؛ ولأني لم أكن على دراية بلغة البلد المضيف أو ثقافته، بدأت العمل مع مساعد ومنظم صحفي، وهو في لغة الصحافة نوع من المترجمين، ولكنه بالنسبة لي أكثر من ذلك بكثير حيث كان يترجم لي كل شيء باستمرار، وكان يترجم لي المقابلات الصحفية، والكتابات والملصقات بالشوارع، والشعارات أثناء المظاهرات، واللغة سواء كانت كلامًا أو غير ذلك. كان بالنسبة لي شخص لا يمكن الاستغناء عنه، خاصة أني امرأة صحفية وحيدة أتت من الغرب لتصول وتجول، بأقل قدر ممكن من مشاكل سوء الفهم والمفاجأت غير السارة، وبفضله ومساعدته دخلت أجواء وبيئات لم أكن لأدخلها من دونه بمفردي.

خلال أيام الثورة، في يناير 2011، أدهشني شيء ما منذ الوهلة الأولى؛ ففي الزمالك لم تكن تصل أصداء الميدان، وفي الغالب لم تكن الناس تدري بما كان يحدث واقعيًا في ميدان التحرير. ليس لأنهم لم يكونوا يعتنون بأمر البلاد ومصيرها، ولكن ببساطة لأنهم لم يكونوا يخرجون من جزيرة الأسماك. ذلك السور غير المرئي الذي يفصل الزمالك عن باقي المدينة، يراه الناس الذين يعيشون في القاهرة جيدًا. وأراه أنا أيضًا.

بالتأكيد لا يمكنني القول إن المشوار كان سهلًا دون عوائق على الأقل في البداية. على العكس؛ فأسلوبي في التعامل – وأنا أعترف بأني قلوقة وغير صبورة – اصطدم على الفور بأسلوب حياة المصريين، وأتذكر - بالمناسبة - جيدًا لقاءاتي الأولى مع أشرف - هكذا كان يدعى مساعدي الصحفي - الذي كان دائمًا يصل متأخرًا بعض الشيء، نصف ساعة أو ساعة عادةً. وأحيانًا أكثر من ذلك. وعند سؤالي الذي كنت أطرحه عليه كل مرة عن سبب عدم قدرته على احترام المواعيد، كان يجيبني بابتسامة: "لا تقلقي من وجود الزحام، فسنقوم بعمل كل شيء بشكل جيد كما اتفقنا"، في الواقع كان أسلوبه في التعامل - ذلك الأسلوب الهادئ الواقعي والمطمئن في الوقت نفسه - يريحني دائمًا في مقابلة الأشخاص وفي إنهاء مقالاتي.

وفي الصفحات التالية تظل الثورة (أو الثورات، يرجع ذلك لوجهات النظر) في الخلفية، بينما تظهر وجوه هذا الشعب في الصورة الأمامية: رجال ونساء من طبقات اجتماعية مختلفة، يأتي الكثير منهم من الشارع ليحكي قصة مصره، وحقيقتها من وجهة نظره، كل وجهة نظر تعد فريدة، ولكن لا يمكن الاستغناء عنها حتى نتمكن من تكوين شكل البازل النهائي، وبوضع هذه القصص المختلفة فيما بينها معًا، نكتشف - من رأيي - الغنى الحقيقي لهذا البلد: رأس المال البشري، أي الأشخاص.

السياق التاريخي المصري للسنوات الثلاثة الأخيرة
من وجهة نظر صحفية إيطالية.

باختصار إن السياق التاريخي مهم لكي نعرف، قبل أن نسمع أصواتهم الحية، عما يتحدثون؟ ولماذا؟

من وجهة نظر الغربيين، قد يبدو النزول للميدان للتظاهر ضد الحكومة أو لطلب زيادة في المرتبات أو لأنواع أخرى من المظاهرات أمرًا تافهًا. فعندما يعتاد المرء ممارسة نوع ما من الحقوق فإنه ينسى أهمية ذلك. أما بالنسبة للمصريين فهم كغيرهم من الشعوب العربية كان يتم إنكار هذا الحق عليهم. حتى إن كان هناك بعض المظاهرات فإن المشاركة فيها كانت تكاد تكون معدومة، خيفة الإجحاف من جانب الشرطة. علاوة على ذلك، مَن كان يشارك في تلك المظاهرات كان يتم تسجيل اسمه في كشوف أمن الدولة؛ ليدفع ثمن حضوره ذلك بتهميشه على المستوى الاجتماعي والوظيفي والأسري.. وهو بمثابة ابتزاز - غير مدرك للواقع - كرادع لمن يشارك بالمظاهرات في الميدان. ولثورة عام 2011 تلك الأهمية حيث أعطت للمصريين لأول مرة الحرية وكذلك الشجاعة للتعبير علانيةً وبصراحة صارخة عن خيبة أملهم؛ حيث كانت أمورهم مهملة منذ زمن بعيد.

والنطاق الذي وصل إليه الشعب المصري يبدو واضحًا؛ حيث تظاهر الشباب في 2011 ضد مبارك لثلاثة أسابيع كاملة، محتلين ميدان التحرير ليل نهار، حيث مات الكثيرون أو أصيبوا بشكل وحشي لتصديهم لعنف قوات الشرطة. وقد ناضلوا وضحوا بحياتهم: وهذا ما يمثل تحولًا عصريًا في الثقافة المصرية. والآن بينما أكتب - في عام 2014 - هناك حالة من عدم التأكد مما سيأتي، على الرغم من إدراك الشعب المصري لقوته التي اكتسبها.

مرت ثلاث سنوات منذ ذلك الحين ومقارنة بالفترة الثلاثينية لنظام مبارك الحديدي الذي لم يكن له أي منازع فقد حدث كل شيء من عمليات اغتيال واعتقالات مضادة وانقلابات وثورات وعمليات قهر ضخمة؛ فقد حدث كل شيء إلا ما كانت تطالب به الميادين في البداية وهي المطالبة بإصلاحات حقيقية. وكان الشعار، قبل ذلك مثله مثل اليوم، «عيش، حرية، عدالة اجتماعية».

وبعد مبارك، تم انتخاب محمد مرسي رئيسًا، ليصبح حاكم مصر من الإخوان المسلمين؛ وقد استمرت حكومته فترة قصيرة جدًا، فقد استمرت عامًا. وتم عزله من العسكريين في يوليو 2013، بعد مظاهرات حاشدة تمت بعد عام واحد من الانتخابات. وعلى خلفية هذه الحالة من عدم الاستقرار السياسي تستمر أزمة اقتصادية حادة ويبدو أنه ليس هناك أحد قادر على إدارتها في الوقت الحالي. ثم حدث وعاد العسكريون للسلطة.

وعلى الرغم من أن الدستور المصري الجديد - الذي تمت الموافقة عليه في يناير 2014 - يضمن، على الورق، إقامة دولة «تحترم الحريات والديمقراطية ويجعل الحقوق والعدالة شكلًا للعمل وللحياة». فقد كذبت الوقائع هذه الكلمات حتى اليوم: فهي دولة تكفي فيها تغريدة «خاطئة»، وربما تكون متضامنة مع الإخوان المسلمين، لينتهي صاحبها في السجن أو يتم اعتباره إرهابيًا أو جاسوسًا.

وبعد عزل مرسي في الثالث من يوليو 2013 أصبح كل المؤيدين للرئيس الإسلامي المعزول محلًا للهجوم، سواء كانوا مؤيدين حقيقيين أو غير حقيقيين، وكذلك أي نوع من الجمعيات التي لها علاقة بالإخوان المسلمين، واعتبرت كل هذه الهيئات خارجة عن القانون «منظمات إرهابية». وعلاوة على ذلك يمكن إضافة الهجوم على الصحفيين، وعلى حرية الصحافة، وعلى مقار المنظمات غير الحكومية والتشديد على أنشطتها والدور الفعال لوسائل الإعلام القومية لقمع المعارضة ولنشر الدعاية (البروباجندا).

الفصل الأول
نساء القاهرة

مقدمة

عندما نتحدث عن المصريات في بلدي إيطاليا فإننا في أكثر الأحيان نتصور أنهن نساء خاضعات، ومكبوتات من الحجاب الديني وكونها تحت سطوة الرجال الذين يكونون في الغالب ذكوريين وكارهين للنساء، ولكن الواقع على العكس من ذلك، وفي هذه الحالة، لا يمكن أن نقف عند قراءة الواقع بمشاهدة جزء صغير فقط أو ما هو أسوء وهو متابعة الأمور بسطحية دائمًا.

في الفصل الأول أتحدث، على سبيل المثال، عن لقائي مع **نوال السعداوي**، الكاتبة والناشطة المصرية كبيرة السن التي يمكن أن نطلق عليها المرأة "ذات الجدائل البيضاء" كما يطلقون عليها؛ حيث قرأت في عينيها شجاعة كبيرة وإصرارًا وقوة روح؛ إن حياتها تميل دائمًا لصف المقهورين، ضد اغتصاب حقوق الإنسان. إنها مثال لكثير من شباب القاهرة. وقد تعرضت لعملية الختان وهي في سن المراهقة؛ واليوم تكافح ختان الإناث في مصر. وهي عادة مازالت منتشرة تحصد العديد من الضحايا البريئة في مختلف أنحاء البلاد، في ظل الصمت الرهيب من جانب رجال السياسة.

وفي عام 2011 أجريت مقابلة مع **بثينة كامل**، وكانت أول امرأة تقدمت للانتخابات الرئاسية في بلد الفراعنة. وعلى الرغم من مدحها من جانب الصحافة العالمية، إلا أن الصحافة المصرية انتقدتها بقسوة وقللت من شأنها. وأثار ترشحها – الذي كان أكثر رمزية بالأحرى من كونه تنافسيًا في الساحة السياسية – كثيرًا من الجدل. وكان هذا بالتأكيد لكونها امرأة؛ وأيضًا لأن الكثير من المصريين لم يجدوا فيها ما يمثلهم؛ حيث إن لها عالمها الخاص بعيدًا عن

القاهرة الممتلئة بالأتربة، وبعيدًا عن القاهرة الفقيرة التي غالبًا ما لا يراها أحد. ولكنها بالتأكيد امرأة قوية ومكافحة تحب التحديات، حتى تلك التحديات التي يكاد يستحيل التغلب عليها.

ثم بعد ذلك نتحدث عن اللقاء مع **سمية** تلك الطاهية الثائرة، فأي شخص تردد أو مازال يتردد على وسط القاهرة فإنه من المحتمل بشدة أن يكون قد صادف أن وجد نفسه داخل هذا المكان الصغير. إنه مطعم سمية الصغير، في الواقع إنها حجرة صغيرة في حارة على بعد خطوات قليلة من ميدان التحرير، تحكي سمية عن عملها، كيف تحول من طاهية في أيام ثورة يناير 2011 إلى سبيل للتعبير عن أفكارها ونشاطها السياسي، ففي البداية ضد مبارك ثم بعد ذلك ضد مرسي وقد استضافت في محلها الصغير مئات النشطاء الذين أطعمتهم وفي الوقت ذاته ساعدتهم في تنظيم العمل في الميدان ضد إجحافات النظام الديكتاتوري في كل مرة.

ونحكي أيضًا قصة **دعاء العدل** رسامة الكاريكاتير التي تتناول في رسوماتها مساوئ المجتمع المصري. وعلى الرغم من إدراكها للرقابة الشديدة في البلاد، لم تتراجع عن إدانة عيوب مجتمع محاط بالجهل تتكرر فيه بقوة انتهاكات غير إنسانية.

وفي إحدى جولاتي المختلفة قابلت **الأخوات السلفيات** في عام 2013، وفي أوروبا يعرفون عنهن القليل، ولكنهن منظمات بشكل كبير في مصر. يتم تمويلهن من أحزاب سياسية إسلامية، وفي فترة حكم مرسي كانت لهن أنشطة غالبًا ما تكون

اجتماعية. وبالنسبة لهن حتى اليوم ما زال أسامة بن لادن هو الأسطورة والبطل الذي يجب الاحتذاء به. وتلتقي الأخوات السلفيات بانتظام أسبوعيًا، ويتحدثن عن أي شيء: الجنس، والمشكلات مع الأزواج، والصعوبات الاقتصادية. وينظمن دورات عن القرآن ويساعدن أيضًا ماديًا مَن يريد الدخول في الإسلام. وجماعتهن غير مفتوحة للأجانب؛ ولكن كوني امرأة – حتى وإن كنت غربية غير مسلمة – سهل لي نوعًا ما الدخول بينهن وقبولي من جانبهن. وهذه الأجواء المتطرفة والسرية لا تمثل كل النساء المصريات، ولكنها تمثل شريحة صغيرة جدًا منهن. فهي شريحة من الشعب – لها هوية اجتماعية وسياسية قوية – تفضل تنظيم نفسها يومًا بعد يوم في صمت وبعيدًا عن الأعين المتطفلة.

ومن ناحية أخرى نجد النساء الشابات اللاتي أنشأن منظمة **بودي جارد التحرير**: وهن يحاولن التصدي لأعمال التحرش الجنسي، التي يمكن التعرض لها في ميدان التحرير أثناء المظاهرات. وهي منظمة لمجموعة من الشباب، رجال ونساء، يقومون بجولات تأمينية في الأماكن التي تحدث فيها عمليات تحرش جنسي بشكل كبير مرتدين قمصانًا صفراء. وليس للمنظمة أي شعار أو علم سياسي، ولكن هدفها الوحيد هو حماية النساء المصريات وغير المصريات اللاتي يقررن التظاهر في شوارع القاهرة.

ثم كانت هناك من استخدمت مواهبها الفنية، حيث إنها راقصة شرقية، لكي تنتقد الرئيس السابق محمد مرسي. وهي **سما المصري**. وقد قامت بنشر مقطع فيديو على موقع اليوتيوب، وكانت تسخر فيه من الرئيس الإسلامي السابق: وقد انتشر سريعًا مقطع الفيديو على شبكة الإنترنت. وهي شخصية

جريئة للغاية لا تتوقف عند مبادئ الوقار، مبتسمة وحيوية، تنطلق بأفكارها السياسية عن طريق الأدوات التي تعرفها بشكل أفضل: الموسيقى والرقص.

وفي النهاية نجد الفتاة الشابة لاعبة كرة القدم التي تبلغ من العمر 17 عامًا. وهي فتاة تعشق كرة القدم. وتتحدى المجتمع بشغفها هذا. وبنظرتها العذبة والحاسمة تدفع إلى الأمام حلمها: وهو أن تصبح نموذج "أبو تريكة" النسائي في مصر.

كل هذه القصص المختلفة فيما بينها تدور من عام 2011 حتى يومنا هذا. أعوام من الاضطرابات السياسية والاجتماعية، ولكنها أيضًا أعوام مليئة بالأمل والرغبة في التغيير والحرية.

بثينة كامل: امرأة في الانتخابات الرئاسية

في عام 2011 قالت بثينة كامل: "إننا نعد الآن للثورة الثانية". وكانت المرأة الأولى والوحيدة التي تخوض الانتخابات الرئاسية بعد عهد مبارك.

وأضافت بثينة كامل: "أدعم كل المصريين في كل أنحاء مصر. ونحن مستمرون في مسيرتنا واحتجاجاتنا منذ الثامن من يوليو عن اقتناع وليس فقط في ميدان التحرير. لقد بدأنا ثورتنا الثانية؛ حيث إننا لم نحصل على النتائج المرجوة حتى الآن ولا نريد أن يحكمنا الجيش".

وأكملت السياسية حوارها وهي حريصة على أن تكون على مسافة بعيدة من الإخوان المسلمين وهم أحد التنظيمات الأصولية في مصر؛ فقالت: "لدي علاقات طيبة مع خصومي السياسيين، وهم على اتصال دائم بي ونلتقي، ولكن الإخوان بلعبة قذرة تحالفوا مع قادة الجيش وعقدوا معهم اتفاقات خلف الأبواب المغلقة، ومن الناحية الأخرى كانوا من أول الناس التي نزلت لميدان التحرير في الخامس والعشرين من يناير. أنا لا أثق بهم".

إن بثينة كامل امرأة تعتني بمظهرها، ترتدي الأساور والحلقان والخواتم، ترتاد الأماكن الترفيهية الفخمة بالعاصمة، تعتني بشعرها وبقصته بشكل رائع كما لو كانت قد خرجت لتوها من الكوافير بقصة جديدة لشعرها، وتبتسم باستمرار لكنها في بعض الأحيان تتصنع الابتسامة، ولا تبدو على أية حال مُتْعَبَة، فهي معتادة على الإيقاعات السريعة المكثفة، ولها تاريخ مهني في مجال

الصحافة التليفزيونية يظهر في تعاملاتها، فتقول: "استبعدوني، ولم أكن أستطع الإفصاح عن الأخبار بحرية، وجعلوا العمل مستحيلًا بالنسبة لي".

ومن الواضح جدًا أنها نشطة عبر الإنترنت؛ فتقول: "أستخدم تويتر بنفسي، ولا أوكل أي شخص للقيام بهذا، وعندي حساب على الفيس بوك أشرف عليه يوميًا؛ أحب أن أتواصل مع ناسي عن طريق هذه الوسائل"، وتؤكد وهي راضية عن ذلك بأنه ليس لديها مكتب إعلامي خاص يقوم بإدارة وسائل التواصل الاجتماعي، فبالنسبة لها يعد الإنترنت هو جزء من الحدود التي ستقوم عليها المباراة المستقبلية؛ حيث يقومون بزرع الديناميكيات لتقسيم السلطة؛ وتكمل كلامها قائلة: "إن شبكة الإنترنت دون شك وسيلة الاتصال التي أستخدمها كثيرًا وأتابعها بشكل دائم".

لديها ثلاثة هواتف محمولة من ماركة البلاك بيري، لا يكف اثنان منها عن الرنين، وتتحدث طويلًا مع جميع الأشخاص الذين تقابلهم أو يأتون لتحيتها أثناء حوارنا، وعندما تأكل أثناء مقابلتي لها فهي تأكل دون توقف وتتحدث بين اللقمة والأخرى عن مكاتبها، فلديها أكثر من مكتب بالقاهرة. ولا تخفي حقائق وضعها المالي، فإنه من الواضح جدًا أنها تحب الحياة وخاصة الحياة الجميلة، والأماكن الفارهة، وتحب أن يمدحها الناس ويتحدثوا عنها.

وخارج المطعم الفاره الذي أجرينا فيه المقابلة قام أحد خريجي جامعة القاهرة من الشباب المصريين بالإفصاح عن تناقضها مؤكدًا: "لن أنتخب أبدًا هذه المرأة التي لا تعرف معنى دعم الشرائح الفقيرة في المجتمع، وهناك فوضى

حقيقية في ميدان التحرير؛ لأن الثورة (ثورة 2011) لها جسم عملاق من غير الدماغ التي بالتأكيد لا يمكن أن تكون تلك المرأة".

في الواقع ميدان التحرير في الشهور التي تلت شهر يناير ازدحم وأصبح مخيمًا مفتوحًا مكتظًا بالشباب المصري؛ حيث تقوم شخصيات مشهورة بالحديث بشكل دوري بالإضافة إلى محللي أخر ساعة للوضع السياسي كما يبدو واضحًا، ولكن يظل ينقص الأمر مؤسسة منظمة ومخططة وقيادة يعترف بها المتظاهرون على الصعيد الكامل.

بودي جارد التحرير
فبراير 2013

قالت زينب ثابت، وهي واحدة ممن قاموا بتأسيس «بودي جارد التحرير»، "سنتابع كل المظاهرات ولدينا في أجندتنا مظاهرات الأيام القادمة والمظاهرات التي سيقوم بها الإسلاميون يوم 15 فبراير". ومما نذكره هنا أن هذه هي أول مجموعة في مصر تتسلح بغطاء رأس وصديري من الفسفور وتوفر المساعدات للنساء أثناء المظاهرات. وتستكمل حوارها قائلة: "دارت هذه الفكرة بذهننا بسبب كثرة حالات التحرش بالسيدات في ميدان التحرير. وتشير الإحصائيات الأخيرة إلى زيادة هذا الأمر خاصةً في القاهرة". يقوم على التنظيم اليومي اثنا عشر شخصًا وعدد المتطوعين في هذه الحركة يبلغ المائة. وتتصف الناشطة زينب ثابت بحجمها الضئيل وعلى الرغم من ذلك فإنها تتمتع بالحيوية والطاقة؛ حيث تتولى أمور التواصل الاجتماعي ووسائله، فتقول: "عندنا حساب تواصل اجتماعي على تويتر والفيس بوك، ونتعامل مع أنواع الصحافة المختلفة سواء المحلية أو العالمية، وعندنا أيضًا شخص مسؤول عن توزيع المتطوعين وآخر يتواصل مع المنظمات الأخرى غير الحكومية". ووفقًا لأخر الإحصائيات فإن هناك امرأة من كل ثلاث سيدات تعرضت للتحرش في مصر.

فكرة بودي جارد التحرير هي فكرة ثريا بهجات، وهي إحدى الناشطات؛ فكما تحكي زينب: "المجموعة كان لها صدى جيد عند المواطنين، ففي يوم الأربعاء تجولنا جميعًا مع بعض الرجال والسيدات حتى نعلن عن رفضنا للمشكلة المتزايدة وهي زيادة التحرش الجنسي في البلد. وكان هناك أيضًا مجموعة من المشاكل الأخرى، فمثلًا أثناء المسيرة كان هناك بعض الرجال الذين

أخذوا يسبوننا بشكل فج وهم يصرخون في وجهنا ووصفونا بـ (العاهرات والمثليات)، أما من ناحيتي فأنا حاولت أن أتكلم معهم وأفهم لماذا كل هذا دون أي سبب؛ وكان من المستحيل أن يتحدث الإنسان بالعقل مع مَن يعتبر المرأة مجرد شيء من مفروشات البيت. ولحسن الحظ لم يكن هناك صدامات عنيفة".

وقد برر المتطرف الإسلامي أبو إسلام - وهو مالك لاثنتين من القنوات التيليفزيونية - الاغتصابات في ميدان التحرير قائلًا: "النساء الناشطات اللاتي يذهبن للميدان لا يردن التظاهر لكن التحرش بهن جنسيًا، إنهن من يرغبن في ذلك، وإلا لما ذهبن لتلك الأماكن ولبقين في بيوتهن". وقد أشارت زينب ثابت بضحكة مريرة وردت بحسم: "التظاهر حق لكل النساء. هذا الأمر لا جدال فيه ولا عودة للخلف".

تمت المقابلة في إحدى المقاهي التي لا تبعد عن ميدان التحرير، وتشرح زينب كيف تتم الاعتداءات في الميدان، وهي ديناميكية تتكرر في غالب الأحيان للأسف، فتشرح الفتاة قائلة: "بشكل عام أثناء المظاهرات كل شخص له واجب محدد؛ فالمتطوعون يذهبون ويراقبون الموقف خاصةً عندما يلحظون مجموعة من السيدات فقط، ويكون الهجوم دائمًا من جانب مجموعة من الأولاد - غالبًا ما يكونون في الخامسة عشر من عمرهم أو أكبر قليلًا – ويلتفون حول الضحية بطريقة لا تسمح لأحد أن يراها وبهذا يكونون قد شكلوا حلقة حول ضحيتهم، ومن هنا تشتعل عملية العنف فلو كان الميدان مليئًا بالناس لن ينتبه أي شخص للاعتداء الذي يحدث، ولكن لحسن الحظ كان هناك بعض الاستثناءات".

وتكمل زينب حوارها فتقول: "غالبية متطوعينا من المصريين، وهم على علم بمثل تلك الحركات، ويحاولون دائمًا التدخل في الوقت المناسب لكي يمنعوا العمليات العدوانية، لكننا نحتاج إلى مساعدة الجميع؛ ولهذا نحاول أن نكسب تعاطف الناس اللذين نقابلهم في الشارع. والخطوة القادمة هي أننا سنقوم بتوزيع رقم ساخن من خلاله تستطيع كل السيدات الاتصال بنا على مدار أربعة وعشرين ساعة يوميًا في حالة الإحساس بخطر أو الحاجة إلى المساعدة. وبالنسبة لنا فنحن نتابع قنواتنا على تويتر وفيس بوك كل يوم دون توقف، وقريبًا يبدأ العمل موقعنا على الإنترنت: Tahrirbodyguard.org وسيحتوي على كل الأخبار فيما يخص مبادراتنا". وعلى ما يبدو أن زينب تمثل نهرًا من العطاء، ومن الواضح رضاها عن المشروع القائمين عليه وعلى تطويره حين تقول: "أنظم أيضًا دورات للدفاع عن النفس؛ يعني نوفر دروسًا في الكونغ فو في صالة رياضية بالدقي هنا في القاهرة. وهنا مدرب يخصص ساعتين مجانًا في الأسبوع ليُعلم فيها مَن يحتاج إلى تعلم تقنيات الدفاع عن النفس. إن أردتِ من الممكن أن أسجل اسمك في قائمة الانتظار". واختتمت حديثها بابتسامة وهي تؤكد أن مجموعة بودي جارد التحرير ليست بالجماعة السياسية قائلة: "خلال المسيرة طلبنا من المشاركين ألا يحملوا أعلامًا أو شعارات سياسية، وعلى كل حال الأحزاب التي شاركت هي الأحزاب العريقة واليسارية، ولم يكن هناك أي حزب إسلامي، وكان من المشاركين فيها حركة 6 أبريل وحزب المصريين الأحرار الليبرالي".

ومن جانب آخر قالت إن بودي جارد التحرير لا يُعد المركز الوحيد لمساعدة المواطنين الذين يتعرضون للاعتداءات وقد أكدت ذلك بقولها: "اشتغلنا مع شباب موقع Harassmap.org وهو موقع على الإنترنت نضع فيه دوائر حمراء كبيرة على

المناطق الأكثر خطورة في المدينة، وهو موقع مفيد جدًا. ونحن أيضًا متعاقدون مع عيادة اسمها نظرة وهي مؤسسة تساعد السيدات في المشاكل القضائية والنفسية والطبية، وتساعدهم أيضًا في الناحية السياسية. مجموعتنا لها شكل واضح ومحدد، لكننا نريد أن نتعاون مع المؤسسات الأخرى التي تختص بمشاكل النساء في مصر في كل المجالات، وأفضل طريقة للتقليل من تلك الظاهرة في المجمتع هي أن نعمل معًا، لأننا كلنا في نفس الوضع". ومن بين العديد من العيادات ذكرت زينب مركز النديم الذي يقوم بمساعدة الضحايا سواء كانوا رجالًا أو نساءً تعرضوا لأعمال عنف. وقد أفصحت لنا مديرة المركز وهي السيدة ماجدة علي عبر الهاتف: "كثير من الفتيات يأتين هنا حتى نساعدهن، ونستطيع القول إنهن حوالي عشرة في اليوم الواحد. وواحدة من الدراسات التي قمنا بها تؤكد بأن حوالي 62% من الرجال اعترفوا بمضايقاتهم للسيدات وبالتحرش بهن جنسيًا، وحوالي 83% من المصريات أقروا بتعرضهن لحالات التحرش. ولذلك كان يجب على الرئيس مرسي أن يهتم بهذا الموضوع". ولكنه من الواضح أن هذه الفئة من المجتمع لم تكن تحظى بالأولوية من جانب الحكومة الإسلامية.

الأخوات السلفيات
مارس 2013

قابلت الأخوات السلفيات وكانت إحداهن سمية أزمون التي تبلغ من العمر 22 عامًا، وهي من قالت لي: "الفتيات اللاتي يتظاهرن في التحرير لسن بالمصريات؛ إنما نحن مصر الحقيقية". وكانت ترتدي النقاب، ذلك الحجاب الكامل الذي لا يكشف غير العينين. واستكملت حوارها قائلة: "لست متزوجة حتى الآن، ويجب أن أسرع في هذا الأمر فمتوسط عمر الزواج 18 – 20 عامًا، ويجب أن يكون لدي عدد كبير من الأطفال، في المتوسط 5 أو 6 أطفال، لكني أريد 11". وكانت قد بدأت لتوها إحدى جلسات الأخوات السلفيات فهن يجتمعن ثلاث مرات في الأسبوع، النساء فقط حتى وإن كان من يدير الجلسة رجلًا، وتتم تلك اللقاءات في الطابق الرابع لإحدى المباني في شارع جسر السويس، أحد الأحياء الشعبية بالقاهرة. وهي ممولة من الجماعة الإسلامية المتطرفة.

ونجد من أكثر الأنشطة التي يقومون بها الأنشطة الخيرية التي تتعلق بالصحة والمدارس ومجال العمل، وهي أنشطة اجتماعية أكثر منها سياسية؛ فتقول هذه الفتاة: "الآن عندنا حرية للتعبير عن أنفسنا في ضوء الشمس، أيام حكم مبارك لم نكن نستطيع التجمع؛ حيث كانت تطاردنا الشرطة باستمرار؛ أما الآن فقد بدأ عصر جديد للنساء الإسلاميات من الشعب في مصر". وعن المظاهرات الحديثة في ميدان التحرير التي تقوم لإدانة عمليات التحرش الجنسي – مرض المجتمع المصري – كانت إجابة القائدة الأكبر سنًا شادية أحمد والمتحدثة باسم هذه الجماعة قوية ومدوية: "تلك النساء لا تمثلنا، فلهن سلوكيات سيئة: يَشتمْن، ويشربن الخمور، ويضاجعن الرجال في الخيام، ولقد شاهدنا هذا في التليفزيون".

أثناء هذه اللقاءات تقوم تلك الأخوات السلفيات بالحديث بحرية كاملة في أي موضوع، فيتحدثن أيضًا عن الموضوعات الأكثر خصوصية: عن الجنس، ومشاكل الزوجية، ولا توجد موضوعات محظورة، فتقول شادية أيضًا: "غالبًا ما ندعو إحدى طبيبات النساء والولادة: ومن الممكن أن تكشف علينا دون أن ندفع، وتجيب عن كل تساؤلاتنا وفضولنا". ثم تشرح أن الدين يمنعهن من استخدام موانع الحمل فتقول: "إن النبي محمدا (ﷺ) يقول إنه كلما كنا نحن المسلمين أكثر عددًا كان أفضل، فأنا أريد أن يكون المسلمون أكثر عددا في هذه الأرض". ثم تبتسم وهي ترفع نبرة الحديث، وتختم حديثها قائلة: "كثير من الإخوة ماتوا في سوريا ومالي وأفغنستان؛ ويجب علينا أن نصير الجيش الأكبر عددًا في هذا الكوكب".

وعلى صعيد الحياة الجنسية لا يخفين أنهن مع أزواجهن أكثر حرية ودون أية قيود كما تشرح الأخت السلفية بابتسامة خجلة: "نحب شراء الملابس المثيرة، الحمراء والسوداء، دانتيلا، والملابس المكشوفة والمفتوحة. وهي نظرة ليست شهوانية، وشركاء حياتنا من وجهة النظر نفسها لديهم احتياجاتهم، ويحبون شراء الملابس المثيرة لنا. ونحن نحب إشباع رغبات أزواجنا، حتى تلك الرغبات الحميمة الأكثر خصوصية".

في الجلسة كان هناك ما يقرب من عشر أخوات، وكانت سمية أصغرهن عمرًا، وهي تستخدم تويتر وفيس بوك من جهاز التابلت الخاص بها وما بين تغريدة وأخرى تحكي بأن الأزواج يشترون غالبًا بعض الألعاب للتسلية ومنها: ملابس داخلية مثيرة للغاية وأقنعة، وتحكي أيضًا أن إحدى الواجبات الأساسية للنساء هي أن يقمن بخدمة أزواجهن وأن يطعنهم في كل الظروف. فحسب قولها: "القرآن ينص على ذلك، فالأسرة قبل كل شيء".

يتحدثن كثيرًا عن السياسة ولكنهن نادرًا ما يمارسنها، فتقول إحداهن: "شاركت في الثورة التي حدثت منذ عامين من أول يوم، وكنا جميعًا في ميدان التحرير ضد مبارك". ولكن في التظاهرات الأخيرة التي نظمتها الجماعة الإسلامية كان الميدان مكتظًا فقط بالرجال، وكما يظهر من خلال أحد مقاطع الفيديو على الهاتف المحمول لإحدى الأخوات السلفيات، كان الكثير من هؤلاء الرجال يقبلون صورة بن لادن. وتقول شادية أحمد: "إنه قائدنا الروحي، وهو منقذنا، والغرب يعتبره إرهابيًا، ولكن الإرهابي الحقيقي هو بوش ومن معه من الغرب". وترتدي شادية أحمد النقاب الكامل الذي تظهر منه فقط العينان،

ولكن ابنتها ذات الـ 22 عامًا ترتدي نقابًا يخفي حتى العينين. وتقول: "لا نريد أن نجذب انتباه الرجال في الشارع وابنتي في ريعان شبابها ولديها عينان جميلتان جدًا ولهذا فهي تخفي تلك العيون الجميلة بشبكة مع النقاب، وطبعًا تسبب لنا ملابسنا هذه بعض المشكلات، ففي الصيف مثلًا نعاني من الحر الشديد؛ ولكننا سنجازى عن هذا فيما بعد، في الجنة، فقد أمرنا اللـه بارتدائه ونحن سعيدات بذلك". وعندما يخرج الرجل الوحيد من القاعة تكشف النساء عن وجوههن ويتحدثن بارتياح كبير. وتسألني إحداهن: "هل فكرتي من قبل في اعتناق الإسلام؟ يمكنني أن أعطيكِ دروسًا في القرآن مجانًا، وستعرفين أنه الدين الحق الوحيد، ونحن سنساعدك، فنحن لا نترك الأخوات اللاتي تدخلن الإسلام وحدهن أبدًا، نساعدهن بالمال والعمل والمأوى. لا نترك أحدًا".

في الأسرة الكبيرة للأخوات الإسلاميات نفسها، نجد تنظيم الأخوات وهو لنساء الإخوان المسلمين: إنه تنظيم كامل وشامل يمتد في كل أنحاء البلاد. وتوضح هذه النساء: "بعد ثورة 2011 نحن أحرار". وبالنسبة لنشاطهن في الميدان - مثلهن مثل الأخوات السلفيات - فيتم تمويله من جانب الإخوان المسلمين. وتشرح عزة الجرف الوضع قائلة: "هناك أكثر من جبهة وقسم داخل التنظيم، وكل قسم يمثل فئة معينة: طالبات، وموظفات، وربات منزل، وحرفيات، وتاجرات. وكل قسم يعمل على ثلاثة مستويات: الحي وهو المستوى الأساسي، والمحافظة، ثم المستوى الأكبر وهو الوطن كله". وعزة الجرف هي واحدة من 11 امرأة تابعة للإخوان المسلمين تم انتخابهن في البرلمان ضمن صفوف حزب الإخوان أي حزب الحرية والعدالة، في الفترة التي تلت سقوط مبارك. ولهن أجندة مكثفة للغاية على عكس السلفيات، فهن يتقابلن كل يوم، كل واحدة مع زميلاتها في الفئة ذاتها. وفي اجتماعاتهن يدعون خبراء للمواد التي

يُرغب في تناولها لعمل تقارير أو موائد مستديرة؛ فتقول: "نتكلم في كل الموضوعات، لقاءاتنا المحلية يدعمها وجود متخصصين ومحترفين في كل مجال".

جماعة نساء الإخوان هو جهاز دقيق جدًا، فلكي تحقق إحداهن نجاحًا في العمل داخل التنظيم يجب أن تحصل على شهادة جامعية مرخصة من الإخوان المسلمين. وتشرح ذلك عزة الجرف: "على المستوى الوطني ننظم دورات وكورسات تنتهي بامتحانات، فمَن تنجح في الامتحان تحصل على شهادة. وأنا اتبعت برنامجًا للعلوم السياسية في الجيزة". وبالنسبة لنساء الإسلاميين لا توجد محظورات بشكل عام ولكن هناك قاعدة؛ وعلى العالم الخارجي أن يظل بعيدًا. وتكمل عزة حديثها بكلمات واضحة: "لقاءتنا مخصصة فقط للأخوات". وقد انضمت عزة الجرف للإخوان المسلمين عندما كانت في الخامسة عشر من عمرها وقد قامت بدورها الاجتماعي أولًا ثم أصبحت اليوم في تنظيم الجماعة للحركة السياسية. ويبدأ مشوارهن الذي يستمر طوال حياتهن في تلك العمر المبكرة وأحيانًا قبل ذلك.

سما المصري: الراقصة التي تسخر من الرئيس مرسي
مارس 2013

إنها سما المصري، إحدى راقصات الرقص الشرقي المصريات والتي نشرت مقطعًا مصورًا على يوتيوب حقق نجاحًا على صعيد المشاهدة حيث كان مقطعًا من ثلاث دقائق ترقص فيه رقصًا شرقيًا ساخرًا ومثيرًا، كانت تسخر فيه من الرئيس المصري محمد مرسي ومن جماعة الإخوان المسلمين. وتضحك قائلة: "أرقص وأنا ممسكة بالمانجو في يدي؛ لأن محمد مرسي في خطاب له قال إنها فاكهة رخيصة ومتاحة للجميع. لو كان قال هذا الكلام شخص كوميدي لكان شيئًا مسليًا، وليس من شخص مسئول عن مستقبل البلد. وفي مصر ليس هناك خبز للناس جميعًا؛ فكثير من الناس لا يجد ما يأكل حتى مرة واحدة في اليوم، ولكن على رأي مرسي فاكهة المانجو متاحة". وقد أنهت جملتها بنبرة سخرية حادة.

تمت المقابلة بإحدى الشقق الفارهة للغاية في حي الزمالك، وهو حي راقٍ جدًا بالقاهرة. وبفضل نجاح أدائها، أصبح لديها برنامجها التليفزيوني الساخر الخاص بها وحدها الذي يذاع مرتين أسبوعيًا؛ وتظل أهدافها موجهة نحو رجال الحكومة وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين والسلفيين. وتتناول كل حلقة من البرنامج شخصية محددة، وكانت الشخصية التي تناولها البرنامج هي شخصية رئيس الوزراء هشام قنديل.

تشرح وهي تفتخر بنفسها: " كانت فكرتي عمل الفيديو"، وتتوقف فجأة، وتنظر لنفسها في المرآة وهي تُعجب بنفسها وتهيئ من شعرها الكثيف الأسود

وتستأنف حوارها: "من سنتين قدمت فيلمًا ومثلت دور صحفية تركت مهنتها لكي تدخل عالم الرقص الشرقي، يعني أنا وجه معروف في البلد، وربما لذلك السبب حقق الفيلم القصير نجاحًا كبيرًا". وكانت ترتدي أثناء المقابلة التنورة القصيرة (الميني جيب)، وزوجًا من الأحذية الطويلة (البوت) أسود اللون، وقميصًا (تي شيرت) ضيقًا يظهر بوضوح ما تحته من هيئة جسدها الممتلئة، ومعطف (جاكيت جينز).

وتفتخر جدًا بنفسها وبكونها ضد الإسلاميين قائلة: "بعض الإسلاميين هددوني، ومحامي الإخوان قدم ضدي قضايا أكثر من مرة، لكني لست خائفة ولا أنوي التوقف، وطالما معي تعاطف الناس سأستمر في عملي".

ولا يتوقف هاتفها عن الرنين، وما بين اتصال وآخر تشرح الوضع بكلماتها القوية: "الإسلاميون مجموعة من 'الخرفان'. أنا لا أخاف من 'الخرفان'. والناس التي تستوقفني في الشارع تطلب مني الاستمرار في السخرية منهم. نعم، في بعض الأحيان قد ينظر لي شخص ما بطريقة سيئة، لكن الحمد لله، لم يتحرش بي أحد أبدًا". ثم تحكي أن الإخوان المسلمين قاموا بإغلاق بعض البرامج التليفزيونية التي كانت تعرض الرقص الشرقي: "ما يحدث هو أخونة للدولة؛ حتى المحلات والأماكن الشعبية التي تعمل فيها الراقصات واجهت في الفترة الأخيرة تشديدات كثيرة. وغضب الناس على هذه الحكومة ازداد، وكذلك العنف، لدرجة أن كثيرًا من الناس الذين انتخبوا مرسي في الانتخابات الرئاسية، أصبحوا لا يطيقون الوضع اليوم وفاض بهم".

ولا تخفي حالتها النفسية المرتفعة وهي تقول: "السنة الماضية سافرت للقيام بشيء كنت أود فعله، ذهبت للتسوق في دبي، واشتريت ملابس لا مثيل لها 'تحفة'". ومن الواضح أنها تمثل الراقصات البعيدات عن الأماكن والمحلات سيئة السمعة التي تنتشر في الأحياء الفقيرة للمدينة. وفي الواقع هي تحرص على إيضاح الأمور فتقول: "عندما أرقص، فالناس تشاهدني لكن لا تلمسني. هذه المهنة لها شعبية طاغية في البلد. وغالبًا الملاهي الليلية 'النايتكلاب' التي ترقص فيها الراقصات تصبح مثل بيوت الدعارة، وفيها يمكن أن نجد 4 أو 5 عاهرات يقدمن أنفسهن لكل الزبائن ويسلمن عليهم باليد بمجرد رؤيتهم. ثم يعدن ليجلسن في ركن من المكان الذي يعملن فيه بانتظار أن يرسل لهن أو ينادي عليهن أحد. وطبعًا هنا تقرر الراقصات إذا كان يحلو لهن الذهاب مع الزبون أو الرفض".

إنه نهر لا ينتهي، ولا تقف عند هذا الحد من التفاصيل الخاصة بهذه المهنة فتكمل كلامها: "عندما يريد الزبون أن يجذب الانتباه أكثر يقوم بـ 'تنقيط' الراقصة بمبلغ من المال، يعني كمية أوراق مالية فئة 5 أو 10 جنيه (أقل من يورو أو حوالي يورو). وتقوم الراقصة بالاقتراب والرقص بشكل أكثر إثارة". وأرادت سما المصري أن توضح أنها تبتعد عن الملاهي الليلية المصرية وأوضحت أن مسيرتها الفنية لها طابع خاص مختلف: " أنا ممثلة، وأغني وأرقص. لكن فني لا علاقة له بأي شيء يتعلق بهذه الأماكن، أنا أعرف هذه الأماكن فقط لأني مصرية".

وفي نهاية المقابلة، قامت بالإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بحياتها الشخصية، وهي ترتشف المشروب البارد (الكوكاكولا) وتسخر من نفسها: "أنا مطلقة، وليس عندي أولاد، أنا 'سينجل' ومبسوطة كده". وأكملت بابتسامة على وجهها:

"لو عندك عريس لي، سأوافق عليه مباشرةً". وقالت إنها عملت في قطاع الإعلام قبل أن تصبح فنانة: "النجاح جاء في آخر سنتين، وقبل ذلك كنت أعمل بأشياء أخرى. أنا تخرجت وعملت لوقت طويل في التسويق". ولكنها تتابع التقلبات السياسية في البلاد باهتمام منذ زمن. وأجابت عن سؤالي لها من انتخبت في الانتخابات الرئاسية، متحولة فجأة إلى شخصية جادة: "شفيق، يعني مَن كنت سأنتخب؟!"، وهو الرجل الذي كان يدعمه المجلس الأعلى للقوات المسلحة.

وعندما وصلنا لوقت التقاط الصور بعد نهاية المقابلة، فإنها وقفت على هيئة التقاط الصور وقامت بحركات مغازلة وهي تغمز بعينها وتقول: "لو كان شفيق كسب في الانتخابات لأصبحت مصر مكانًا أكثر أمانًا الآن".

دعاء العدل: انتهاكات الإخوان في رسومات الكاريكاتير
أبريل 2013

تقول دعاء العدل وهي واحدة من رسامي الكاريكاتير المعروفين في جريدة المصري اليوم: "الوضع في مصر في انحطاط". وتحكي في رسوماتها الكاريكاتيرية الساخرة عن عيوب المجتمع المصري دون أي نوع من الاستثناء، فتتناول كل أشكال هذه العيوب من العنف ضد النساء في المنازل إلى التحرش الجنسي في الشوارع، ومن ختان الإناث إلى زواج القاصرات. وكلها موضوعات اجتماعية وسياسية.

وتنتقد دعاء الإسلاميين الذين يتولون أمور السلطة بشدة؛ فتقول بكلمات حادة وصريحة: "في البداية كانت سخريتي تستهدف "مبارك" وكنت أتحدث عن الموروث الثقافي الذي تركه لنا. ثم تابعت من قريب الفترة الانتقالية ولم تعجبني، ورسوماتي تناولت المجلس الأعلى للقوات المسلحة وتناولت على حد سواء الإعلان الدستوري والاستفتاء. واليوم يتركز عملي على الإخوان المسلمين والسلفيين. يكون اهتمامي الأكبر بحقوق المرأة التي تتدهور يومًا بعد يوم، والإسلاميون المصريون عقليتهم مشابهة جدًا لعقلية طالبان، وخاصةً السلفيين. ومن ناحية أخرى كلهم يتبعون المدرسة نفسها، أي المدرسة الوهابية. وهذه حقيقة واقعية".

ودعاء هي واحدة من النساء القلائل التي تعمل رسامة كاريكاتير في بلد يسيطر فيه الرجال على هذا المجال. وتقول: "بعض الرجال ساعدوني في عملي ومسيرتي مثل إبراهيم عيسى، رئيس تحرير صحيفة التحرير. وكان أول شخص أعطاني

الفرصة أن أنشر أول أعمالي. وبعدها كان هناك لي زملاء عندهم خبرة طويلة أفادوني بكثير من النصائح المهمة، وطبعًا هذه أمثلة إيجابية؛ لكن بالتأكيد كانت هناك ذكريات سلبية وخاصة في البداية سواء من القراء الرجال أو الزملاء الرجال الذين كانوا ينظرون لي بطريقة غريبة وكانوا ينتقدونني فقط لمجرد كوني امرأة. وهنا كانت تغلب عليهم الثقافة الذكورية، لكن في النهاية رسوماتي أعجبت الجمهور الكبير، وفي الحقيقة هذا هو الشيء المهم".

وتم تكفير دعاء أثناء الاستفتاء على الدستور (أثناء حكم مرسي) بسبب أحد رسوم الكاريكاتير لآدم وحواء وأحد المتظاهرين الذي يقول لآدم وحواء في الكاريكاتير: «ما هو لو كنتوا قلتوا 'نعم' زي حلاتي مكنتوش طلعتوا م الجنة. معلش الدنيا حظوظ يا والدي!!». وتقول دعاء متحدثة عن هذا الكاريكاتير: الفكرة خطرت لي لأن في فترة الاستفتاء كان الإسلاميون يذهبون للناس ويقولون 'لو قلت نعم للدستور هتروح الجنة ولو قلت لا هتروح النار'". وتتوقف دعاء عن الحديث لترتشف قليلًا من الشاي ثم تستأنف حديثها: "المسلمون يعتبرون آدم نبيًا ولا يريدون أن يرسمه أحد في صور كاريكاتير ساخر. لكن الشيء الذي يجعل المرء يتوقف قليلًا مع نفسه هو أن مَن قام بالدعوة القضائية ضدي كان المركز القومي للحرية وهي هيئة أنشأها الإسلاميون خصيصًا للرقابة على الصحفيين والكتاب والمفكرين المصريين. المشكلة هي أن المركز يقوم بعكس ما يُفترض أن يدل اسمه عليه". وقد أنهت دعاء هذا الكلام بابستامة مرة.

ثم قامت دعاء بعرض رسوماتها المتناثرة على إحدى الطاولات الكبيرة في مكتبها الخاص، وأراهم يمثلون أشكال الظلم المختلفة التي تعرض لها المصريون في الشهور الأخيرة: فنجد السجن لمن عبر فقط عن رأيه (وكان رأيه مخالفًا لنظام الحكم)، والمحاكم العسكرية للمدنيين، واعتقالات الأطفال، وموضوعات تتعلق بالأقباط أيضًا وهم الأقلية التي تتم إساءة معاملتهم. وتقول دعاء في هذا الأمر: "الأقباط غالبًا يتم إجبارهم من الشرطة على ترك بيوتهم (والحي أيضًا في بعض الأحيان) إن كان عندهم مشاكل واحتكاكات مع مواطنين آخرين، مسلمين أقصد. وهي واحدة من الممارسات الظالمة في حقهم، لكنها للآسف موجودة بشكل كبير. أنا مثلًا مسلمة محجبة، لكن النساء التي أرسمها دائمًا في الكاريكاتيرات الخاصة بي، لا تَجدينَهنَ أبدًا يلبسن حجاب؛ وهذا بسبب رغبتي في أن أمثل كل المصريات مسلمات وغير مسلمات".

وتقول إنها تهتم بشكل خاص بمشكلة التحرش الجنسي أثناء المظاهرات وتؤثر في قلبها: "أنا أظن أنهم يدفعون لبعض البلطجية، في الغالب من المراهقين، حتى يهاجموا النساء في التحرير، وهذه طريقة يستخدمونها لكي يبعدوا المرأة عن المشاركة في الحياة العامة للبلاد. لكنهم يفعلون ذلك لتشويه صورة الميدان، رمز الثورة منذ عامين". ومن الرسومات التي أثارت الجدل والمشاعر بسبب قسوتها من ناحية الشكل ومن ناحية المحتوى صورة تتعلق بختان الإناث وهي واحدة من القضايا التي تؤرق المجتمع المصري. وتقول الفنانة دعاء عن هذه الظاهرة: "الختان موجود دائمًا سواء قبل الثورة أو بعد الثورة، والفرق هو أنه قبل الثورة كان جريمة والآن بعد الثورة الكثير من الإسلاميين يقومون بعمليات الختان دون أن يعترضهم أحد".

وكانت أفكار دعاء واضحة حيث ترى أن الأزمة في بدايتها وأنها لا محالة ستزيد، وتقول: "أحد الموضوعات الأساسية التي أعمل عليها هو الإدارة السيئة للبلاد من جانب الإخوان المسلمين. وأنطلق من ذلك الموضوع الصغير كي أتفرع لموضوعات محددة مثل أزمة السولار، وانقطاع الكهرباء، وسيناء التي أصبحت

عرينًا للمسلمين المتطرفين، ونقص العيش لكل المصريين. الأفكار تخطر لي من المعاناة اليومية الذي يواجهها الشعب يومًا بعد يوم".

إنها خائفة من المستقبل وتهز رأسها بخيبة أمل وهي تقول: "إن لم تتغير السياسة فلن يدوم هذا النظام. وهذا لسببين، أولًا: أسلوب المصريين تغير؛ فالناس أصبحت تحتج وتتحدث بكل صراحة عن كل ما لا يرضيها. وثانيًا: أصبح ضغط المواطنين يزداد تدريجيًا، وقريبًا جدًا سينفجرون.

وترى وهي متأكدة أن هذه الفترة هي الأفضل في مصر لممارسة الفنون الساخرة: "قد نكون نخاطر أكثر برسوماتنا التي تجعل الناس تفكر ولكنني سأستمر في نفس الطريق". في النهاية فإنها تحرص على عملها وعلى أن تعبر عن تضامنها مع المذيع الكوميدي والشعبي باسم يوسف، الذي تعرض للمحاكمة وبعض التحقيقات القضائية بدعوى تهديده للأمن العام وبدعوى سبه لمرسي والدين الإسلامي. وتقول: "استهدفوا باسم لكي يخرسوا كل مَن كان لديهم أفكار مختلفة عن أفكار الإخوان المسلمين، كانوا يريدون تخويف الناس ومنع انتقاد النظام في العلن. لكنهم مساكين: يفعلون كل هذا من أجل الأموال. وباسم اضطر أن يدفع مبلغًا ضخمًا من المال حتى يتم الإفراج عنه، لكنهم لن يستطيعوا إيقافنا، ومن المؤكد أنهم لن يوقفوا قلمي".

نوال السعداوي: الناشطة ذات الشعر الأبيض
يونيو 2013

أخذت تاكسي للتوجه لبيت نوال السعداوي، الناشطة المصرية التي تبلغ من العمر ثمانين عامًا، التي كانت موجودة أيضًا في التحرير في يناير منذ ثلاثة أعوام. شعرها أبيض، ونظرتها حادة، ووجهها صافٍ ولكنه ما زال يوحي بالنضال. ثم تنظر في عينيَّ وتقول لي: "الثورة المصرية مستمرة، الثورة لم تنته بعد". وليس لديها أدنى شك في ذلك فهي نوال السعداوي الكاتبة والمناضلة من أجل حقوق المرأة والطبيبة النفسية المصرية. وهي تحرص دائمًا على أن ترتب عناوين أعمالها وفق أهميتها فتقول: "أنا كاتبة قبل أي شيء وبعد ذلك تأتي الأشياء الأخرى. الآن أصبحت عجوزًا ولكن ما دمت حية سأظل أكتب وأعلن عن حقوق الجميع، رجالًا ونساءً".

تمت المقابلة في شقتها في شبرا وهو الحي الشبعي الشهير بالقاهرة الذي يسكن فيه المسيحيون بجوار المسلمين.

ثم تقول بصوت ثابت وبنظرات حادة ثابتة أيضًا: "أهم شيء هو أني كنت دائمًا أفكر بعقلي. وكنت دائمًا متمردة، وفي حياتي الشخصية على سبيل المثال طُلقت ثلاثة مرات. وفي مصر إن لم تكوني غنية - وأنا لم أكن غنية – لن تستطعي أن تصبحي كاتبة وزوجة في الوقت ذاته. هل تعرفين لماذا؟ لأن زوجك لن يقوم بالطهي لك أبدًا". وتبتسم الكاتبة نوال السعداوي بينما تقص عليَّ أمور حياتها الشخصية ودون أدنى تردد تقول لي بصوت عزب ومطمئن: "في النهاية ما بين الأمرين فَضَّلت اختيار أن أكون كاتبة: وهذا هو الأمر الذي أجيده بشكل أفضل".

وتقول أيضًا: "لم أستطع أن أكون زوجة بارعة، ولكن أعتقد أني كنت أمًا طيبة، وابنتي كانت حرة في اختيار طريقها. وهذا أمر لا يستطيع أن يسمح به كثير من الناس حتى الآن". ونوال السعداوي لا تحب إضاعة الوقت، ولا تحب إعادة المفاهيم التي سألها عنها آلاف الصحفيين من قبل، ولذلك فهي تتحدث عما هو مفيد مباشرةً: "في مصر المشكلة كلها ثقافية، لأنه هناك كثير من الجهل؛ ومعظم الأمهات تُعلم أولادها أنهم بمجرد أن يصبحوا كبارًا، لابد أن يتحكموا في زوجاتهم، لأنهم إن لم يفعلوا، أو لم يستطيعوا فعل ذلك، سيعتبر المجتمع هذا ضعفًا منهم. لكن على عكس كل ما يُمكن أن يتصوره الأجانب، في مصر هناك العديد من النساء القوية القادرة والمُستعدة للكفاح والنضال من أجل حقوقهن".

وتكمل حديثها بنظرة فيها لا مبالاة: "ثورة يناير 2011 غيرت كثيراً من الأشياء فيما يتعلق بهذا الأمر، قرر عدد كبير من السيدات أن يضعن حياتهن على أكفهن وأن يأخذن قرارتهن بأنفسهن، لكن المسيرة بدأت فقط لتوها وستزيد، خاصة في الوقت الحالي، تحت نظام الحكم الإسلامي. الثورة ساعدت النساء على معرفة قوتهن الحقيقية ولكن عليهن التحالف والاتحاد، والثورة مستمرة".

وقد قضت الكاتبة المسنة معظم حياتها في مكافحة ختان الإناث: "للأسف منتشرة حتى اليوم. أنا نفسي تعرضت لعملية الختان وأنا في السادسة من عمري، وأثارها موجودة في نفسي حتى الآن. وأنا متأكدة للأسف أن هذه العادة ستظل موجودة. ومع الإسلاميين عدنا 70 سنة للوراء. وأقول لكِ عن أشياء أكبر من ذلك: في بعض المناطق من الممكن أن يقتلوكِ إن اكتشفوا بعدم عذريتك ليلة الدخلة؛ لأنها مسألة شرف بالنسبة لأسرة العروس. ثم هناك أشياء أخرى غير معروفة، لكنها تحدث لإعادة العذرية للبنت ليلة الدخلة، وهي ورقة مساومة أساسية لبنات كثيرة لكي يظل لديها أمل في حياتها المستقبلية. هناك مَن تقوم بإعادة خياطة لغشاء البكارة قبل الزواج، وهي عملية غير مُكلفة (تُكلف حوالي عشرين يورو) ويقوم بها أطباء كثر في الخفاء، ويُمكن أن يقوم بها أيضًا أطباء أسنان؛ ثم هناك مَن تشتري غشاء بكارة صناعي (صُنع في الصين). وهذا نوع من الغشاء الجيلاتيني الذي يضمن – على الأقل مثلما يقولون – جعلها امرأة عفيفة، وذلك بخروج الدم عند فض غشاء البكارة الطبيعي".

وتؤكد نوال السعداوي أن جذور الجهل الكثيرة هي التي تُغرق النظام التربوي في البلاد: "النظام التربوي في أدنى مستوى. الأنظمة الحاكمة دون أي

استثناء يريدونه هكذا. حتى وسائل الإعلام تحاول دائمًا أن تحجب عقول الناس عن الواقع وأن تغيبها. لكن هذا لا يحدث في مصر فقط، يحدث حتى في إيطاليا. أنتم عندكم بيرلوسكوني الذي يمتلك كل قنوات التليفزيون ويصور الدنيا وكأنها حلوة أو سيئة مثلما يروق له. وأناس كثر في بلدك، يظنون أنفسهم أحرارًا لكنهم ليسوا بأحرار". ومن الواضح أنها تتمتع بذكاء خاص وتذهب مباشرة إلى صلب الموضوع: "عيوب المجتمع ليست فقط في مصر، لا، إنها موجودة في كل أنحاء العالم وهي الرأسمالية، والبطريركية، والفساد، والأديان – وخاصة الدين الإسلامي - لأنها كلها ظالمة مثلًا في حقوق المرأة". وانتقدت أمريكا: "في إحدى حلقات كريستيان آمانبور على الـ سي إن إن (CNN) قاموا بمنعي من خلال الرقابة؛ لأني قلت إن بوش وبن لادن توأم حتى إن لم يكونا مولدين توأمًا. لكن مَن أسس الأصوليين وجماعة الجهاد في أفغنستان؟ إنها أمريكا. وهي أمريكا التي تدعم الإخوان المسلمين حاليًا في مصر والأنظمة المختلفة في الشرق الأوسط".

ثم تعود لتتحدث عن المنع من العرض والرقابة في مصر: "تحت حكم مبارك لم أكن أستطيع نشر أي شيء. لكن اليوم أنشر في جريدة الأهرام، وهم يستخدمونني، ويقولون: نحن ديمقراطيون ونعطي للكل الفرصة للكتابة حتى نوال السعداوي. وبهذا يستخدمون اسمي المعروف في البلاد ليقولوا إنهم ديمقراطيون".

ثم تبتسم بمرارة وتختم حديثها: "هنا الرقابة أسوء من أي مكان آخر ومنذ عدة أيام، هددني أحد قادة السلفيين بالقتل بسبب أفكاري. وقام بهذا التهديد في واحدة من القنوات التي يشاهدها الكثير من الناس. إنهم يستخدمون

التليفزيون لإرهاب الناس وإخراسهم". وعن السؤال إن كانت تخاف على حياتها أجابت بحدة: "أنا لا أشعر بأي أمان من أي ناحية، لا في أمريكا ولا في مصر. لكني عشت تجارب كثيرة وصعبة في حياتي منها السجن والنفي وبذلك في سني هذه لا يمكنني القول إنني خائفة من أي شيء".

وفي النهاية ترسل بتحذير للحكومة الإسلامية: "لن تستمر كثيراً. أنا قابلت شبابًا إسلاميين في الفترة الأخيرة وينتمون لجماعة الإخوان وهم غير راضين عن مرسي وفقدوا الثقة به. المشاكل الاقتصادية ستقضي على النظام قريبًا: الإنتاج صفر، والبطالة زادت، لم يعد هناك حتى خبز للناس كلها. هذه الحكومة مستمرة في العودة بالبلد للوراء، عوضًا عن حملها لمستبقل مشرق. والناس بدأت تفهم كل هذا. وأيام محمد مرسي باتت معدودة".

في ميدان التحرير مع سمية، الطباخة الثائرة
يونيو 2013

وبعد عدة أيام من عزل مرسي، شرحت لي إحدى السيدات سبب انتظار مصر لـ 30 يونيو؛ فكان تاريخًا منتظرًا وحاسمًا لمستقبل البلاد.

إنه أحد المطاعم الصغيرة جدًا وبه أربع موائد صغيرة وله جدار بنافذة صغيرة تطل على المطبخ. وهناك يجتمع كثير من النشطاء في قلب القاهرة على بعد خطوتين من ميدان التحرير. إنه مطعم (فسحة سمية). وسمية هي صاحبة المطعم والطباخة نفسها. ومن المؤكد أن كل نشطاء القاهرة قد ذهبوا على الأقل مرة في عمرهم لهذا المطعم وتذوقوا طعامها وقضوا ساعات على الآرائك المريحة هناك وتحدثوا عن السياسة وعن الثورات.

وتغطي الملصقات والمنشورات الجدران؛ وبعض هذه الملصقات والمنشورات تنتقد وتسخر من الإخوان المسلمين، ومجموعة منها ضد التحرش الجنسي في البلاد، ومجموعة أخرى ضد المحاكمات العسكرية للمدنيين وضد الدستور الجديد المتأسلم وفقًا لرأي الكثير من الناس. وتنص بعض الملصقات المواجهة للإخوان على الآتي: «متعتبرنيش عدو» أو «أنا مش كافر»، وأيضًا «متقلقلش مني»، و«متخذلنيش». كلها ملصقات بألوان مختلفة مطبوع عليها شعار الإخوان المسلمين الذي يعرف بالسيفين المتقاطعين. وبمجرد أن يدخل المروء المطعم يجد على يمينه واحدة من المقولات التي لابد من الانتباه إليها لما لها من ألوان زاهية: «أنت إنسان ولا حيوان؟ ما تقومش بأي تحرش جنسي!». وبعدها مباشرة: «الدستور مزيف ومش شرعي». وإذا وضعنا في الاعتبار مساحة المكان الصغيرة فسنجد أن الجو عائلي للغاية.

سمية امرأة ذات جسد صلب، وعيناها تعكس ذكاءً حادًا، وتبتسم دائمًا، وهي أيضًا شخصية حاسمة وحازمة وقوية جدًا، على الأقل هذا ما يبدو عليها. تعمل دون كلل، وتعرف الجميع، وتقبل من يدخل مطعمها وتحتضنه، ثم تمزح وتتبادل أطراف الحديث. وأهم من كل ذلك أنها تنفعل بحرارة ويسهل استدراجها عند الحديث في السياسة. ويعتبر الكثيرون مطعمها - الذي يصل مساحته لـ 20 مترًا مربعًا - جهازًا لقياس حرارة المواطنين تجاه الحكومة الإسلامية. ولا يخلو مكتبها من المنشورات المطبوعة حديثًا لبعض الشباب الذين يحبون أن يطلق عليهم نشطاء، وكانت أشهر المنشورات تلك المنشورات الخاصة بـتمرد. والفضل في شهرتها طاهيةً وصاحبة مطعم يعود في الأساس للنشطاء الشباب: "لم يقوموا فقط بمساعدتي كي أفتح هذا المطعم، لا، فلقد قاموا بالدعاية أيضًا بالمنشورات وبالكلام عني وعن المكان، وفي وقت قصير أصبحت

ملجأ المعتصمين في التحرير، وبعد سنة من افتتاح المطعم احتفلنا كلنا معًا وكانت لحظة جميلة".

ويبدأ يومها في الثالثة عصرًا حيث تفتح المحل وتذهب لشراء مستلزماتها، وهناك دائمًا مجموعة من الرجال الذين ينتظرونها عند مدخل المحل لتبادل بعض الحديث معها حول السياسة وحول الـثلاثين من يونيو، وهو يوم المظاهرة الكبرى ضد الرئيس مرسي.

وتتحدث بنبرة صوت عالية وحادة وتحرك ذراعيها وهي تتحدث: "الآن أصبح هذا هو الطريق الوحيد للحوار"، وتشرح وهي تطهو وتحكي قصتها

المثيرة: "في البداية كنت أعمل في دار نشر، وفي أكتوبر 2011 فتحت هذا المطعم، وأثناء الثورة منذ عامين كانت مكاتب دار النشر التي كنت أعمل بها مفتوحة دائمًا للنشطاء. كنا نمدهم بالطعام وكنا نداويهم. ومن هنا عرفت كثيرًا منهم، وفي تلك الأسابيع الثلاثة كنت أعد ما يقرب من 500 ساندوتش في اليوم وكنت أحضر كمية هائلة من الوجبات الساخنة للمتظاهرين. وبعد سقوط مبارك كنت أعرف الكل والكل كانوا يعرفونني؛ ومثلما قلت لكِ، فقد قام الشباب بتشجيعي على أن أفتح هذا المطعم. وفي بادئ الأمر وضع كل فرد مبلغًا من المال، وبمفردي لم أكن لأستطع أن أفتتح هذا المطعم أبدًا". وحول دخولها لعالم السياسة تقول بوضوح: "كنت طوال عمري مهتمة بموضوعات السياسة كوني مواطنة من هذا البلد لكن لم أشترك طول حياتي في أي حزب محدد. أنا ليبرالية وهذا هو اتجاهي". ثم تبتسم وتقول: "لا أريد الإخوان في الحكم: فهم باسم الدين يعملون على إعماء الناس وجعلهم أكثر جهلًا".

وقصة سمية الشخصية ليست بالسهلة: "طُلقت من زوجي بعدما مات أبي، وأبي كان سلفيًا؛ ولم أكن أستطيع أن أحصل منه أبدًا على الموافقة على الطلاق ما دام حيًا. الطلاق الذي وصلت إليه أضاع علي كل حقوقي، واضطررت أن أعود للعيش مع أمي لأنه لم يكن أمامي أية اختيارات أخرى وقتها". ثم تؤكد أن الثورة شجعتها في حياتها: "عندما عدت لبيت أمي، طلبت مني أن ألبس الحجاب، لكنني لم أكن أشعر بالراحة، كنت أشعر بالضيق. وكان الاشتراك في الثورة من سنتين هو الأمر الذي أعطاني القوة وجعلني أستطيع التعبير عن نفسي بحرية من غير أي تأثيرات خارجية".

ولقد حازت سمية بشخصيتها الحاسمة والقوية للغاية احترام الناس في وقت قصير: "المرأة التي تعمل بمفردها دائمًا يتم الحكم عليها بشكل سيء. في البداية كان عندي مشاكل ليست بالقليلة، لكن بعد ذلك اكتسبت احترام الجميع في الميدان، وكنت نشيطة جدًا في الشارع قبل وبعد الأسابيع الثلاثة لثورة يناير 2011؛ على سبيل المثال أثناء تصادمات وأحداث شارع محمد محمود (المعروف أيضًا بشارع رسومات الجرافيت) في 2012 أنا ومجموعة أخرى من الناشطات وكلنا من النساء وقفنا في الصفوف الأولى، وكنا نسحب المصابين من الشارع ونحضرهم إلى هنا ونعالجهم ونطعمهم. قمنا بعمل كبير والناس اليوم تعترف لنا بذلك العمل دون تردد".

ودون أن تنتظر السؤال التالي تعود لتتحدث على الفور عن المستقبل القريب: "يوم 30 يونيو سأنزل التحرير مع ابني الذي يبلغ 17 عامًا. أنا أود الذهاب لميدان التحرير لأني متأكدة أنه سيكون أقل خطورة من المظاهرات التي كانت أمام القصر الرئاسي، وخائفة من أن تكون هناك اشتباكات عنيفة بسبب الإسلاميين".

ونشعر بأنفاس القلق في مطعمها في تلك الساعة: "الآن الناس عندما تأتي إلى هنا تتحدث مباشرةً وباستمرار في السياسة بصوت عالٍ وفي أحيانٍ كثيرة تتناقش أيضًا بحماس شديد. ومعظم الزبائن يتحدثون عن مشاركة الفلول في مظاهرات 30 يونيو؛ وهناك ناس مؤيدة لمشاركة رجال مبارك في المسيرة ضد مرسي، وناس آخرون غير موافقين على ذلك ويفضلون عدم الاختلاط بهم. ولكن في النهاية الناس قررت أنه كلما كان العدد أكبر كان أفضل لنجاح المظاهرات، بغض النظر عن تفكير كل شخص".

ومن الموضوعات الأخرى التي تحظى بالنقاش نجد أنفسنا أمام الشلل التام الذي أصاب البلاد، فتشرح مالكة المحل: "كل شيء متوقف في البلد والإجابة عن أي سؤال هي: انتظروا لكي نرى ماذا سيحدث بعد 30 يونيو. والناس تمزح أيضًا وتسخر كثيرًا: 'نقعد نقول للشباب اتجوزوا دلوقتي عشان بعد كده مش عارفين ايه اللي ممكن يحصل، يمكن النظام ينهار'". وتستفيض في الحديث عن هذا الموضوع: "أحد أصحابي قام بمقابلة لإحدى الوظائف ورد صاحب العمل كان: أنا موافق عليك، لكن التعيين والعقد متوقف على المشهد السياسي للشهر القادم. يعني هذا التاريخ أصبح نقطة تحول. الآن أصبح هناك 'قبل' و'بعد'. اليوم بات كل شيء متعلقًا بهذا التاريخ في كل المجالات". وتتوقف لقليل من الوقت ثم تستأنف كلامها: "لكن هذه ليست كثورة يناير، منذ سنتين ما حدث كان مثل الصاعقة وغير متوقع، لكن اليوم المواطنون مستعدون والناس كلها تنتظر يوم الأحد القادم من شهور. أمر واحد هو المؤكد: أشعر بالإحساس ذاته ونفس الأرق والقلق الذي تملكني في يناير 2011".

أما بالنسبة لجماعة تمرد فكان الرد حاسمًا كالآتي: "هنا فقط في هذا المطعم كان مكتبهم لفترة ليست بالقصيرة، وجمعنا 4700 توقيع ضد مرسي، يعني أقدر أقول إنهم ليسوا بقليلين". وهكذا اختتمت الطاهية الثائرة حديثها وهي تضحك بصوت عال وقد ظهرت عليها بوضوح علامات الرضا.

بهيرة جلال: ومحل المخبوزات المؤيد للسيسي
أكتوبر 2013

الشيكولاتة بكل أشكالها؛ الصغيرة، والكبيرة، والمستديرة، والمربعة. معظمها على شكل قلوب، بمختلف المذاقات وكلها معروضة للبيع في محل مخبوزات يذهب إليه الكثير من الناس في حي جاردن سيتي الذي يبعد خطوات قليلة عن ميدان التحرير. وتقول عن ذلك صاحبة محل المخبوزات بهيرة جلال: "كانت الزبائن معجبة في أول الأمر و سعيدة جدًا بهذه الفكرة الجديدة ؛ لأن كل الزبائن تقدر الفريق عبد الفتاح السيسي وتحبه".

هوس المصريين بالسيسي يتزايد، فنجد محال الذهب تبيع أساور وخواتم وعقود مكتوب عليها السيسي. ونجد أيضًا ملابس (تي شيرتات) السيسي تملأ شوارع المدينة، وليس هذا فحسب بل يمكن أن نجد بكثرة في قوائم الطعام

ببعض المطاعم «السيسي ميكس ساندوتش» أو «الماك سيسي»، كلها ساندوتشات تم ابتكارها تكريمًا للفريق السيسي. وبالإضافة لذلك تنتشر في أحياء وسط القاهرة البوسترات واللوحات المعلقة في أغلب الحالات على الحوائط في مداخل المطاعم، وتتناول هذه البوسترات واللوحات البطل القومي الجديد ونجد مكتوبًا عليها تحت صورة القائد العام للمجلس الأعلى للقوات المسلحة: «مصر ضد الإرهاب» أو «السيسي يحارب الإرهاب».

وتصف بهيرة جلال، وهي تبتسم، بأن ما يحدث حاليًا في مصر هي حالة من تمجيد القائد العسكري ليس فقط في الأماكن العامة وإنما أيضًا في الاحتفالات الخاصة: "هناك العديد من الناس الذين يأتون إلى هنا ليطلبوا منا للأفراح أو لأعياد الميلاد أن نجهز القاعات بصورة وزير الدفاع، أو أن نعمل التورتة خصيصًا بصورته؛ لأن كثيرًا من الأشخاص ينظرون له على اعتباره منقذ البلاد". ولقد بدأت مالكة المحل نشاطها هذا بعد ثورة 2011، حيث كانت قبل ذلك مرشدة سياحية، ولقد افتتحت هذا المحل في جاردن سيتي، وبدأت بصنع هذه الشيكولاتة الرائعة بعد عزل محمد مرسي.

وتشرح بهيرة نجاحها: "بدأت بيع هذه الشيكولاتة بعد أسبوعين من 30 يونيو، بعدما نزل الناس للميدان لتطالب بعزل مرسي، والحمد لله نجحنا في عزله". وقد كانت تقول هذه الكلمات بتعبير يدل على الرضا في وجهها. ثم تستكمل حديثها عن السيسي قائلة: "هناك شريحة كبيرة من الشعب وأنا أشعر أن الشعب كله يعتبره منقذًا، ويعشقه. وبعد 30 يونيو يمكنك أن تجدين صورته في أي مكان: في المطاعم، وفي المحلات، وفي الشوارع؛ يعني الأرض كانت

مهيئة لخطوة مثل هذه، أنا كنت أعرف أن خطوة مثل هذه كانت ستحقق صدى إيجابيًا عند الناس". ثم تقول إن المحلات التي تبيع بضائع أو أشياء عليها شعارات مؤيدة للسيسي أصبحت لا حصر لها في القاهرة، وتؤكد بابتسامة عريضة: "وطبعًا لست أنا الوحيدة في هذا المجال".

ومازال الجدل ثائرًا حول المشهد السياسي الذي حدث في البلاد مؤخرًا أي الـ 30 من يونيو؛ فيرى بعض الناس ما حدث ثورة شعبية، ويرى آخرون أنه انقلاب عسكري: "بعض زملائي في العمل قبل ذلك، أقصد، مرشدين سياحيين بدأوا يقولون إنه انقلاب عسكري؛ لكن بالنسبة لي لم يكن هكذا، لأنني كنت في ميدان التحرير ضد مرسي وكان معي الملايين من المصريين؛ ولذلك أردت أن أوضح لكل مَن يشكك في كونها ثورة أن الشعب معي، وفي الحقيقة فكرتي كانت ناجحة جدًا؛ فأنا ضاعفت بها المبيعات والزبائن الذين كانوا في بادئ الأمر متعجبين ومندهشين، عبروا بعد ذلك عن إعجابهم بهذه الحلوى الجديدة".

ولم تُخفِ بهيرة وجهة نظرها السياسية، بل حرصت على توضيح اختيارها في صناديق الاقتراع الأخيرة: "في الانتخابات الرئاسية الأخيرة أدليت بصوتي لعمرو موسى الذي كان وزيرًا في حكومة مبارك. وبما أن عمرو موسى خرج من الجولة الأولى، ففي التصويت بين مرسي وشفيق فضلت أن أنتخب شفيق. وعندما انتخبوا مرسي كنت مستاءة جدًا؛ ويجب أن نعرف أن الإخوان المسلمين لا يمثلون كل المسلمين في البلد. جماعة الإخوان المسلمين هي جماعة منظمة جدًا وكان هدفها الواقعي أن تحقق ديكتاتورية دينية". وقد كانت بهيرة حاسمة في استخدام التعبيرات.

وفي مدخل المحل توجد صالة كبيرة بها كل الإبداعات الجديدة من الحلوى، وبالقرب من المائدة التي يُعرض عليها الكعك يقوم شخصان من العاملين في المحل بوضع آخر الأشكال في أفضل صورها في واجهة العرض الزجاجية. واحدة من الكعك على شكل مربع بصورة كلها من الشيكولاتة لامرأة تقبل وجنة الفريق السيسي؛ وهناك كعك آخر على شكل لوحات من الشيكولاتة ينتج عنها بطاقة شخصية مصرية مكتوب عليها: «السيسي منقذ مصر»، أو «السيسي بطل» وأيضًا «السيسي لايك» وبجانب العبارة الأخيرة تظهر علامة الإعجاب ذات اللون السماوي الشهيرة على الفيس بوك. وهناك بضائع ومعروضات أخرى في مدخل المحل مثل: البالونات البيضاء والحمراء المرسوم عليها وجه قائد القوات المسلحة.

وتفتخر بهيرة جلال بعملها ولا تخفي إعجابها الشديد بالعسكريين وتقول وهي مبتسمة: "هؤلاء أصبحوا علامة للجودة. وأنا فَرِحة بذلك الاختيار الذي يقدره الأجانب أيضًا بشكل كبير". وعلى بعد أمتار قليلة توجد السفارة الإيطالية بالقاهرة، فتشير إليها السيدة بيدها وتختتم حديثها بسعادة: "الإيطاليون الذين يعملون هنا كلهم زبائن لنا ونعتز بهم، ويأتون هنا باستمرار وكانوا من أول الناس التي عبرت عن رضاها وإعجابها بالابتكارات الجديدة في الحلويات الخاصة بنا". ثم تحدثت عن تفاصيل صناعة هذه الحلوى فقالت بدقة: "نقوم بعمل 2 أو 3 كيلو من الشيكولاتة لحلويات السيسي كل الأيام. ويختلف السعر طبعًا، فيتراوح ما بين 5 إلى 10 جنيه (يورو تقريبًا)، هذا يرجع للحجم، أنتِ تعرفين أنه ممكن أن نصنع تورتة كبيرة (دورين أو 3 أدوار)، وتكلف أكثر لأن بها شغل أكثر". وبحماس كبير تشير للحلوى التي حققت مبيعات أكثر من غيرها: "هذه الشيكولاتات الصغيرة يتم استهلاكها بسرعة ونقدمها مع القهوة،

ولو جاءت أمهات مع الأولاد الصغار ننتهي من بيع علب كاملة في نصف يوم؛ والأطفال تتشاجر من أجلها، فبالنسبة لهم كأنها صورة يتم تجميعها، والأمهات في هذا الوقت تكون مسرورة وتريد أن ترضي رغبات أطفالها".

وعن سؤالها إن كانت قد أهدت وزير الدفاع بشيء من هذه المنتجات المبتكرة أو أية شخصية عسكرية، أجابت بهيرة جلال: "أرسلت علبًا للفريق السيسي شخصيًا لكن لا أعرف إذا كان قد استلمها أم لا، أتمنى أن تكون قد وصلت إليه. وأريد أن أحكي إحدى المفارقات التي تتعلق بالسيدة جيهان السادات أرملة الرئيس الراحل أنور السادات؛ أنا رأيتها ذات مرة مساءً في التليفزيون في أحد البرامج المشهورة في مصر؛ ومن الأشياء التي تحدثت عنها الشيكولاتة التي أصنعها، وحينها لم أستطع تمالك نفسي من الدهشة والفرحة؛ وعندها قررت صناعة شيكولاتات صغيرة بصورة السادات. وأرسلت تشكيلة للسيدة جيهان فيها صورة السيسي وصورة زوجها. وفرحت جدًا بها وشكرتني بنفسها".

إن هذه السيدة صاحبة محل الحلوى ليست بالخبيرة السياسية، ولكن ما يدعو للدهشة بشكل كبير هو فرحتها العارمة، فلقد أصبحت مشهورة بفضل شيكولاتة «السيسي» التي ذاع صيتها في المدينة: "عدت لتوي من لبنان، دعوني هناك في لقاء تليفزيوني للحديث عن عملي، وليس هذا فحسب، بل وعن الأجواء السياسية في مصر حاليًا بعد سقوط نظام مرسي. سأخبرك بشيء آخر، البي بي سي (BBC) اتصلت بي وصحف مصرية كثيرة اتصلت بي لاهتمامهم بخصوصية عملي التجاري".

وفي النهاية أرادت أن تؤكد أن السيسي هو الشخصية السياسية الأولى والوحيدة التي قررت أن تدعم وأن تروج لها عبر قطع الشيكولاتة الصغيرة: "لا أعتقد أني سأقوم بذلك مع أي شخص آخر، قبل ذلك قمنا بأفكار مثل هذه مع مغنيين وممثلين خصيصًا 'للفرفشة'؛ لكن لم نهتم على الإطلاق من قبل بالسياسة، لكن الآن عندما أصبح المرؤ قادرًا على التكلم بالسياسة بحرية وعوضًا عن التكلم والنقاش في السياسة في أي مقهى مثلما يفعل معظم المصريين قررت أن أعبر عن رأيي السياسي من خلال الحلويات".

ولقد وقعت بهيرة جلال على واحدة من الحملات الكثيرة التي تطالب الفريق السيسي بالترشح للرئاسة في الانتخابات القادمة: "أنا متأكدة أنه لو ترشح ستكون عنده فرص ممتازة لكي يصبح الرئيس الجديد. الناس يحبونه ونجاح تجربتي وعملي دليل واضح غير قابل للجدال".

المرأة وكرة القدم
نوفمبر 2013

"بدأت اللعب في الشارع مع أولاد آخرين عندما كان عمري 8 سنوات"، هكذا بدأت حديثها هاجر عادل محمد البالغة من العمر سبعة عشر عامًا، وهي إحدى لاعبات كرة القدم في الدوري المصري الممتاز، وهي تلعب في أقوى فريق نسائي في مصر، وادي دجلة الذي حصل على البطولة القومية لخمسة أعوام متتالية. وتستكمل حديثها: "عندما كنت صغيرة كانت كرة القدم عشقًا بالنسبة لي، لكني لم أكن أعلم أن كرة القدم النسائية موجودة على مستوى احترافي، ولم أكن قد سمعت عنها إطلاقًا، لا في الأسرة ولا بين الأصحاب، والتليفزيون لا يذيع تلك المباريات على الإطلاق. ثم شاركت وأنا في الحادية عشر من عمري في مسابقة نظمتها المدرسة، ومن هنا لأول مرة يلاحظني وينتبه إلي أحد المدربين، الذي هو الآن مدرب فرقتي. قد نلت إعجابه على الفور ومن هنا بدأ مشواري الرياضي". وقد أعربت عن ذلك بابتسامة تمتلئ بالحماس. وقد تدخل المدرب الذي كان موجودًا أثناء المقابلة ولم يستطع أن يتمالك نفسه فتدخل دون أن أسأله قائلًا: "هنا معظم البنات بدأن اللعب في ضواحي القاهرة مع أخواتهم وأصحابهم مثل الأطفال في البرازيل وفي دول فقيرة أخرى؛ وربما يكون هذا سر موهبتهم".

وكانت تتحدث بحماس واضح عندما عادت بذاكرتها للوراء: "عندما تم اختياري من النادي لم أكن أفهم معنى فريق أو تمرين، كانت كلها مصطلحات لم أكن قد استخدمتها من قبل". وقد كانت هذه المقابلة في نادي وادي دجلة الرياضي، ذلك المكان الذي تتدرب فيه الفتيات خلال الأسبوع. ويعد الجميع هاجر موهبة كبيرة، فهي الأصغر سنًا أيضًا؛ ومتوسط عمر اللاعبات يصل لاثنين وعشرين عامًا

تقريبًا. وتقف بالقرب منها زميلتها الأكبر منها بعام، نيفين التي تشرح الدافع القوي وراء عشقهم لكرة القدم: "نحن محظوظات لأن النادي يدفع لنا؛ ولا تفعل كل النوادي ذلك. أنا آخذ 1100 جنيه في الشهر (حوالي 120 يورو). من الممكن أن تفكر مجموعة من زميلاتنا في اللعب لنفسها ولحياتها الشخصية رغم أن الأب والأم كانا في أول الأمر معارضين للفكرة، لكن في آخر الشهر نحضر مالًا للبيت، لهذا صارت الأمور على ما يرام؛ لأنه بهذه الطريقة البنت توفر شيئًا من المال تساعد به في مصاريف الأسرة. وذلك دون شك عامل تحفيزي يزيد بشكل كبير المنافسة أثناء المباريات؛ لأننا لو خسرنا دورنا في اللعب كفريق، سنخسر كل شيء". وهكذا أوضحت نيفين وجهة نظرها وهي تلعب بكرتها دون أن تتوقف.

ويوضح المدرب أنه عندما تبدأ البنات باللعب في فريق وادي دجلة يحصلن في البداية على 600 جنيهًا شهريًا (تقريبًا 60 يورو)، أما في المتوسط بالمرتب الشهري يصبح 1200 جنيهًا (120 يورو تقريبًا)، بينما يحصل المدرب في الغالب على 3000 جنيه مصري (تقريبًا 300 يورو). والفتيات اللاتي يأتين من خارج القاهرة - في الحقيقة هناك فتاتان من الإسكندرية - لهن بدلات للتغذية والسكن والتنقلات. وعامةً في العاصمة يمكن للفتيات إيجاد ملاعب كرة قدم كثيرة مهيئة، بينما يعد خارج القاهرة جحيمًا للاعبات الكرة؛ وكما يشرح المدرب فإن الملاعب هناك مليئة بالحفر، ومرتبات اللاعبات هناك لا تتعدى المائة جنيه (10 يورو) في الشهر: "حتى تظهر اللاعبة هناك وتشتهر لابد أن تكون ظاهرة لا مثيل لها".

وعن السؤال حول مستقبلها وكيف تراه قالت هاجر إن لديها شكوكًا كثيرة بشأن ذلك: "إن تزوجت، سأحاول أن يكون هذا الأمر في وقت متأخر بأكبر شكل

ممكن؛ لأنني لا أريد أن أتوقف عن اللعب، أو ربما سأبحث عن شخص يستطيع أن يقبل باختياري في الحياة، لكنه لن يكون بالأمر السهل؛ بالنسبة للمرأة في مصر يصعب التوفيق بين الكرة والأسرة!". وتستكمل حديثها وترتفع نبرة صوتها قليلًا: "أن أجد زوجًا متفهمًا للدرجة التي أرجوها ويفضل الآخر على نفسه قد يكون تقريبًا أمرًا مستحيلًا". ومن الواضح أن أفكارها محددة جدًا فيما يخص هذا الموضوع وتعلن أن المشكلة الحقيقية في المجتمع وليست في الرجل: "المصريون غيورون جدًا ويحبون التملك؛ يعتبرون الزوجة ملكية خاصة. إن كان رب الأسرة لا يستطيع أن يديرها، يتم النظر إليه من العالم الخارجي للأسرة على اعتباره شخصًا ضعيفًا. يعني إن وجدت شخصًا متفهمًا، العقبة الكبرى ستكون متمثلة في المجتمع والأقارب والأصدقاء: سيمارسون عليه ضغوطًا حتى يجعلوني أتوقف عن لعب الكرة". ويتدخل المدرب الذي كان يستمع بانتباه لكلام هاجر ويقطع حديثها بضحكة صفراء مسرورًا، ويتدخل قائلًا: "هذه هي العقلية الشرقية، لا تلوموننا". ثم يغير الحديث.

وعلى الرغم من اعتبارها بطلة حقيقية، فإن عقدة حياتها الفعلية تتمثل في طبيعتها الصدامية مع الأسرة، فكما تحكي اللاعبة التي تبلغ سبعة عشر عامًا: "المشكلة الكبيرة كانت مع أبي وأمي، اضطررت أن أتشاجر كثيرًا معهما حتى أقنعهما بأني موهوبة؛ وخاصةً مع أبي الذي يعمل ميكانيكيًا ولديه الكثير من العمل، لكنه يرى أن المرأة ليست قادرة على العمل في هذه المهنة". وبنظرتها العذبة وبتنهيدة لم تستطع إخفائها قالت: "أحيانًا عندما نكون بمفردنا، يسألني أبي: هل هناك بنات أخرى تلعب معكِ؟ أو حتى إلى متى ستظلين تركلين الكرة هكذا؟ وحينها أجد نفسي أشرح له حياتي لكنني أشعر أنه للأسف لا يستمع لي في أغلب الوقت". ثم تتوقف عن الحديث فجأة، فلا تستطيع أن

تكون متشائمة ثم تظهر عليها ابتسامة عريضة تخرج منها طاقة كبيرة وتقول: "بعض أصحاب أهلي عندما يأتون البيت، عندنا لزيارتنا يستمرون في الثناء علي وفي تهنئتي؛ وهناك جملة محددة تُفرحني كثيرًا: يطلقون علي «أبو تريكة الصغيرة»". وتبدو عليها الفرحة وتختتم حديثها: "ولتعلمي أن "أبو تريكة" أقوى لاعب مصري: هو رمز في هذه البلد".

وفي كرة القدم أيضًا، كمثلها من المهن لا يوجد تفاعل بين الفتيات اللاتي تأتين من طبقات اجتماعية مختلفة: "البنات التي تنتمي لمستوى اجتماعي عالي في مصر تقول علينا أننا عندنا عنف ونحارب، وأننا نقول الشتائم أثناء اللعب؛ ولهذا أنا متأكدة من أن كثيرات منهن لا يحببن اللعب ضدنا في الملعب. في الحقيقة نحن أكثر إصرارًا؛ وللتحديد بالنسبة لهن الكرة هواية، لكن بالنسبة لنا هي حياتنا". وتتفق مع وجهة النظر نفسها لاعبات نادي المعادي اللاتي يلعبن في الدوري المصري الممتاز ب ويعده كل من له علاقة بكرة القدم النسائية أنه نادي الطبقة الراقية المصرية. واللاعبات هنا في الحقيقة لا يتحدثن فقط الإنجليزية بطلاقة ولكنهن ملتحقات بأفضل جامعات القاهرة. تقول سهيلة وهي إحدى اللاعبات: "نحن كلنا من أحياء راقية وكرة القدم رياضة جميلة، أحبها كثيرًا لكنني لأن أستطيع الاستمرار فيها؛ بعد الزواج حتمًا سأتركها. سأهتم بتربية أولادي، لأن التربية عمل لا يتفق مع عشق كرة القدم".

في نادي المعادي لا نجد ذلك الشعور بالإصرار الملموس لدى اللاعبات على عكس لاعبات وادي دجلة. وبينما تحل أربطة الحذاء بعد المران ترتفع بنظرها لمن تتحدث وتبتسم ثم تقول: "عندما كنت صغيرة حلمت بأني أصبحت بطلة. ولن أتوقف أبدًا". ثم تقف على قدميها وتبتعد وتسير على الملعب وأرضه الترابية، وتنصرف.

الفصل الثاني
الإسلاميون

مقدمة

عندما وصلت إلى القاهرة كنت أظن أن الإخوان المسلمين هم السلفيون أنفسهم، ولكني لم أكن قد قابلت أحدًا منهم من قبل. كنت أعرف بقصتهم، ولكن لم تكن قد أتيحت لي الفرصة للاقتراب منهم أو إجراء لقاءات معهم. وكنت أقوم بعملي في القاهرة بمساعدة مرافق، أي شخص أثق به ويساعدني عندما أتحرك في مختلف الأنحاء، ويترجم لي في اللقاءات، وكان بالطبع يقلل من المخاطر التي يمكن أن أواجهها خاصةً أثناء المظاهرات والتشاحنات والثورات. وأصبحت لا أستغني عن هذا الشخص عندما اطلعت على عالم الإسلاميين. فليس من السهل بالنسبة لامرأة صحفية غربية أن تتواصل معهم أو تقترب منهم. وكان ضروريًا وجود وسيط، رجل مصري، لإتمام هذا العمل على أرض الواقع. والإسلاميون الذين قابلتهم في السنوات الثلاثة الأخيرة المليئة بالأحداث السياسية كانوا كثيرين، ولهم شخصيات مختلفة جدًا، فمنهم: أحد قادة حزب النور السلفي، والداعية الإسلامي المتعصب الذي مزق وأحرق الكتاب المقدس للمسيحيين أمام السفارة الأمريكية بالقاهرة يوم 11 سبتمبر 2012 واسمه أبو إسلام، وأحد مقدمي البرامج بالقناة السلفية «الناس»، وأحد الرجال الذين خططوا لاغتيال السادات، وهو أحد قادة الجماعة الإسلامية المتطرفة طارق الزمر، وواحد من الإخوان المسلمين الذين نجوا من مذبحة 8 يوليو أمام مقر الحرس الجمهوري، وآخرين.

لا أستطيع أن أخفي الصعوبات، كوني امرأة غربية، في إجراء المقابلات الصحفية مع بعض المتطرفين الإسلاميين، ففي لحظة التحية كان هناك دائمًا شعور بالحيرة؛ فالبعض مثل أبو إسلام لا يسلمون بالأيدي لا علي ولا على مترجمي المصري أو أثناء المقابلات كانوا ينظرون بأعينهم لأعين المترجم المصاحب لي، على الرغم من قيامي أنا بإلقاء الأسئلة، وكانت أنواع أخرى من المشاكل لها علاقة بالملابس. أتذكر مثلًا أنه

عندما دخلت إلى استديو أبو إسلام الإسلامي المتعصب لم يقبل بمقابلتي رغم أنني كنت أرتدي ملابس تغطي كل جسدي من الرأس إلى الأمام؛ فتحتم عليَّ أن أضع حجابًا يغطي حتى رقبتي وإلا لما قام معي بأية مقابلة صحفية.

ومما تعلمته أيضًا أن الإخوان المسلمين كانوا دائمًا دبلوماسيين على الصعيد السياسي، وخاصة القادة منهم كانوا يعرفون اختيار الألفاظ التي كانوا يستخدمونها مع الصحافة الغربية، ولعلهم يقومون بهذا لعدم استثارة الصحافة الخارجية وعدم إفزاعهم بتصريحات دينية من الطابع المتطرف. وعلى العكس فإن السلفيين، على الأقل بعد ثورة 25 يناير، كانوا مباشرين وليس لديهم، بأي شكل من الأشكال، الطابع السياسي في لغتهم: فهم عندما يتحدثون بالسياسة يبدون أكثر سذاجة. كانوا يقولون بشكل مباشر كل ما كانوا يفكرون فيه أو يريدون قوله دون المراوغة كثيرًا بالكلمات. والمقابلة مع محمد نور، أحد القادة السلفيين، لم تترك مجالًا للتفسيرات أو التأويلات: "نحن نريد تطبيق الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة: تربية، عمل، تجارة، ترفيه. أعني في الحياة الشخصية والعملية فبالشريعة الإسلامية فقط يمكننا أن نحل مشاكل هذا البلد. والشريعة ليست ضد أحد، لكنها في صالح الجميع. [...] لا يمكن القيام بإصلاحات تخالف الشريعة الإسلامية. ونحن على أتم الاستعداد للحوار مع من لا يتقبلها أو لا يعترف بها". وقد تغيرت وجهة نظرهم السياسية بشكل ملحوظ على مدار السنوات الثلاثة الأخيرة: وليس سرًا بالطبع أن من عوامل سقوط الإخوان ورئيسهم محمد مرسي هو تراجع السلفيين عن تأييدهم. وقد اقترب السلفيون من العسكريين في الشهور الأخيرة من حكم مرسي.

والمقابلة الأخيرة في الفصل الثاني كانت مع أحد الناجين من مذبحة الحرس الجمهوري يوليو 2013. وقد أثرت هذه المقابلة مع سيد عيسى حميد فيَّ كثيرًا، وهو

أستاذ جامعي بجامعة القاهرة. وهو رجل عاقل ومهذب قصَّ عليّ بالتفصيل كل ساعات معاناته: بداية من الصلاة، ثم المذبحة، وصولًا إلى التعذيب البدني والنفسي الذي تعرض له أثناء الاعتقال. وأعتقد أن هذا التاريخ الحزين يمثل أكثر اللحظات ظلامًا في تاريخ مصر. وفي النهاية قال لي سيد شيئًا يجب أن نتأمل فيه مليًا في مصر: "لم يتصل بي أي صحفي مصري ولم يطلب أحد مني أن أحكي تجربتي الشخصية. كل الصحفيين يحللون ويتوقعون ولا أحد ينقل الحقائق كما هي. أنا عشت الحقيقة بنفسي" وهنا يُظهر لي الإصابات العديدة التي كانت تحت ملابسه. ثم قال: "هذا الكلام ليس مجرد دعاية. [...] والتصريحات التي يقدمها الليبراليون أو الإسلاميون الموالون للنظام هي التصريحات التي يريد النظام لها أن تُعرف. كانوا يريدون القيام بمذبحة وبالفعل قاموا بذلك". وكان من الصعب إلقاء اللوم على رجل رأى الموت بعينيه، وليس ذلك فحسب، ولكنه كان شاهدًا على موت مئات من الضحايا من المواطنين.

وفقرات هذا الفصل تمثل مجموعة من القصص التي ترتبط كلها بالعالم الإسلامي المتنوع والمختلف داخله، ومن الأخطاء الواضحة الحكم على هذا العالم فقط عن طريق بعض القادة الذين يديرونه، ففي الواقع الموضوع يتعلق بذلك العالم الإسلامي وتلك المجموعة المتنوعة كثيرًا بداخلها التي تتكون، كغيرها من المجموعات، من متطرفين ومعتدلين، من رجعيين ومتحضرين. والحكم على هذا العالم من خلال تصريحات قادة متطرفين فقط ليس فقط من الخطأ ولكنه يساعد على تكوين صورة غير حقيقية ومضللة. والصفحات التالية لا تهدف إلى شرح هذا العالم أو تحليله، ولكن تهدي للقراء صورًا على هيئة رسوم. إنها صور تتناول أجزاءً من الواقع، ذلك الواقع الذي عشته وتنفسته والذي أحمله معي يومًا بعد يوم. إنها حقيبة ثقافية يمكن الحصول عليها فقط بالعيش في هذا البلد، وليس بالقراءة عنه في صفحات الجرائد.

سَلفيو النور يصرخون: "نحن شعب مصر الأصيل"
8 أغسطس 2011

يتحدث محمد نور أحد قادة الجناح المتطرف للجماعة الإسلامية: "ليس هناك ليبراليون. وقد عبرت وسائل الإعلام عن وجهة نظر الأقلية". ولا تتضح أية اختلافات في البرنامج السياسي: "نحن نريد تطبيق الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة". وعن احتمالية فوز سيدة بالانتخابات: "النساء لها أدوار محددة في المجتمع وللرجال أدوار أخرى. وعلى كل منهم أن يبقى في المكان المناسب له".

ويستكمل حديثه قائلًا: "في مصر لا يوجد ليبراليون؛ هذا اختراع أوروبي وهي فكرة تعجب العالم الغربي كثيراً. على الأكثر هناك مسلمون ليبراليون، إن أردنا أن نطلق عليهم ذلك، ولكنه عدد لا يُذكر، أقلية واضحة". وهذه هي كلمات محمد نور، وهو أحد قادة السلفيين في مصر والمتحدث الرسمي باسم حزب النور.

ومحمد نور رجل طويل القامة وقوي الجسد وطويل اللحية وقصير الشعر. لديه علامة سمراء كبيرة في جبهته؛ وهي كما شرحوا لي علامة لدى المسلمين الأكثر التزاما والذين تحتك رؤوسهم بالأرض في صلاتهم، وبما أنه جزء حساس من الجسد تظهر هذه العلامة التي تشبه كدمة سمراء في جبهة الرأس. وبذلك يتم تقديرهم واحترامهم في أي مكان يذهبون إليه في كل بيئات المجتمع.

ويمتلك محمد نور مكتبًا كبيرًا ليس ببعيد عن وسط القاهرة، ويصل إلى مكتبه في تمام الحادية عشر؛ ولكن مع بدء شهر رمضان تتغير إيقاعات العمل والكثير من القاهريين لا يبدأون العمل قبل الساعة الحادية عشر.

يبدو عدم رضا محمد نور عن دور وسائل الإعلام بشدة - على سبيل المثال وسائل الإعلام العالمية – أثناء وبعد الثورة المصرية، فيقول: "وسائل الإعلام، بما فيهم الجزيرة، قاموا بعرض بعض صور الثورة، ونشروا معلومات ذات ميول غربية على هوى أمريكا. ولقد مثلوا وجهة نظر أقلية لا تعكس آراء البلد كاملة.

وفيما يخص وجود السلفيين في كل أنحاء مصر، كانت أفكار محمد نور واضحة: "نحن موجودون في كل القرى الصغيرة المصرية وليس فقط في المدن الكبيرة. وفي القاهرة لدينا ثلاثة مكاتب، في الإسكندرية لدينا 30 مكتبًا. ويمكنني القول إنه لا توجد أسرة مصرية إلا وبها عنصر سلفي". ويقول: "دخلت الجماعة في السياسة بعد الثورة ولديها الآن تابعون ومؤيدون كثر. وفي البداية كنا ضد الثورة ولكن بعد أن فهمنا أنها لم تكن فقط فوضى، ولكن كان لها وجه إيجابي حقيقي، ولقد شاركنا فيها". ويستكمل حديثه: "ولقد نزلنا نحن أيضًا للميدان بداية من 29 يناير. وكان هناك الكثير من الإخوان المسلمين. ولكن الآن لم نجد إجابات ملموسة ولهذا نريد أن تتم الانتخابات في أسرع وقت ممكن، من أجل الخير لجميع المواطنين". وعن علاقة السلفيين بالإخوان المسلمين فلم يرغب محمد نور بالتطرق إلى التفاصيل، فقال: "هناك تعاون بين الجانبين، ولكن التفاصيل مختلفة، لدينا صفات مختلفة. فهم لهم تاريخ سياسي أصيل، أما نحن على الصعيد السياسي فقد ولدنا فقط الآن. ولكننا نكبر بسرعة".

ومتحدثًا عن مظاهرات يوم الجمعة الموافق 29 يوليو، التي نظمتها الجماعة الإسلامية، علق محمد نور معبرًا برضا: "كان هناك في الميدان 6 ملايين من المصريين: إننا نحن الشعب المصري، إنها مظاهرات منظمة وليست كتلك المظاهرات التي يقوم بها مَن يطلقون عليهم المسلمين الليبراليين، ومظاهراتهم هذه على العكس فوضى كاملة". وحول إخلاء ميدان التحرير الذي قام به العسكريون، علق الرجل السلفي غير مندهش: "الاعتصام في الميدان كان قد أصبح مشكلة لكل تجار المنطقة الذين اشتكوا. وقد كانت هناك مواجهات عنيفة في الأيام الماضية بين البائعين والنشطاء. وهؤلاء النشطاء ضعفاء وقليلون، وعلى الأغلب لن يعودوا مجددًا للميدان".

والبرنامج السياسي ليس حوله أدنى شكوك: "نحن نريد تطبيق الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة: التربية، والعمل، والتجارة، والتسلية؛ فنحن نريد التطبيق سواء على الصعيد الشخصي أو على صعيد الحياة العملية. وفقط عن طريق الشريعة الإسلامية يمكن حل مشكلات هذا البلد، وهذا ليس ضد أحد، ولكن لصالح الجميع. وعلى الغرب أن يعرفوا ديننا جيدًا قبل أن يحكموا عليه، وهو مظهر من مظاهر حياتنا يتعلق بكل شيء. ولا يمكن القيام بتعديلات تخالف الشريعة الإسلامية، ونحن على استعداد للنقاش مع مَن لا يقبلها أو لا يعترف بها".

وحول الموضوعات الشائكة - كوضع النساء والعلاقات مع الديانات الأخرى - كان محمد نور مراوغًا في الرد على الأسئلة حتى وإن ظهرت الأفكار المحافظة بقوة: "السيدات لها أدوار محددة في المجتمع وللرجال أدوار أخرى. وعلى كل

منهما البقاء في موضعه الأنسب له". وتحت ضغط، أجاب محمد نور متعصبًا: "الإجابة بنعم أو بلا بشكل قاطع عن أسئلتك ليس بالشيء الديمقراطي، وبالتالي لن أجيب". وحول إمكانية أن تكون امرأة - الديمقراطية بثينة كامل - هي من ستقود مصر، كان جواب محمد نور قاطعًا: "بثينة كامل ليس لها شعبية على الإطلاق في البلد، والناس لا تقدرها. والآن قد أقحمت نفسها في عالم السياسة، ولكن ليس لديها أية فرصة للفوز. ولديها ماضٍ على الصعيد الشخصي يتحدث عنه الجميع، فهي بعيدة كل البعد عن طريقة المصريين في الحياة". وكانت الانتقادات حادة أيضًا تجاه المرشحين الليبراليين: سواء كان الحاصل على جائزة نوبل للسلام والمدير الأسبق لوكالة الطاقة الذرية محمد البرادعي أو عمرو موسى الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية وهو السياسي والمرشح الليبرالي في الانتخابات الرئاسية: "هؤلاء لا يتم الاعتداد بهم كمصريين، فهم لا يحظون بدعم من جانب الشعب ويبعدون كل البعد عن الناس. وعلى سبيل المثال: البرادعي، بفضل الثورة، استطاع أن يجد فرصة للحصول على تقرير شخصي - بما أنه ليس له عدد كبير من المؤيدين - أراد أن يكسب مزيدًا من الوقت حتى يرتب أوضاعه على حساب المواطنين جميعًا. ولكننا على العكس نعمل لصالح الناس، ونريد الانتخابات على الفور".

"نحن الإخوان المسلمون، سنسيطر على ميدان التحرير"
27 نوفمبر 2011

في مصر وفي الانتخابات الأولى بعد الانتفاضات في يناير الماضي وسقوط مبارك، أعلن الإخوان المسلمون عن ثقتهم بنتائج أكثر من طيبة لحزبهم «الحرية والعدالة». ويقولون: "أولئك الذين ينتخبوننا لا يتعاطفون مع الموجة أو التيار ولن يدعوا أحدًا يسحبهم من أيديهم ولن يستمعوا لمَن في ميدان التحرير، ولن يسمحوا حتى لرجال مبارك بالاستمرار في الحكم". وقد أكد الإخوان المسلمون أنهم يسعون لحصد نصف المقاعد الانتخابية.

وقد تحدث عن الوضع أحد المتحدثين الشباب للصحافة من مكتب الإخوان المسلمين لحزب الحرية والعدالة: "ما كل هذا الظلم! المصور يأخذ في الكادر جزءًا من الميدان، ذلك الجزء الذي يملأه ناس أكثر. أما باقي الميدان الفارغ لا يظهر في الكادر". ويبدو من تعليقه هذا أنه معارض ومستاء من المظاهرات في هذه الأيام بميدان التحرير، حتى إنه يغير القناة التليفزيونية.

ولم يشارك حزب الحرية والعدالة – الحزب الذي من المتوقع أن يكون صاحب النصيب الأكبر من الأصوات في الانتخابات القادمة – في المظاهرات التي تتم منذ عدة أيام في ميدان التحرير. ومن الواضح أن التنظيم الغني والقوي للإخوان المسلمين بحزبه الحرية والعدالة عازم على الفوز بنصف المقاعد في الانتخابات.

وفي مقر حزب «الحرية والعدالة» لم يرغب محمد سعد الكتاتني قائد الحزب في القيام بأية مقابلات صحفية. كان متعصبًا وهز رأسه قائلًا: "ليس لدينا وقت؛ فغدًا عندنا انتخابات، اتخذوا ميعادًا المرة القادمة". ولكن بعدها بقليل وافق الدكتور محمد البلتاجي، المتحدث الرسمي باسم الحزب في القاهرة كلها، على التحدث. ورغم أنه كان يتحدث الإنجليزية ولكنه فضل الإجابة باللغة العربية؛ وعن عدم مشاركتهم في مظاهرات التحرير قال: "لا نريد أن نكون جزءًا من الأزمة أو أن نكون متواطئين معها، ومع الفوضى ومع موت كثير من الناس التي لقت مصرعها في الأيام الأخيرة. وهناك طريقان للتقدم على التوازي غير متعارضين: الانتخابات والثورة. هدفنا هو الانتخابات لكي نوفر الأمن والاستقرار للبلد. شبابنا يشارك في المظاهرات في الميدان وهم أحرار في ذلك، ولكن هذا ليس بالحل الأكثر حكمة في الوقت الحالي الذي نعيش فيه حالة قوية من عدم الاستقرار".

واستكمل قائلًا: "نحن في «الحرية والعدالة» نريد أن نكون جزءًا من الحل ليس جزءًا من تحطيم الأمن أو من الغياب الكامل للأمن. هناك نهر من الدماء منذ أيام في الأنحاء المختلفة للبلاد، لن نتورط في هذه المذبحة". وحول إمكانية خسارة الكثير من الأصوات بسبب هذا القرار غير الشعبي، علق البلتاجي قائلًا: "لا أظن أننا سوف نخسر عددًا قليلًا من الأصوات؛ لأن مَن يُعطينا صوته يعرفنا جيدًا منذ زمن ولا يُحكم بالظاهر بناءً على الوضع الحالي. نحن عندنا الناس التي تنتخبنا والمخلصة لنا وتعترف بمبادئنا".

ويرى الكثير من الناس أن الانتخابات القادمة ستكون غير منضبطة ومزورة لأنها لن تكون مراقبة من أي جهة دولية أجنبية محايدة. ومن سيتولى أمر

الانضباط هم الأشخاص أنفسهم الذين كانوا متواجدين على الساحة في عصر نظام مبارك: رجال الشرطة، ومسؤولون، وضباط. وهذا يتم برغبة واضحة في محاولة النظام السابق للحفاظ على وضعه كما كان قبل الثورة، والذي يبدو كما هو حتى اليوم رغم ما قامت من أجله ثورة يناير. واستأنف البلتاجي حديثه: "المصريون شعب ذكي، ولن ينتخبوا السياسيين المنتمين للنظام السابق أو للحزب الوطني، حزب مبارك، لن يسمحون لهم بالاستمرار في السلطة".

ومع هذا يشاركون في الانتخابات، فربما يتم انتخابهم. ويرى بعضهم أن الإخوان لديهم علاقات واتصالات مع رجال مبارك، أي رجال النظام السابق. فيقول البلتاجي: "أعداؤنا يظنون أننا قمنا باتفاقات معهم خلف الأبواب المغلقة، لكن هذا غير صحيح. الذين يكرهوننا هم مَن يقولون ذلك لعمل 'بروباجندا' سياسية على حسابنا". وعن المبادرة التي قدمها البعض من ميدان التحرير حول وضع البرادعي رئيسًا للوزراء بدلًا من رئيس الوزراء الحالي كمال الجنزوري الذي يبلغ من العمر 72 عامًا، رد قائلًا: "إنه غير حقيقي أن كل المتظاهرين يريدونه. إنها صورة سياسية ضيقة لمجموعة صغيرة جدًا". ثم أوقف حديثه ولم يرغب في الإجابة عن الأسئلة بعد ذلك وقال إن الوقت قد انتهى.

يصيح المتظاهرون في ميدان التحرير بصوت عالٍ معبرين عن رغبتهم في دولة مدنية. وكان هذا هو الهتاف والشعار في الميدان، وقام الإخوان بإضفاء تفسيرات غامضة لها. فبالتأكيد هذا ليس شعارهم، فالإخوان مازالوا عند رفضهم التام لفكرة المجتمع العلماني، وقاموا بممارسة ضغوط قوية لتعديل نص «وثيقة مبادئ الدستور» التي قامت عليها الحكومة الحالية: وقد نجحوا في

إزالة مصطلح «دولة مدنية» وهو المصطلح المماثل بالنسبة لهم لفكرة العلمانية، كمصطلح الدولة الديمقراطية. وكان مصطلح «الدولة المدنية» مستخدمًا بشكل أساسي من المواطنين في الثورة للتعبير عن رفضهم لمبدأ النظام العسكري.

وغدًا سيتم التصويت في الانتخابات البرلمانية الأولى بعد خلع مبارك، ويظل ميدان التحرير رمزًا للتغيير يواجه مقاومات وقوات أكبر منه. وفي جماعة الإخوان المسلمين يعرفون أن ميدان التحرير أصبح عدوًا لهم، ولكن يبدو أنهم ليسوا مفزوعين منه.

"في مصر فزنا ونريد الشريعة"
2 ديسمبر 2011

حصل الإخوان المسلمون على 40% من الأصوات وحزب النور السلفي على 25% في الانتخابات الأولى في مصر بعد سقوط مبارك. وقد خرج شباب ميدان التحرير ومليونير شركات الاتصالات ساويرس مهزومين في صراع الانتخابات. وكان الفائزون الحقيقيون هم أصوليو حزب النور الذين أعلنوا عن نفسهم قائلين: "نحن المسلمون الأقرب للنصوص المؤسسة للإسلام: القرآن والسنة. وعندما يوجد النص ليس هناك حاجة لتفسيرات أو نصائح".

وقد كان ظهور السلفيين مفاجأة حقيقية للانتخابات الديمقراطية الأولى في مصر، ولهم الحزب الثاني في البلاد بعد حزب الإخوان المسلمين. ولقد حصل في الحقيقة حزب الحرية والعدالة على 40% من الأصوات، ثم جاء بعده حزب النور السلفي بـ 25%؛ بينما توقفت الكتلة الليبرالية عند 18% وباقي الأحزاب معًا حصلت على 12% من الأصوات. وكانت هذه هي الإحصائيات الصادرة عن اللجنة العليا لوزارة العدل المشرفة على الانتخابات. وقد صرح نبيل قدري أحمد، رئيس تحرير الصحيفة السلفية «النور» وأحد قادة الحزب ذاته، في لقاء بيني وبينه في مكتبه بالمعادي أحد الأحياء الراقية بالقاهرة وقال: "سنقوم بتعديلات باتفاقية السلام مع إسرائيل. وسنعدل ما نراه غير صحيح".

وقد استأنف حديثه حول الموضوع نفسه وكان يبدو عليه الغضب؛ لأنه لم يكن يرغب في التعمق في هذا الموضوع فقال: "اتفاقية السلام مع إسرائيل بها نقاط يجب

أن يعاد النظر فيها، على سبيل المثال المسألة التي تخص تصدير الغاز الطبيعي؛ فمصر تصدر الغاز لإسرائيل بسعر زهيد، وهذا غير عادل. ونحن لن نتبع هذه النقاط من الاتفاقية لأنه تم الاتفاق عليها بشكل غير قانوني خلف الأبواب المغلقة مع النظام القديم. وأنا لا أفهم لماذا أنتم في الصحافة العالمية لا تسألون عن أي شيء له علاقة بحقوق فلسطين، لماذا تقلقون فقط من أجل إسرائيل؟".

يريد السلفيون تطبيق الشريعة الإسلامية ويعتقدون أنه سيكون من الأفضل تطبيق الشريعة الإسلامية في مصر: "الانتخابات توضح أن الشعب المصري يريد الإسلام بقوة: ولقد صوتوا للإسلام. إنهم يريدون الدين أكثر من أي شيء آخر، وهذا يظهر بشكل واضح من نتائج الانتخابات". والأمثلة على تطبيق الشريعة الإسلامية في بلدان أخرى لا تقنع السلفيين، فيشرح نبيل قدري أحمد: "في تركيا فقدوا القيم القائمة على الأخلاق. وقد فضلوا على الحس الديني حرية أكبر على الصعيد الاقتصادي في الحياة اليومية. وفي السعودية المواطنون متدينون ولكنهم يطالبون بمزيد من الحقوق. ولا يطبقون الشريعة الإسلامية بشكل أمين، فهناك مصالح كثيرة مرتبطة بالبنوك". وبذلك نجد أن كل دولة لها مفهوم مختلف لتطبيق الشريعة، التطبيق الأمثل بالنسبة للسلفيين المصريين سيكون في مصر.

وفجأة يرن هاتف نبيل قدري أحمد، وكان الآذان هو الرنة التي وضعها لهاتفه المحمول. وهذا الآذان هو النداء لصلاة المسلمين في المساجد. وهنا يجيب على الاتصال الهاتفي ثم يعتذر ويستأنف حواره؛ ويهاجم بشكل قاطع مليونير الاتصالات نجيب ساويرس وهو مؤسس حزب المصريين الأحرار الليبرالي: "لا بد أن تعرفوا أنه يشجع الغرب على العمل ضد المسلمين المصريين". ويستخدم الكمبيوتر الخاص به، ويطلعني على موقع الحزب السلفي، وفي الصفحة

الرئيسية نقرأ: «الحملة الصليبية الشريرة لساويرس تشجع الغرب على محاربة المسلمين» ونرى رمز المجموعة الليبرالية المعروفة باسم الكتلة المصرية ونرى تحتها عبارة: «تحالف الصليبيين». وبالتالي يبدو جليًا أنهم لا يريدون أن يكون لهم أي نوع من العلاقات مع المجموعة الليبرالية المصرية.

ويتلاشى التوتر الذي كان يظهر في البداية بسبب المقابلة. وكان نبيل قدري أحمد يعمل في قطاع البناء والتعمير قبل أن يشغل منصب رئيس تحرير الصحيفة السلفية. وهنا تحدث بحرية وقال مبتسمًا: "لو تحبين يمكنك دخول الإسلام، ونحن نساعد الشباب الذين يعتنقون الإسلام: بعمل وسكن". وبالفعل هناك منظمة مصرية اتجاهها الأساسي هو إدخال المسيحيين في الإسلام. وهذا النوع من المنظمات يعمل في كل أنحاء العالم، وخاصة في أفريقيا. والمقر الرئيس يوجد في السعودية. ويختتم حديثه معي قائلًا: "إن أردتِ الدخول في الإسلام لديك رقمي، باستطاعتك الاتصال بي حينما تريدين". وقبل أن ينهي اللقاء أعطاني نسخًا من صحيفته التي يفتخر بها كما يبدو عليه. ويسلم بيده على الرجال الموجودين في مكتبه، بينما للسيدات تكفي تحية برأسه.

وأعلن قادة حزب الحرية والعدالة وحزب النور السلفي عن استعدادهم لتكوين حكومة تآلف وفقًا لنتائج الانتخابات البرلمانية. وبعد خروج متظاهري ميدان التحرير مهزومين في سباق الانتخابات البرلمانية، قاموا بالخروج في مظاهرات جديدة لإحياء ذكرى شهداء الثورة وأعلنوا أنهم لن يتركوا الميدان. والآن فإن الشيء المؤكد هو ظهور حزب «النور» مع عودة الديمقراطية الانتخابية في مصر؛ وسيصبح على الجميع عاجلًا أم آجلًا أن يعيدوا حساباتهم مع الأصوليين السنة المصريين.

في مصر الموتى يصوتون ويختارون المرشح الإسلامي
28 مايو 2012

وهنا نتحدث عن منظمة اسمها «شايفينكو». وهي تمثل المركز الأكثر اعتمادًا في البلاد؛ وهو الذي يقوم بمراقبة الانتخابات الرئاسية (وقد فاز في الجولة الأولى مرشح الإخوان المسلمين مرسي الذي سيواجه في المرحلة الأخيرة شفيق الذي كان وزيرًا ورئيسًا للوزراء في عهد نظام مبارك) ويقوم أيضًا بالإبلاغ عن المخالفات أو الانتهاكات التي تحدث أثناء عملية التصويت. ويقول أحمد حافظ - أحد الأعضاء المؤسسين -: "نحن جمعنا 42 ملفًا ووضعناهم في المحكمة كي يتم تقييمهم. وفريقنا مكون من عدد من الأشخاص، رجال ونساء تدرّبوا بشكل متخصص وبعدها قاموا بدورهم بتدريب وتأهيل مجموعة من المتطوعين تم توزيعهم على 17 محافظة في كل أنحاء مصر. والانتهاكات التي حصدناها كانت متنوعة ومسنودة بأدلة. المشكلة هي أن الشعب المصري لا ينتبه دائمًا؛ لكن بشكل متناقض يُصيبه اليأس في نهاية الأمر عندما لا يكون متفقًا مع النتيجة النهائية للانتخابات". وهنا يهز أحمد حافظ رأسه معربًا عن عدم موافقته على الأمر، ثم يشعل سيجارته، ويتصفح مفكرته ويقول: "يعني مثلًا، نحن البلد الوحيد في العالم التي تسمح للموتى بالتصويت. هل تعلمون هذا الكلام؟! نحن معنا الأدلة، والآن سأطلعك عليها: انظري - مشيرًا إلى الصور - شهادات وفاة لأسامٍ ظهرت في قائمة المنتخبين. وهنا لم يتم التعامل مع هذا الأمر كفضيحة. ربما لأصبح فضيحة في مكان آخر".

وبدأ يقرأ مرة أخرى مفكرته: "قمنا بالتصوير أمام مقرات الانتخابات وخاصةً في القرى، وكانت هناك أتوبيسات كثيرة مدفوع لها كي تقوم بتجميع الناس

وتوصيلها لتنتخب". وهنا يعرض عليّ صورة وبها حافلة مغطاة بصور مرشح الإخوان المسلمين، محمد مرسي. ومن الواضح أنها ليست حافلة تابعة للنقل العام المحلي يستخدمها عادًة المصريون. وهنا يُضيف حافظ: "وعلاوة على ذلك لم يسمحوا لبعض مراقبينا بالدخول لمقرات الانتخابات. ومجموعة أخرى من المراقبين بلغت عن تأخير في فتح مقرات الانتخابات وأيضًا في بعض الحالات وصل التأخير لساعتين، وفي أماكن أخرى أغلقوا المقرات قبل الساعة 9 وكان هذا هو التوقيت الذي قررته لائحة الانتخابات. والأمر الأكثر سخافة هو عدم مقدرة أي شخص على تفتيش أو مراقبة عملية التصويت، ومقرات كثيرة في اليوم الانتخابي أغلقت قبل الميعاد بساعتين على الأقل؛ ولم يسمحوا لأحد بأن يدخل طوال كل هذا الوقت. وفترة الراحة المسموح بها من المفترض ألا تتعدى الـ 15 دقيقة".

في مصر، في الانتخابات الرئاسية التي فاز فيها في الجولة الأولى مرشح الإخوان المسلمين مرسي ووزير مبارك السابق شفيق، قام بالتصويت أيضًا الموتى. وليس هذا فحسب، فهناك مخالفات كثيرة تم الإبلاغ عنها في عملية الانتخابات. ومن جريدة الجمهورية قابلنا أحدهم وهو لديه فكرة محددة عن أكثر نقاط النقد التي على الشعب مواجهتها في السنين القادمة، فقال: "من السهل خداع المصريين؛ 40% منهم يعيش تحت خط الفقر وحوالي نصف الشعب غير متعلم، يجهل القراءة والكتابة. يعني يكفيكِ أن تُعطيهم أكلًا ومالًا لإقناعهم بالتصويت لشخص ما، يجب أن نعطي لهؤلاء الأناس الفرصة لكي يستطيعوا التقييم بعقولهم وليصبحوا مستقلين فكريًا، ولكن هذا سيحتاج لوقت كبير حتى يحدث". ومن الواضح أن الأمر سيستغرق وقتًا للقيام بانتخابات حقيقية.

وفي الطابق الأخير لمبنى الجمهورية الذي يتكون من 8 طوابق نجد مكتب لواء سابق ومدير مركز الدراسات الأمنية والسياسية الوطنية. وقد أجاب عن السؤال بخصوص الانتهاكات الموجودة أثناء عملية التصويت فقال: "نعم، هذا حقيقي. قاموا بانتهاك قواعد الحملة الانتخابية بالتأكيد سواء شفيق أو مرسي. أنا متأكد أنهما صرفا أكثر بكثير من 10 ملايين من الجنيهات (حوالي ما يزيد عن مليون يورو بقليل) كحد أقصى. سأشرح لكِ كيف. لكل منهما مؤيدوه الذين على الأغلب تطوعوا بصرف الملايين من الجنيهات لمساعدة مرشحهم. إنهم أناس أذكياء، ليس من السهل إيجاد أدلة ضدهم؛ لأنهم بالتأكيد تصرفوا بحذر. وبالتأكيد المخالفات لا تمنع المرحلة الثانية من الانتخابات يوم 16 و17 يونيو". وقد بدا اللواء السابق واثقًا من الوضع، فهو يعرف جيدًا نظام المحسوبية في بلده. وقال: "المهتمون بشكل مباشر بالموضوع يعرفون قيمة المبلغ ومصدره ولكن سيكتفون بالقول إنهم لا يعلمون شيئًا وهذا ما يحدث ببساطة؛ لأنهما مرشحان محبوبان بشكل كبير من المصريين".

وكغيره ممن انتخبوا أحمد شفيق، وزير الطيران السابق في عهد مبارك، قال اللواء السابق مؤكدًا: "إعادة الأمن سيكون الهدف الأول بعد الانتخابات الرئاسية". وحول هذا الأمر فإن يسري فودة، الصحفي المصري الشهير ومقدم برنامج «آخر كلام» على القناة الخاصة «أون تي في»، كان له رأي مختلف حيث قال: "رجال نظام مبارك وخاصةً المجلس الأعلى للقوات المسلحة قاموا بفعل كل شيء ممكن ليخلقوا انعدامًا أمنيًا في البلد؛ والآن يريدون القضاء على الإحساس بالخوف الذي ساهموا هم أنفسهم في خلقه. يخدعون الناس والشعب لا ينتبه لذلك".

وفي الطابق ذاته بداخل المبنى نفسه، نجد مكتب أحد المسؤولين عن جريدة الجمهورية. وكان هناك أمر أثار الكثير من اللغط قبل الانتخابات وكان يتعلق بجريدته: حيث كان قد تم تخصيص صفحة كاملة لصورة المرشح شفيق التي تم نشرها تكرارًا في أيام الصمت الصحفي. ويعلق على هذا الأمر قائلًا: "الموضوع مسألة بيزنس. وإن لم نقم بنشرها نحن، لقامت بذلك أي صحيفة أخرى. وعندها لم نكن لنحصل على المال. وليس هناك أية انتهاكات تدعو للقلق. ونحن نطلق عليها انتهاكات صغرى ومقبولة. وطبعًا لو أراد أي شخص أن يقوم بتزوير الانتخابات سيختلف الكلام. لكن لا تتعجبوا: هذا هو الأمر العادي في مصر".

قناة الناس: القناة التي وراء نجاح السلفيين
6 نوفمبر 2012

على مدخل أحد استديوهات التليفزيون نجد لافتة مكتوب عليها: «شاشة (قناة الناس) تأخذك إلى الجنة بإذن اللـه». وهذا هو أيضًا شعار القناة. وبديهيًا فالأمر يتعلق بفردوس المسلمين أو ما يطلقون عليه هم أنفسهم الجنة: هو المكان الذي سيتم جزاء المسلمين الملتزمين به بعد الموت. وقناة الناس هي القناة الفضائية السلفية التي يتم الإذاعة فيها باللغة العربية وهي القناة الدينية الأكثر شعبية في مصر، فهي كما يعني اسمها حرفيًا قناة الناس. ويمتلك القناة شيوخ من السعودية: رجال أعمال سعوديون مثل منصور بن كدسة وعاطف عبد الرشيد. ومقدمو البرامج كلهم دعاة انتقلوا بعد اختيارات بعناية شديدة من المساجد إلى صالات التليفزيون. وعلى موقع القناة على الانترنت نجد مكتوبًا أن هدف القناة هو: «خدمة الوطن ونشر الدين الإسلامي». ومن الجدير بالذكر أن

السياسة التجارية تقوم على أساس «احترام تعاليم الدين الحق، الإسلام».

وكان في انتظارنا عند باب الدخول الدكتور مصطفى الأزهري، المستشار الديني للقناة. وهو رجل طويل القامة يتمتع بجسم سمين، وعنده علامة سوداء تبدو كالكدمة (زبيبة الصلاة) - وعلى حد قولهم، من المفترض أن من يحمل هذه العلامة جدير بالتقدير والاحترام. ولدوره في القناة أهمية أساسية: "أنا قبل أي شيء مُراقِب: أتحقق إذا كان كل ما يُقال على الهواء مطابقًا للشريعة أم لا. وغير ذلك أقوم بعمل المقدمة الصوتية لبعض البرامج: أؤلف شعرًا دينيًا يُقرأ في البداية". وهنا توقف عن الحديث ليقدم لي الشاي، ثم استأنف: "وأقوم أيضًا بتقديم البرامج".

وقد تم مؤخرًا إصدار حكم من قبل المحكمة على الداعية خالد عبد الـلـه، مقدم برنامج مصر الجديدة على قناة الناس، ليتم منعه من الظهور على شاشات القناة لـمدة 25 يومًا؛ وذلك بتهمة سب وقذف أحد المعلقين على الهواء مباشرةً في العاشر من سبتمبر. وكان خالد عبد الـلـه ذاته الشخص الذي استهزئ بالفتاة المحجبة التي كان قد تم سحلها من الشرطة أثناء مظاهرات ديسمبر 2011 في ميدان التحرير. وقد لفت انتباه العالم كله صور الفتاة التي تم سحلها وتعريتها من الشرطة. وكانت قناة الناس هي القناة الوحيدة التي أذاعت ذلك الفيديو الخاص بالفتاة الذي تم إطلاق اسم «براءة المسلمين» عليه، وقد أحدث ضجة في العالم الإسلامي كله في سبتمبر الماضي؛ مما أثار بشكل أكبر غضب الشعب. وفي أحد اللقاءات في بث مباشر اتهم خالد عبد الـلـه أمريكا والأقباط المصريين بالتآمر ضد الإسلام. وبعد ذلك دافع عن نفسه قائلًا: "أنا لا أدعو للعنف، ولكني غير

آسف على كل ما فعلت. من الصحيح إخبار الناس. على الغرب أن يكون أكثر حساسية فيما يتعلق بموضوعات بعينها".

وعن السؤال إذا ما كان نجاح السلفيين في الانتخابات البرلمانية الأخيرة (حيث إنهم جاءوا في المركز الثاني بعد حزب الإخوان) مرتبطًا بشعبية البرنامج التليفزيوني للقناة، رد مصطفى الأزهري قائلًا: "نعم، بالتأكيد. نحن قمنا بتحديد نتائج الانتخابات. ومنذ 2006 ونحن نعمل على هدف واحد محدد وهو تحقيق المشروع الإسلامي، يعني تطبيق الشريعة. وأساس كل برامجنا هو تحقيق هذا الواجب منذ زمن. وعدد مشاهدينا ازداد بشكل كبير جدًا في السنوات الأخيرة".

ثم بدأ يشرح كيف تغير العمل بعد الثورة: "قبل ذلك، أيام مبارك، كان يأتي دائمًا إلينا في الاستديوهات رجال الأمن، وكانوا يمنعون برامجنا. وتقريبًا بشكل دائم كنا نذهب للمحاكم، وكانوا غالبًا يحبسوننا. كان باستطاعتنا الحديث عن الدين (بالطبع في حدود معينة)، لكن الآن نستطيع الحديث بحرية أيضًا عن موضوعات سياسية". وحول الاتهامات الموجهة إليهم من العديد من منظمات حقوق الإنسان بتفكيك الوحدة الاجتماعية والوطنية، انفعل وقال: "نحن نقوم بكل ما يطلبه منا شعبنا الإسلامي وكل ما يريده".

والاستديو التليفزيوني المكون من ثلاثة طوابق يقع بداخل مدينة الإنتاج الإعلامي. إنها المدينة التي تحتوي على كل استديوهات التليفزيون المصري تقريبًا. ويتم بث قناة الناس في كل الدول العربية. وقد قال الأزهري: "يتابعنا ملايين المشاهدين يوميًا". وفيما يتعلق بفريق العمل فقد أضاف: "هنا يعمل 25 صحفيًا

تم اختيارهم على أساس مهارتهم الفنية والحرفية وأيضًا على أساس التزامهم بتعاليم الإسلام. وطبعًا نحن نحترم الالتزامات والرغبات الدينية لموظفينا: الكل يؤدي الصلوات الخمس يوميًا. ونُوقف البرنامج في مواقيت الصلاة".

وقد تم إنشاء قناة الناس قناة سلفية، ولكن حول هذا الأمر يفضل مصطفى الأزهري اعتبارها «قناة إسلامية» ويقول: "هذا مفهوم أعم وأشمل أنا أحبه أكثر وأفضله. نحن نتناول أي موضوع: مشاكل اجتماعية وثقافية وسياسية. نحن نمثل منارة لكثير من المواطنين يوجهون لنا تساؤلاتهم – في الغالب عن طريق رسائل قصيرة (sms) تُذاع على الهواء مباشرة أثناء البرنامج – كيف يمكنهم أن يتصرفوا في حياتهم؟ وكيف يمكنهم أن يتفاعلوا؟ مثلًا النساء تسألنا كيف تربي أولادها؟ أو كيف مثلًا تواجه مشاكل الزوجية؟ أو كيف يتعاملون مع الأوضاع المالية السيئة التي من الممكن أن يعيشوها؟ إلخ. ما نقوم به هو الواجب تجاه المسئولية التي نحملها".

البرامج الأساسية للقناة: برنامج مصر الجديدة «توك شو» سياسي، يُذاع على الهواء يوميًا - عدا نهاية الأسبوع - من الثامنة مساءً حتى العاشرة، ويقدمه خالد عبد الـلـه وفيه يتناول قضايا معاصرة وسياسية. وبرنامج صباح الخير يا مصر الذي يُذاع صباحًا. وعن السؤال حول أسماء أقوى المنافسين أجاب مصطفى الأزهري: "قناة الرحمة، القناة الإسلامية، القناة المعروفة بفضل مذيعها، رجل ذي شعبية ضخمة في مصر؛ وهناك أيضًا قناة متنوعة ولها شعبية كبيرة: قناة CBC".

ولا يختلف رأي المستشار الديني للقناة عن التصريحات الأخيرة لزعيم القاعدة، أيمن الظواهري؛ فكلاهما يرى أن «الثورة المصرية لم تكتمل بعد، وأنها ستنجح أخيرًا بتطبيق الشريعة؛ وفقًا لمبادئ السنة» ولكن الأزهري يقول أيضًا: "لكننا على خلاف القاعدة، لا نقبل العنف". وهنا تنتهي المقابلة. ويدخل في حجرة حسن علوان، ويقدمه لي كونه واحد من أصحاب القناة، الذي يقول لي بدوره: "سنجعل أحد الأفراد يرافق حضرتك في جولة للاستديوهات. وبهذا تستطعين حضرتك رؤية كيف نعمل نحن بعينيكِ". ثم يسلم علوان على الرجال الموجودين في الغرفة بيده، بينما لكي يلقي التحية على امرأة فإن إشارة بالرأس أكثر من كافية.

أبو إسلام: المتعصب الإسلامي
13 نوفمبر 2012

أما أبو إسلام، الداعية الإسلامي المتعصب، الذي كان قد قام بحرق «الكتاب المقدس» أمام السفارة الأمريكية بالقاهرة 11 سبتمبر الماضي، فقد قال: "بدأت مرحلة جديدة في البلد". وكلماته ليست بالبعيدة عن مرجان سالم الجوهري، أحد قادة الجماعة المتطرفة التي تُدعى الدعوة السلفية الجهادية، وكانت قد أعلنت في أحد البرامج التليفزيونية بقناة دريم: "سنحطم أهرامات الجيزة وأبو الهول: المسلمون لهم الحق في تطبيق تعاليم الإسلام، بما فيها تحطيم كل الأوثان والأصنام الوثنية". ولا تبعد أيضًا عن الخطاب الذي ألقاه الرجل الأول في تنظيم القاعدة، أيمن الظواهري الذي ظهر مؤخرًا في أحد مقاطع الفيديو وصرح بأن الثورة المصرية يجب أن تواصل مسيرتها حتى يتم تطبيق الشريعة نهائيًا في البلاد.

أبو إسلام أحمد عبد اللـه ليس بالمسلم العادي، إنه مالك ومقدم برامج لقناتين تليفزيونتين تتم إذاعتهما في كل المنطقة العربية، قناة «الأمة» وقناة «ماريا». ولا يحب أبو إسلام أن يصفه أحد بأنه واحد من رجال القاعدة، أو بأنه سلفي، أو أنه ينتمي حتى للإخوان، فيقول: "كلنا عائلة واحدة؛ أنا ضد أي نوع من التفريق أو التمييز. أنا أستطيع القول إن الإخوان تنظيم له أساس قوي على الأرض، هم تركوا الجوامع وخرجوا للشوارع وبين الناس؛ أما بالنسبة للسلفيين ففي المرتبة الأولى وبعد ذلك يأتي أي شيء آخر وبالطبع هم أقرب للشريعة. أما بالنسبة لي الشريعة الإسلامية تأتي قبل كل شيء".

وقد تمت المقابلة في الاستديو الخاص به، في الطابق الثاني لأحد المباني بحي العباسية بشرق القاهرة. وقد قال: "المجموعات العلمانية في مصر ليس لها صوت مسموع وليس عندهم أي أمل في أن ينافسونا؛ لأنهم متأخرون كثيرًا بالنسبة للتشكيل التنظيمي والقوة الفكرية للإسلاميين". وحول تصرفه المفاجئ والغريب بحرقه «الكتاب المقدس» للمسيحيين قال دون تردد: "هذا كان واجبًا عليَّ كوني مسلمًا ملتزمًا، ولو اضطررت سأقوم بالأمر نفسه مرة أخرى".

وحالته هي الحالة الأولى من نوعها لازدراء الدين المسيحي في مصر؛ حيث تكون في أغلب الأحيان حالات عكسية: أقباط يقومون بالإساءة للإسلام، وتتم تقديمها للقضاء. وقد شرح قائلًا بأن تصرفه هذا كان ردًا على الداعية المسيحي تيرّي جونز: "الراعي الأمريكي فعل الشيء نفسه بالقرآن من فترة، وأنا كنت أنتظر اللحظة المناسبة كي أرد على نفس الحركة التي قام بها". وفي النهاية يوضح رؤيته: "بالنسبة لي يجب تطبيق العين بالعين والسن والسن. يعني إن تعرض لي شخص بشيء فمن العدل أن يدفع ثمنها ويشرب من نفس الكأس".

وكل جدران الحجرة تكسوها الأرفف الممتلئة بكتب تنتقد المسيحية وفي بعض الأحيان تنكرها. ومن أشهر العناوين: «تأثير اليهود داخل الفاتيكان»، و«المسيح: بين الواقع والوهم». وهناك تلفازان لا ينطفئان ويعرضان بث قناة «الأمة». وما بين إجابة وأخرى، أبو إسلام يخطف النظرات على البرنامج الذي يتم إذاعته. يقول: "معالجة الخدمات العامة والمعلومات هي العوامل المهمة كي نحمي قوتنا. السلفيون حققوا نجاحًا كبيرًا في الانتخابات البرلمانية بفضل التليفزيون الخاص بهم أيضًا: على سبيل المثال قناة «الناس» التي تذاع من 2006". وعن السؤال حول عدد المشاهدين الذين يتابعون برامجه التليفزيونية، أجاب: "على الأقل 15 مليون وعلى الأكثر 22 مليون. نحن نذيع كل يوم من الواحدة ظهرًا حتى الساعة الخامسة، ثم هناك إعادة من الواحدة بعد منتصف الليل حتى 5 فجرًا. وكلها برامج لها متابعة كبيرة، ليس هذا وحسب في مصر، لكن في بلاد الخليج والبلدان العربية والإسلامية كقطر مثلًا، وإيران، والسودان، وليبيا، والبحرين. أنا أسست قناة «الأمة» لهدفين: للرد على المسيحيين في كل مرة يهاجمون فيها الإسلام وكي أنتقد المسيحية".

يتوقف قليلًا ليرتشف الشاي الذي يغلي من السخونة ثم يستكمل حديثه: "أما قناة «ماريا» فلها هدف آخر مختلف تمامًا: نحن نريد أن نربي ونهذب أجيال المستقبل من النساء العربية". ويقدم البرامج بالقناة عدد من النساء المصريات اللاتي يرتدين النقاب، وهو الغطاء الكامل للوجه وتظهر فقط منه العينان. ويقول أبو إسلام: "المذيعات يشرحن للنساء العربية الأخرى طريقة القيام بالصلاة، وطريقة الصوم، وطريقة الجماع مع أزواجهن وطريقة تربية أولادهن. ومن أهداف القناة أيضًا أنها تقدم النساء لوسائل الإعلام وتجعلهن مشاركات في المجتمع ليصبحن من أبطاله. أنا أحب أن أطلق عليه «تدريب تليفزيوني» لكل المواطنات

المحجبات اللاتي تريدن العمل في التليفزيون". وعلى حد قوله فإن هاتين القناتين مملوتان فقط من مؤيدين ومتابعين مسلمين مصريين.

وتنتهي هنا الساعة التي كانت قد خصصت للمقابلة؛ ولكنه لم ينس أن يذكر الرئيس محمد مرسي، فقال: "يجب أن نتركه يعمل وهو سينقذ البلد الذي دمرته ديكتاتورية مبارك. الآن ليس وقت الحكم عليه، هذا وقت دعمه". وهنا ينهض ويسلم على الرجال الموجودين في الغرفة باليد، بينما للسيدات فإشارة تحية بالرأس أكثر من كافية.

طارق الزمر: الأقباط وصباحي والفلول هم وراء أحداث العنف
23 فبراير 2013

صرح طارق الزمر - قيادي بالجماعة الإسلامية ومؤسس حزب البناء والتنمية - بأن المجموعات الثلاثة الكبرى وراء العنف الذي شهدته مصر في الآونة الأخيرة وهي مجموعة بقيادة الناصري حمدين صباحي، ومجموعة الموالين للنظام السابق (الفلول)، والكنيسة القبطية.

بعد قضائه نحو 30 عامًا في السجن جراء اشتراكه في عملية اغتيال الرئيس المصري الراحل أنور السادات 1981، اعتقد بعضهم أن طارق الزمر القيادي المعروف بالجماعة الإسلامية ومؤسس حزب البناء والتنمية لم يعد هذا الشخص

الذي يتبنى المعتقدات والأفكار المتطرفة، لكن الزمر - وبعد أن سمح له النظام الحالي بممارسة السياسة وتكوين حزب بل وتكريمه بالجلوس في الصف الأمامي أثناء احتفالات نصر اكتوبر العام الماضي – استمر في إلقاء وابل الاتهامات على أقباط مصر مؤكدًا أنهم عنصر رئيس متورط في أحداث العنف التي مرت بها الدولة الفترة الماضية.

في حوار معه وسؤاله عن موجة العنف التي شهدتها مصر منذ الإعلان الدستوري في نوفمبر الماضي وحتى الآن، قال الزمر - الحاصل على درجة الدكتوراه في القانون الدستوري - إن هناك 3 مجموعات رئيسة وراء هذه الموجة ابتداءً من اليسارين وعلى رأسهم حمدين صباحي المرشح السابق لرئاسة الجمهورية، وفلول النظام السابق والكنيسة المصرية.

بالنسبة للكنيسة قال الزمر: "نسبة كبيرة من مثيري الشغب الذين تم القبض عليهم مؤخرًا هم أقباط، وغير ذلك، المجموعة الفوضوية التي اشتهرت حديثًا باسم «البلاك بلوك» تحوي بين صفوفها عددًا كبيرًا من الأقباط. وبما أن الأقباط في مصر لا يتحركون إلا بناءً على أوامر الكنيسة، من هنا تتولد العلاقة المشبوهة بين الكنيسة والعنف". واستكمل الزمر، قائلًا: "أقباط مصر يتظاهرون ضد النظام الحالي معتقدين أن الإسلام لن يوفر لهم حقوقهم مع العلم بأنهم لن ينالوا حقوقهم إلا من خلال الإسلام ونظامه".

وخاض الزمر في سرد أسانيده ودوافعه التي تؤكد صدق اتهاماته مشيرًا إلى أن هناك بعض الرموز التابعة لنظام مبارك لازالت تحرص على ضخ الأموال للبلطجية ليتسببوا في إثارة الشغب في أنحاء البلاد المختلفة ولاسيما ميدان

التحرير فضلًا عن أن هناك بعض رجال الشرطة أيضًا ممن يعملون لحساب هذه الرموز كانت سببًا في وقوع الفوضى.

أما الفصيل أو المتهم الثالث من وجهة نظر الزمر هم الاشتراكيون وعلى سبيل المثال فقد رفض حزب الكرامة والفريق السياسي الذي يؤيد صباحي وثيقة الأزهر ضد نبذ العنف مما يشير إلى تأييدهم لما يحدث في الشارع، كما أن حزب الكرامة يتعاون وعلى اتصال بحركة الاشتراكيين الثوريين والتي تتسم بالعنف الشديد.

والغريب أن الزمر الذي ينتقد العنف والساعين إليه صرح بأنه من حق المواطنين الدفاع عن أنفسهم ومقاومة هؤلاء المجموعات المتسببة في العنف في حالة تقاعص وزارة الداخلية أو عدم مقدرتها على القيام بعملها.

وعن البرادعي قال الزمر إن هدفه في إرجاء وتأجيل الانتخابات البرلمانية هي ضعف حزبه المشكل حديثًا والذي لا يقوى على منافسة الإسلاميين. ولم يبرء الزمر النظام برئاسة الدكتور محمد مرسي والحكومة الحالية أيضًا من الأخطاء؛ فهم لا يستطيعون إدارة وفتح حوار وطني ديمقراطي يستوعب كافة القوى السياسية.

وكشف الزمر، الذي أكد أن العامل المشترك بين جماعته وتنظيم القاعدة هو المرجع الإسلامي، عن أن الجماعة الإسلامية في مصر تنتوي تأسيس حزب جديد يسمى الأمان والتنمية؛ حيث تخوض به الجماعة انتخابات البرلمان القادمة -

التي حددها الرئيس مرسي يومي 28 و29 من شهر أبريل - متوقعًا حصول مرشحي الحزب على أصوات كثيرة وتأييد كبير من الإخوان المسلمين.

وعلق الزمر على مشهد تقبيل صورة أسامة بن لادن في مظاهرات الإسلاميين الماضية، التي حملت شعار: «معًا لنبذ العنف»، واصفًا هذا التصرف بأنه فعل شخصي منتشر في الدول العربية في الفترة الأخيرة وأيضًا في بعض دول أمريكا اللاتينية للتعبير عن معارضة السياسة الأمريكية فقط.

مظاهرات الضباط الملتحين
16 مارس 2013

في المقابلة مع أحد ضباط الشرطة الملتحين، قال أحدهم: "نحن نتبع السنة: وهي مجموعة السلوكيات التي كان نبينا محمد ﷺ اتخذها منهجًا له في المواقف المختلفة في حياته. وبالنسبة لنا هذه أمثلة وقدوة نحتذي بها ونتبعها. والدين يأمرنا أن نُعفيَ لحيتنا ونحن ليس لدينا أية نية بأن نعود للعمل دون لحية". كانت هذه هي بداية الحديث مع هاني ماهر، أحد ضباط الشرطة الملتحين والمتحدث باسمهم من الاعتصام أمام وزارة الداخلية على بعد أمتار قليلة من ميدان التحرير. وهم مضربون عن العمل ومعتصمون منذ 16 يومًا. واستكمل حديثه قائلًا: "نحن نتظاهر لأننا نريد أن نطلق لحيتنا دائمًا. لا نطالب بأكثر من ذلك: نريد أن تكون هناك عدالة. ومعنا في صفنا المحكمة العليا. المستشار القانوني لوزير الداخلية يسعى بشتى الطرق لخلط الحقائق ولتعقيد الوضع،

لكن في الواقع الصورة واضحة تمامًا". ومنذ أن كان مبارك حاكمًا فإن هناك مرسومًا يمنع اللحى الإسلامية على كل موظفي القطاع العام. وقد تم إلغاء هذا المرسوم من جانب الحكومة الإسلامية الجديدة وقامت إحدى محاكم القاهرة في الـ20 من فبراير بإعطاء ضباط الشرطة الملتحين الحق في العودة للعمل. ولكن وزارة الداخلية حتى الآن لا تريد أن تصغي لشيء من هذا القبيل.

وعلى عكس زملائه لا يرتدي ماهر ملابس الشرطة، ولكن يرتدي قميصًا أبيض، وبنطالًا أسود ونظارات شمسية غامقة اللون. وهو رجل طويلة القامة وقوي البنيان، وله لحية كثيفة مهذبة وزبيبة الصلاة على جبهة رأسه. وقبل أن يسمع سؤالًا آخر، صاح في قائلًا: "أخبريني: في إيطاليا أليس بمقدرة رجال الشرطة إطلاق لحيتهم؟" وكانت إجابتي بنعم. فرد منفعلًا: "لماذا لا نستطيع نحن إذًا القيام بذلك؟ حتى المنظمة الدولية للشرطة تسمح بهذا الأمر، لكن المصريين فقط لا يستطيعون القيام بذلك". وظهر ماهر واثقًا جدًا من نفسه، ولكن عند سؤاله إذا ما كان أي مواطن قبطي يستطيع أن يشعر بالخطر إذا استوقفه شرطي ملتحي، فإنه صمت لبعض الثواني، ثم أجاب: "لا طبعًا. على العكس: نحن سنكون أكثر حذرًا وسنتصرف بشكل جيد من الآن لأننا نعرف جيدًا أن لدى الناس أحكام مسبقة عنا وتحكم على المظاهر. لكننا سننتبه وسنقوم بعملنا بكل إتقان وأمانة".

إنهم 2000 شرطي تقريبًا أولئك الذين قدموا طلبًا بالعمل باللحية، منهم 75 فردًا ملتحين بالفعل مفصولين عن العمل. وهنا يدخل هاني ماهر في التفاصيل قائلًا: "نحن قسمنا أنفسنا على 3 ورديات، في كل وردية 25 فردًا من

رجالنا. وكما ترين، نحن نصبنا حوالي عشر خيم بطول الشارع. وبخصوص المرتب، مازلنا نحصل على أقل نسبة: ثُلث المرتب لِمَن يعمل اليوم كاملًا". وبالنسبة للرجال الذين يرتدون ملابس الشرطة لا يستطيعون التصريح باتجاههم السياسي: "لن أقول لكِ إن كنت سلفيًا أو غير ذلك، لا نستطيع التصريح بشيء مثل هذا، لأن القانون يمنع ذلك". وبالفعل وفقًا للقانون المصري فإن الشرطة والجيش ليس لهما حق التصويت في الانتخابات.

ينتمي هاني ماهر للأشخاص الذين تسيطر عليهم طبيعة الشك، فيريد أن يعرف ديانة الأشخاص الموجودين في المكان. وعندما علم بأن المرافق لي والمترجم الخاص بي قبطي، تغير سلوكه على الفور، فمن الواضح أنه لا يثق بترجمته. وقد قام بإيقافه أكثر من مرة وطلب منه أن يشرح له بدقة ما هي الألفاظ التي استخدمها بالإنجليزية لكي يترجم كلمات عربية معينة. ومع امرأة، فإنه يبدي لامبالاة متناهية. ويرد على أسئلتي موجهًا نظره فقط لأعين المترجم؛ لأنه رجل.

وكان بعض الظباط الملتحين قد تقدم بطلب مماثل، ولكنهم لم يقوموا أبدًا بالتظاهر صراحةً كما يفعلون هذه الأيام. ويشرح ماهر قائلًا: "أيام الرئيس مبارك لم تكن هناك حرية. بعد الثورة تغيرت الأجواء. حاليًا أصبحنا قادرين على الحصول على حقوقنا. وهذه أول خطوة لسلسلة طويلة. اللحية هي رمز فقط، يُعبر عن طريقة جديدة وواضحة لكي نقترب من الأمور. نحن نريد أن نغير كل شيء غير مضبوط. نريد عدالة أكبر". ونرى هذا الرجل متفائلًا لما حققه طلبهم من نجاح وواثقًا من قرارات الرئيس: "الرئيس مرسي وعدنا بأنه سيتابع قضيتنا وسيساعدنا؛ وسيفعل ذلك، أنا ليس عندي أية شكوك في هذا".

ولكن بالتأكيد هؤلاء الضباط ليسوا بمفردهم؛ تساندهم الجماعة الإسلامية المتطرفة، فهي الجماعة التي أيدت قضيتهم علانية في العديد من المظاهرات.

وفي نهاية المقابلة تقريبًا، وصلت إحدى السيارات الخاصة بالشيوخ السلفيين، وعندها قام الضباط - الذين كانوا جالسين على سجادة طويلة خضراء - على الفور واقفين على أقدامهم وأشاروا بضرورة الذهاب لإلقاء التحية. وهنا انتهت المقابلة. وعندما طلبنا التقاط بعض الصور قال ماهر: "لا بأس، يمكنكم التقاط الصور. لكن الفتاة لا يجب أن تقترب من الخيم". ثم أشار للمترجم وقال: "لكن هو يستطيع الاقتراب". وهنا انتهى بالنسبة للضابط ماهر الوقت المخصص للمقابلة، ولكنه قبل أن ينصرف أراد أن يختتم معنا بعبارة: "إن شاء الـلـه، بمجهودنا، سنعود للعمل قريبًا وباللحية. إن شاء الـلـه!".

مرسي يقسم مصر إلى نصفين
2 يوليو 2013

ومن الشعارات المهمة التي كان ينادي بها المتظاهرون بأعلى صوت في ميدان التحرير: «ارحل يا مرسي»، و«مش عايزينك»، و«اديت دهرك للثورة».

وكانت السيارات لا تتوقف عن إطلاق آلات التنبيه والألوان الثلاثة للعلم المصري في كل مكان. وطائرات الهيليكوبتر العسكرية تحلق فوق الميدان لتحتفل مقتربة من الناس التي كانت تحتفي وترفع أذرعها للسماء، وكانت تدق الطبول وترفرف الأعلام والرايات. وكانت هناك مجموعة من النساء تتظاهر تحت المنصة الرئيسة وكان يحيط بها دائرة من الرجال. وكان هذا نوعًا من الحماية للسيدات من الازدحام ومن التحرش الجنسي، الذي أصبح ظاهرة وآفة في المجتمع المصري.

وفي التحرير كانت هناك كل فئات الشعب: مصريون، مسلمون وأقباط، أغنياء وفقراء، وشباب، وأسر، أمهات يرضعن، ومسنون. ولكن للوهلة الأولى تبدو الغلبة للطبقة الوسطى في المجتمع، الطبقة الشعبية؛ ويأتي الكثير من الأحياء الفقيرة بوسط القاهرة، ويأتي بعضهم الآخر من قرى من خارج القاهرة. والأجواء بالطبع احتفالية، والطاقة الشعبية ملموسة تصل أحيانًا إلى حماس لا يوصف.

وكانت هذه هي الأجواء التي تنفسها الناس في اليوم التالي للمظاهرات المهيبة المطالبة بعزل الرئيس المصري محمد مرسي. وقد أطاحت بكبار رجال السلطة كالقطار الذي انطلق من الميادين في كل أنحاء البلاد. وشهدت الأحداث تصاعدًا

سريعًا وربما ساعدت تصريحات الرئيس الأمريكي باراك أوباما في تحريكها؛ مما أدى إلى تحرك القوات المسلحة ونزولها للميدان من جديد، وأطلقت دعوتها بإعطائها مهلة لمدة 48 ساعة للإخوان. ستنتهي غدًا 3 يوليو بعد الظهر.

وكان هناك أختان تتظاهران بمفردهما ولم تخفيا الصعوبات العائلية التي جلباها لأنفسهما بالمشاركة في المظاهرات، فقالت إحداهما: "الرئيس مرسي استطاع حتى أن يقسم عائلتنا، وليس البلد فقط: أخي مؤيد لمرسي، ونحن لا. أنا وأختي نريد أن نطرد الإخوان المسلمين من الحكم. ولحسن الحظ زوجانا موافقان لكنهما غير موجودين هنا اليوم لأنهما في العمل. لكن عائلتنا - سواء أبي أو أمي – لم تعد تحتمل أكثر من ذلك. أخشى عندما نعود لرؤيتهم يندلع بيننا شجار للمرة الألف".

إنها لا تتوقف عن الحديث، فقد قالت هذه الفتاة بثبات: "أخي بالأمس صرخ فيَّ وقال: 'أنتِ كافرة'، ذلك لأني كنت نزلت إلى التحرير. لكننا لن نستسلم أبدًا". وهنا تدخلت الأخت التي كانت تقف بعيدًا عن الكاميرا وتقول باستحياء: "حقوق المرأة تدهورت. أنا خائفة على مستقبل ابنتي. لا أريد أن يتحقق المشروع الإسلامي للإخوان".

وتوقفت لحظة لتشاهد الناس الكثيرة الموجودة حولنا ثم قالت قبل أن تنصرف: "أنا خائفة. مؤيدو الإخوان متعصبون وطبعهم عنيف. والجماعة الإسلامية جماعة متطرفة، وكانوا إرهابيين. كيف لنا أن نضمن أنهم لن يتعرضوا لنا؟". وكان صوتها يرتجف مع هذه الكلمات؛ ولكن أختها الكبرى

طمأنتها بابتسامة عطوفة لتشجعها. وفي المظاهرات أتى عدد كبير جدًا من النساء؛ هناك من أتت في صحبة العائلة، وهناك من أتت بمفردها، وهناك من كانت ترتدي الحجاب، وهناك من كانت دون حجاب.

وكانت هناك فتاة ترتدي النقاب وقالت: "هذا الميدان للجميع؛ مسلمين وأقباط، محجبات وغير محجبات. الناس لا يجب أن تحكم علينا من لبسنا. الناس يجب أن تتحدث معنا وتتعرف علينا جيدًا". وهذه الفتاة المنتقبة كانت تتحدث الإنجليزية بطلاقة وتأتي من حي راقٍ بالقاهرة. وأخوها الذي كان يصطحبها كان يتحدث هو الآخر الإنجليزية بطلاقة دون أي خطأ أضاف قائلًا: "في الانتخابات الرئاسية الأخيرة انتخبنا صباحي؛ لكن الآن نريد دمًا جديدًا في الحكم، جيلًا جديدًا من القادة: نريد شباب الثورة".

وكان هناك الكثير من الشباب يمزحون ويسخرون من الرئيس. فكان هناك شاب في الخامسة عشر من عمره ضحك وقال: "أنا اشتريت هذه الدمية على شكل الخروف. انظري. بذمتك: أليس مرسي بعينه؟ .. الولد الذي كان يبيع تلك الدمى 'عملهم': باع كل البضاعة في عدة ساعات. الآن 'تلاقيه اغتنى'". ولكن لم يخلُ الميدان من الشعارات المكتوبة التي كانت تدعو للعنف والشعارات والرسومات المضادة لأمريكا. وعلى مسافة ليست بالبعيدة منا كانت هناك لافتة عليها وجه مرسي وبالقرب منه دائرة مكتوب بها: «ارحل وإلّا أخرتك هتبقى وحشة».

ومنذ الـ30 من يونيو هناك اعتصام مفتوح في ميدان التحرير. ويقول أحد نشطاء حركة تمرد: "سنظل هنا حتى يرحل". وحركة تمرد هي التي قامت بجمع

التوقيعات في البلاد وأعلنت أنها وصلت لـ 22 مليون مشارك. وينام الكثير من النشطاء في معسكر من الخيم، ويقول أحدهم: "هذه هي نفس الأجواء التي عشناها منذ سنتين. هذا شيء لا يُعقل. شعبنا هذا شعب عظيم". وقد قال هذه الكلمات بينما كان يسير أسفل المنصة الرئيسية بالميدان وهو لا يصدق نفسه.

وكان قد وصل الكثير من المواطنين في الساعات الأولى من الصباح. ثم وصل آخرون بعد الظهيرة، بعد انتهاء ساعات العمل. وزاد العدد خاصة بعد غياب الشمس وانخفاض درجات الحرارة. ومساء أمس كان الميدان والشوارع المؤدية إليه على هيئة سجادة من البشر. ووجه أحد النشطاء الكلمة لي قائلًا: "هل أنتم مدركين؟ هنا اليوم أناس أكثر تتظاهر ضد مرسي، أكثر من الناس التي نزلت منذ سنتين ضد مبارك. وانظري كيف كانت نهاية الرئيس السابق. الآن أتى الدور على الرجل أبي لحية". وبعد أن صرخ بهذه العبارات، قفز بلياقة فائقة ليصعد فوق أحد أعمدة النور ليتسلقه ويصل لأعلاه. وبعد أن وصل لقمة العمود وقف وأخذ يلوح بالعلم المصري.

وكانت هناك عائلة مكونة من 3 نساء ورجل وأوضحوا أن سفرهم طال لمدة ساعتين لكي يصلوا إلى هنا: "سنظل هنا في القاهرة. لنا أقارب سوف يستضيفوننا وسنبيت عندهم". يشرح رب الأسرة: "كل يوم نقف في صفوف بالكيلومترات حتى نضع البنزين: وكل يوم لو كانت الأمور تسير بشك جيد، ينقطع النور على الأقل لمدة ساعتين أو ثلاثة، وأسعار السلع العذائية والأولية ازدادت. ماذا علينا أن نفعل نحن؟ لا أحد من الإخوان يفهم أي شيء في الاقتصاد، إنهم يغرقوننا".

وكان الحماس وخفقان القلوب في الميدان واضحًا؛ ولكن كان هناك أيضًا نوع من العصبية حيث صرخت تجاهنا سيدة مصرية - يظهر عليها أنها تجاوزت الخامسة والخمسين من عمرها تقريبًا - وكانت بصحبة ابنها: "أنتِ يجب عليك الانصراف من هنا. أنتِ أجنبية. أمريكا تمول الإرهاب. بلادكم هي التي تدعم الإخوان. عليكم أن تخجلوا من أنفسكم". ثم رفعت ذراعيها للأعلى وبصوت أكثر قوة صاحت: "انصرفي من هنا، نحن لا نريدك هنا". وهنا يحاول ابنها التدخل ليشرح لها بأن وجود الصحفيين الأجانب في ميدان التحرير شيء إيجابي ولكن رد فعل السيدة كان أكثر عنفًا فأخذت تصرخ وهي تبتعد عنا: "لا نتحدث مع أجانب. أنتم مؤيدون لمرسي. أنتم السبب الرئيس في معانتنا".

وعلى القرب منا، كانت هناك مجموعة من الرجال المصريين الذين كانوا يستمعون لذلك الحوار وأرادوا المشاركة؛ فقال أحدهم مقتربًا منا بصوتٍ عالٍ: "مرسي رئيس لجماعة الإخوان. إنه ليس رئيسًا لكل المصريين. نحن لا نشعر بأنه يمثلنا، لابد أن يرحل، وإلّا سنقوم نحن بعزله. هذا ما نطالب به جميعًا". وكان الرجل يتحدث بكل حسم.

"فلنُعد رئيسنا ... محمد مرسي"
4 يوليو 2013

كانت الدبابات تحيط بمسجد رابعة العدوية بحي مدينة نصر. كانت الأجواء غير عادية تختلف عن الواقع المعتاد: فكانت الشوارع المحيطة بمبنى الجامع شبه متصحرة؛ فلا أحد بالشوارع، والصمت القاتل يخيم على الحي بأكمله. وكلما اقتربنا من المسجد سمعنا صيحًا وضجيجًا ورأينا حشدًا من الناس في مسيرة تردد هتافات: كان موكبًا مؤيدًا لمرسي.

وكانت الشعارات الرئيسة التي كانوا يرددونها هي: «مرسي، مرسي»، و«اللـه أكبر»، و«لا للعسكر». وكان أغلب المتظاهرين من الرجال، وكانوا يطالبون سكان الحي بالقرب من المسجد بمكبر الصوت أن يشاركوا في المبادرة ضد العسكريين. فكان متقدمو الصفوف يهتفون بصوتٍ عالٍ مرددين: «انزلوا، واتحدوا. يلا نسترد رئيسنا».

واقترب مسرعًا رجل يفوق عمره الخمسين عامًا وصاح: "غدًا، الجمعة، سنريهم كم نحن كثيرون. ربما أكثر من أولئك الذين نزلوا ميدان التحرير". وكان يصرخ بتلك الكلمات ملوحًا في الهواء بعلم الإخوان بلونه الأخضر وسيفيه المتقاطعين. وفي خلفية المشهد كانت هناك صورة غير مطمئنة للإخوان: العزل والإقامة الجبرية لمرسي وأوامر بالاعتقال لحوالي 300 عضوًا من الجماعة.

ويقول أحد الأشخاص المشاركين في المشهد: "الناس الذين يتظاهرون حاليًا أمام الجامع يخشون أن يضيع الإسلام، بعد عزل مرسي. هنا ستجدين المؤيدين الإسلاميين الأكثر تشددًا. حاولت أن أتحاور مع بعض المتظاهرين، لكنهم لا يريدون الاستماع لأحد. لمعظمهم آراء متطرفة، والآن ستجدينهم في قمة الغضب".

وكان الوضع - على الأقل في الأرجاء المحيطة بمسجد رابعة في حي مدينة نصر حيث يوجد الكثير من المباني التابعة للجيش - شديد التوتر بشكل واضح. هناك الكثير من الشجارات خاصة بين الناس سكان الحي ومؤيدي الإخوان المشاركين في المسيرة. وقبل أن ينصرف الرجل قال: "منذ قليل كان هناك بعض الاشتباكات. أظن أنه لم يمت أحد حتى الآن. لكن غدًا بعد صلاة الجمعة سيكون الموقف مشتعلًا. أنا متأكد".

ومن الشعارات التي كانوا يشدون بها بأصوات مدوية: «ثوار أحرار هنكمل المشوار». وبالإضافة لذلك نرى أعدادًا هائلة من اللوحات التي نجد عليها صور مرسي واللافتات ضد مجموعة تمرد، الحملة التي نجحت في أن تجمع أكثر من 22 مليون توقيع ضد مرسي في وقت قصير.

ولم تغب الأعلام المصرية عن المشهد وإن كانت قليلة. وحسب كثير من الحاضرين، فإن قيادات الإخوان المسلمين لا يمكن العثور عليهم بسهولة في هذه الأوقات: فهم يخططون الآن للتحركات القادمة. ويشرح أحد الحاضرين الموقف فيقول: "المقر العام بالمقطم سيطرت عليه القوات المسلحة، وليس هناك أحد على الإطلاق. هناك ناس من قيادات الإخوان ستشارك في هذه المظاهرات،

وبعض القيادات الأخرى ستظل في البيوت لاتخاذ القرارات، بالاتفاق فيما بينهم، من أجل التحركات القادمة".

واقترب منا رجل في النصف الثاني من العقد الخامس من عمره وقال: "أنا أعيش هنا بجانب المسجد، وأنا مسلم مثل معظم المصريين. وما حدث هنا كان إرادة اللـه وأنا أحترمها. وكما نرى، هذا الوقت صعب علينا وعلى الشعب كله: اللـه يختبرنا. أنا لا أريد الحديث عن مرسي. ومن الواضح أن الجيش لم يكن لديه خيار آخر أمام ذلك الحشد الهائل الذي نزل للميدان في الأيام الأخيرة ضد الرئيس السابق. لو لم يتدخل الجيش، مع أية احتمالات أخرى، لكانت ستقوم حرب أهلية بين المسلمين. أنا لا أريد أن يتقاتل المسلمون فيما بينهم، الإسلام يُحرم ذلك علينا". كان يلتقط أنفاسه بين العبارة والأخرى، وقبل أن ينصرف أطلق تحذيرًا: "احذروا يا أهل الصحافة: هنا مؤيدو الإخوان - ستجدون منهم المتشددين والمتطرفين - يكرهون الصحافة. ويتهمونهم بأنهم السبب في كل ما يحدث: هم يظنون أن الصحفيين لا يقولون إلا الكذب".

وفي الحقيقة كانت هناك عصبية شديدة؛ فقد اقترب أحد الشباب وكان في العشرين من عمره وصرخ في: "لا أريدك هنا. الصحافة ليس لها مكان هنا". ثم أشار إلى إحدى العمارات على بعد خطوات قليلة من المسجد وقال: "هذه منطقتي، يجب أن تنصرفوا من هنا".

ولم يكن من الممكن أن نستخدم أما أعين الجميع آلة تصوير أو مدونة شخصية لكتابة ما يحدث؛ فقد كان المتظاهرون يشكون في أي شيء، ولم يكن لديهم ثقة في الصحفيين، سواء كانوا مصريين أو أجانب.

وبالقرب من مقدمة المسيرة كان هناك رجل أراد أن يدلي لنا برأيه، فقال: "اقترب نصر الـلـه: كل ما يحدث الآن في القاهرة بالتأكيد علامة"؛ وعن مرسي قال: "نحن لن نيأس: نريد أن يعود لمنصبه. لماذا؟ لأن ذلك الرجل تم انتخابه ديمقراطيًا". وقد أنهى كلماته ملوحًا بصورة الرئيس السابق مرسي في الهواء.

وفي مدينة نصر ذلك الحي الذي يجتمع فيه أنصار مرسي نجد الكثير من الأشخاص الذين يرون المسألة بشكل مختلف عن المتظاهرين الإسلاميين، فيقول أحدهم: "الناس هنا محدودة النظر. أمام مسجد رابعة العدوية ستجدين الإسلاميين الأكثر تطرفًا الذين يريدون فقط أن يتحرروا ولا يريدون أن يسمعوا لأحد. أنا أرى الموضوع من وجهة نظر أخرى: وأتمنى أن يرسل الـلـه رئيسًا عادلًا. أنا متأكد أن الـلـه لن يتركنا". قال هذه الكلمات بابتسامة ثم أخذ يقول بنبرة حذرة: "غدًا سنرى فعليًا كم عددهم وما هي نوايا الإخوان. أتمنى ألا تكون هناك إسالة للدماء. إن شاء الـلـه!".

8 يوليو: حكاية أحد الناجين
17 يوليو 2013

إنه س. ع. ح، أستاذ جامعي بكلية الهندسة جامعة القاهرة. متزوج وله ابن وابنة، كلاهما في مرحلة المراهقة. وما يهمنا هنا هو أنه أحد الناجين من مذبحة الثامن من يوليو أمام مبنى الحرس الجمهوري حيث تم قتل 51 من مؤيدي محمد مرسي ومئات الجرحى على الأقل. وقد تمت المقابلة في الجيزة في إحدى المناطق التي كانت رمزًا للمظاهرات الأخيرة المؤيدة لمرسي.

وبدأ على الفور الحكاية بعد أن ألقى التحية، فقال: "أنا وصلت يوم 7 يوليو الساعة 6 آخر النهار أمام مقر الحرس الجمهوري لكي أتظاهر للتعبير عن رفضي للانقلاب العسكري. وبعدها انتظرت هناك حتى صلاة الفجر الساعة 3:45 وصلينا الفجر في حوالي 15 دقيقة. وكنت هناك أنا وزوجتي وابنتي. لكنهن كنّ في المكان الخاص بالسيدات. والساعة 4 تقريبًا انفتحت نار جهنم: رجال التأمين الذين كانوا يحيطون بالمجموعة بدأوا بالعصي الحديدية التي كانت معهم بقوة وعنف على أعمدة النور: وهذا الصوت كان إنذارًا بخطر وشيك. وفجأة انقطع النور، ثم بدأ ضرب النار". وكان س. ع. ح. دقيقًا في ذكر هذه اللحظات واستكمل وهو يأخذ شهيقًا يمتزج فيه الارتياح بالقلق، قائلًا: "مؤيدو مرسي الذين قُتلوا كانوا في الغالب رجال التأمين للمجموعة أو ناس كانت تصلي على الأطراف وبالتالي كانوا أكثر عرضةً للهجوم، وأنا لحسن الحظ كنت في موقع محمي وأكثر تأمينًا؛ وإلا لكنت في عداد الموتى معهم الآن".

كانت روايته للأحداث مفصلة لا تترك مكانًا لأي نوع من التعليقات: "رجال الجيش – وكانت هناك عربات كثيرة تابعة للجيش – أطلقوا علينا غازًا مسيلًا للدموع. وكانت زوجتي وابنتي بعيدًا عني بعد نجاحهن في الهروب والاحتماء بمسجد رابعة العدوية في مدينة نصر. أما أنا فلم أستطع التحرك من هناك لسببين: أولًا لأني لم أكن أرى جيدًا من الغاز المسيل للدموع والناس التي كانت تصرخ وكانت هناك فوضى كبيرة حولنا؛ الأمر الثاني هو أن ضرب النار شل حركتي من الخوف. وبعض عساكر الجيش استهدفونا وأطلقوا النيران بالقرب منا: لم يكونوا يريدون ين يقتلونا، لكن قصدهم كان فقط منعنا من التحرك. كنت مع 3 أشخاص آخرين. وحينها اقتربوا تجاهنا وأخذونا. في البداية أخذونا في مبنى حكومي قريب من هناك. وكان هناك مستشفى ميداني. وفي ذلك المكان أخذوا كل مَن استطاعوا القبض عليهم، حتى المصابين. وطوال ذلك المشوار أبرحوني ضربًا بوحشية بالهراوة التي كانت معهم، وخاصةً في رأسي. وأكملوا سوء معاملتنا حتى داخل المبنى: وهناك استخدموا أيضًا الصواعق الكهربائية. لم يكن معي أسلحة ولم أحمل سلاحًا في حياتي".

يتوقف قليلًا، ثم يأخذ نفسًا عميقًا ويُرينا الإصابات التي تعرض لها، فنجد خياطة واضحة برأسه. وبعدها استكمل حديثه قائلًا: "المرحلة الثانية كانت في قصر الحرس الجمهوري: أخذونا بالداخل. وكنت أنا وثلاثة آخرين من أنصار مرسي. وأيضًا هذه المرة وهم يحملوننا للداخل أبرحونا ضربًا. وبمجرد وصولنا داخل المبنى، أمرونا بالوقوف ووضع أذرعتنا خلف رقبتنا وأوجهنا تجاه الحائط. كل مَن قُبض عليهم فعلوا ذلك. ظللنا داخل مبنى الحرس الجمهوري من الخامسة صباحًا حتى الساعة السادسة آخر النهار. وحينها سمح لنا رجال الجيش بمساعدة أنفسنا أي أن يساعد كل شخص منا الآخر. وزعنا أنفسنا على ثلاث مجموعات حسب خطورة الإصابات. مَن كانت حالتهم أخطر أي من كانوا على قرب من الموت

تم حملهم إلى المستشفى. الحمد لله سمحوا لنا أن نشرب المياه، لم نعد قادرين بعد على الاحتمال. لكنهم لم يعطونا طعامًا. فلو كانوا أعطونا طعامًا لكان الأمر بذلك زائدًا عن حده. بعد ذلك أصبح أيضًا لدينا إمكانية الذهاب إلى الحمام". وقد قال هذه الكلمات الأخيرة بابتسامة تميل إلى التكشير.

س. ع. ح. يتذكر كل التفاصيل المآساوية. بل ويحرص على أن يكون قدر المستطاع دقيقًا فيقول: "وبعد ذلك أرغمونا على الذهاب معهم لقسم الشرطة وهذه كانت المرحلة الثالثة. في البداية كنا رافضين؛ لكن بطبيعة الحال هددونا وقالوا لنا إنه إن لم نذهب معهم سيضطرون لأن يجرجرونا بطريقة فجة إلى المقر العام للشرطة العسكرية. والشرطة العسكرية أسوء بكثير. ووقتها طبعًا وافقنا: كنا خائفين أن نتعرض لتعذيب أكثر من ذلك". ثم يبدأ المدرس الجامعي في قص المرحلة الأكثر عبثية، فيقول: "كنا واحدًا وخمسين شخصًا بالعدد. ووضعونا كلنا في سيارة ترحيلات. كنا مكدسين ولم نكن قادرين على التنفس تقريبًا. الشيء الذي لم يكن له معنى هو أنهم وضعونا في السيارة وتركونا داخلها لمدة عشرين دقيقة تقريبًا دون أن نتحرك. وبعدها أنزلونا ثم جعلونا نركب السيارة مرة أخرى. وجعلونا نكرر ذلك الموضوع ثلاث مرات: لا أعرف لماذا. لكننا لم نكن نعد الاحتمال. ومن كثرة المعاناة فقد شخصان الوعي وأغمى عليهما. وحملوهما إلى الطوارئ في المستشفى".

وبينما كان يتحدث التقت عيناه بعيني ابنه الذي - من المحتمل - كان قد سمع لمرات عديدة هذه الحكاية الحزينة. وكان يقول: "من بين 51 شخصًا على الأقل كان من بيننا 10 مصابين ينزفون. ووصلنا إلى قسم الشرطة حوالي الساعة السابعة والنصف مساءً. ووضعونا في زنزانة صغيرة وأخذوا بطاقاتنا الشخصية. ومكثنا هناك حتى الساعة 3 فجرًا: كانوا قد بدأوا بعمل تحريات عنا، يعني من المفترض عن الناس التي لها علاقة منّا بجماعة الإخوان. وطوال ذلك الوقت لم أستطع

الاتصال بأحد: لا زوجتي ولا أهلي. وقال أصحابي والناس المُقربين مني لي بعد ذلك عندما قابلتهم أنهم ظنوا أني كنت قد مُت في مجزرة الحرس الجمهوري".

ثم أراد الأستاذ أن يركز على ما حدث في قسم الشرطة: "هناك اكتشفت أنه كان بانتظاري ستة عشر اتهامًا وأكرر ستة عشر اتهامًا؛ منها: النية المبيتة للقتل، وحيازة أسلحة، واقتحام منطقة عسكرية، إلخ. وكلها اتهامات كاذبة. أنا أتكلم عن نفسي كنت ضحية بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لم أمتلك سلاحًا في حياتي. في النهاية أفرجوا عنا واضطررنا لدفع كفالة 2000 جنيه. دفعت وأخيرًا عُدت لبيتي بعد يومين صعبين من العذاب الجسدي والنفسي. وأنا بريء. كل ذنبي كان أني أيدت بشكل سلمي رئيسي محمد مرسي".

وانتقد صراحةً وحشية رجال الجيش وطريقتهم التي لا تتغير في التعامل: "هؤلاء معروفون بالعنف، معتادون على اختراق حقوق الإنسان. ثم - بعد مجزرة الحرس الجمهوري - دافعوا عن أنفسهم بمؤتمر صحفي قالوا فيه إنهم هاجموا لأنه تمت مهاجتهم. هذا غير حقيقي بالمرة. وعلى العموم أنا دون أن أدافع عن نفسي وبدون سلاح تم تعذيبي ليومين على التوالي". وانتقد ثائرًا الصحافة المصرية: "لم يتصل بي أي صحفي مصري أو حاول حتى أن يطلب مني أن أحكي له تجربتي الشخصية. كل الصحفيين يحللون ويتوقعون ولا يوجد أحد يحكي الحقائق كما هي. الحقائق أنا عشتها بنفسي" وهنا يُظهر لنا مجددًا الإصابات العديدة التي كانت تحت ملابسه. ثم ختم حديثه رافعًا نبرة صوته بشدة وقال: "كل كلامنا هذا يظل كلامًا في مهب الريح. لكن التصريحات التي تصدر عن الليبراليين أو الإسلاميين تظل فقط من أجل البروباجندا. وإن سألتيني عن وجهة نظري، سأقول لكِ إن مجزرة الحرس الجمهوري رتب لها بشكل كامل رجال الجيش. كانوا يريدون القيام بمذبحة وقاموا بذلك بالفعل".

الفصل الثالث
البروباجندا

مقدمة

في هذا الفصل أردت أن أضع بعض القصص لمجموعة من النشطاء وإحدى القصص التي كانت تمثل بالنسبة لي دعاية (بروباجندا) سياسية. وقد خلقت الأحداث المتتالية في السنوات الثلاثة الأخيرة في مصر أرضًا خصبة – كما يحدث دائمًا – لنشأة معارضين ومؤيدين للنظام. وقد أثَّر النشطاء المصريون فيَّ بسبب شجاعتهم، وإصرارهم، وتكريسهم أنفسهم بشكل كامل لقضيتهم.

وكانت الشخصية الأولى التي أود التوقف عندها هي شخصية عمرو الشورى، وهو طبيب وناشط شاب. عندما قابلته للمرة الأولى منذ عامين في نقابة الأطباء بجاردن سيتي، قصَّ عليّ بكل دقة كل المشاكل التي يواجها الطبيب في مصر. وقد تحدث عن قضية لا يدعمها أحد من زوايا محددة وتعاني منها المستشفيات العامة التي يترُك بداخلها الأطباء والمرضى بمفردهم في مواجهة تلك المشكلة. فالمستشفيات ليست فقط مؤسسات تغيب عنها النظافة الصحية ويغيب عنها الأمن ولكن تندر فيها أيضًا المواد الأولية وتنقص فيها الأدوية بصورة كبيرة. وفي صمت شديد للساسة، تحدث مواقف تعرض المرضى للخطر وأيضًا الأطباء الذين يقومون بعملهم.

وإن فكرنا في النشطاء على أنهم فقط أشخاص ينزلون ميدان التحرير، فلن نتعرف على روح مصرية أخرى، روح ألتراس الكرة. فالألتراس مجموعة متعددة الحلقات على أرض الوطن المصري، وهي قادرة على أن تنظم نفسها بسرعة وعلى التحرك والوصول لاتفاق فيما بين أفرادها. إنها قوة اكتشفتها تدريجيًا بمقابلة مجموعة من ألتراس فريق النادي الأهلي. وهو عالم لم يهتم

فقط بكرة القدم في السنوات الأخيرة ولكن بكل ما يخص المجتمع المصري. لدرجة أنها نجحت في التأثير على بعض الاختيارات والقرارت السياسية.

وهناك مَن تابع ثورة 2011 من شرفة مسكنه. نتحدث عن بيير، مالك أحد العقارات الكبيرة التي تطل على ميدان التحرير. وكما اعترف هو شخصيًا فقد كان نشاطه مرتبطًا بالظروف المحيطة به: فهو يعيش في المكان الذي يمثل رمز الثورة ولم يستطع عدم استضافة – حسب قوله – النشطاء والصحفيين خلال الأسابيع الثلاثة التي شهدت طرد مبارك من الحكم. ومن المؤكد أن بيير رجل كريم ولكنه غليظ الطبع وفي بعض الأحيان يبدو عليه التحفظ. ولقد أصبح منزله ميناءً بحريًا للصحفيين والنشطاء. ومن يدخل اليوم إلى شقته يشعر كأنه أُلقي به داخل متحف للنشاط السياسي؛ حيث توجد لوحات ولافتات 2011 كما لو كان هناك معسكر في المنزل. كانت هذه اللوحات ملصقة كما كانت في فترة الثورة. وكان بعضها يتعلق بالانتفاضة ضد مبارك وكان بعضها الآخر يرشد بكل بساطة رواد المنزل إلى السلوك الواجب اتّباعه وكيفية استخدام الأماكن المتاحة في ظل احترام كل سكان المنزل. وبداخل هذه الجدران توقفت عقارب الساعة لتُخلد تلك الأيام العظيمة التي دخلت التاريخ بالفعل.

وننتقل من ثورة 2011 إلى ثورة 2013. وهذه المرة كان الأبطال هم نشطاء الحركة المضادة لمرسي، «تمرد». وقد توجهت إلى مقرهم وقصصت كيف نظموا أنفسهم قبل 30 يونيو، وكيف قاموا بتجميع موافقة الشعب المصري، وكيف استطاعوا استغلال كل القنوات المتاحة لهم لنشر رسالتهم. ولقد دخلت مكاتبهم وتحدثت مع قادتهم وحضرت مقابلات تنظيمية لهم ومقابلات توزيع مهام العمل

بينهم. وعندما أعيد التفكير في تلك الفترة السريعة المليئة بالأحداث أسترجع بذاكرتي كلمات الطاهية سمية – تلك الشخصية التي تحدثنا عنها في الفصل الخاص بالسيدات – التي قالت منذ عدة أيام قليلة قبل الـ 30 من يونيو 2013: "هذا التاريخ أصبح فاصلًا؛ الآن يوجد فقط قبل وبعد. اليوم كل شيء متوقف في كل المجالات. لكن علينا الانتباه؛ فهي ليست كثورة يناير 2011 التي قامت بشكل خاطف غير متوقع على الإطلاق. فاليوم المواطنون مستعدون، والأحد القادم، الثلاثين من يونيو ينتظره الكثيرون منذ شهور. شيء واحد أصبح أكيدًا: أشعر بالأحاسيس نفسها، والقلق ذاته، فثَم شيء سيتغير". وكان مع سمية كل الحق.

وأردت أن أضع لهذا الفصل عنوان "النشاط السياسي والدعاية (البروباجندا)". نعم البروباجندا؛ لأن البروباجندا في مصر تحدث أيضًا على أجساد الناس. ففي الأيام التالية لمذبحة رابعة توجهت لمشرحة زينهم بالقاهرة. وهناك تم حمل مئات – إن لم يكن آلاف – من الأجساد التي باتت دون روح. وهناك وجدت أيضًا، في كثير من الأحيان، الأهالي الذين لا يجدون عدلًا لضحاياهم. ووجدت أيضًا أن هناك الإرادة السياسية تحصل على نصيب الأسد من الأفضلية حتى بعد أن يفقد الإنسان حياته. وقد قال لي أحد العاملين بمشرحة زينهم هذه الكلمات التي تتعلق بالفساد داخل المشرحة والتي أنقلها بكل أمانة: "أرى أشخاصًا مساكين يشتكون ولا يرتاح لهم بال. ويمكنني التأكيد لك أن العائلات التي تبحث عن العدالة لا تجدها هنا دائمًا". وبمعنى أو بآخر فإن ذلك يُعد من بروباجندا النظام؛ أي إخفاء الحقيقة أو تنقل الحقيقة التي تريدها، لتصل أيضًا لنقطة استخدام الموت لصالحها حسب مزاجها الخاص.

أما عن نشطاء حركة التضامن مع اللاجئين، فأنا أعتبرهم الملائكة الحارسة ولا أعرف ماذا يمكن أن أطلق عليهم غير ذلك. وهم يمثلون مجموعة وشبكة عمل من

النشطاء في حقوق الإنسان، وقد أدانت وأبلغت عن سوء التعامل والتدهور الذي تعرض له اللاجئون السوريون في مصر. وقد دخلت معهم، أو بالأخص مع طاهر مختار، أحد أطباء المنظمة، إلى قسم كرموز بالإسكندرية. ووجدت هناك خمسين لاجئًا من سوريا وفلسطين وكانوا قد نجوا من الغرق في الـ 11 من أكتوبر 2013 وبعدها تم احتجازهم. وكانوا مجموعة من الرجال والنساء والأطفال اضطروا للحياة في ظروف غير آدمية غالبًا ما تصل لعدم الاحتمال. ولقد وددت أن أحكي بشكل منفرد كل قصة من قصصهم؛ حيث إنهم كانوا أشخاصًا دون أمل يبحثون عن الأمل في أي مكان. ولكنهم للآسف لا يجدونه.

وفي النهاية، فقط من الناحية الزمنية، كان لقائي الذي أعتبره الأكثر روعة مع أحد أبطال الفيلم الوثقائقي المرشح لجائزة الأوسكار، وهو فيلم الميدان. واسم البطل أحمد ويبلغ من العمر 27 عامًا. وقد أطلعني على عالمه أي بيته. وقد شرح لي ذلك العالم بإطلاعي على كثير من أفلام الفيديو الخاصة به والأهمية التي مثلتها «الصحافة المشاركة» في أثناء الثورات المصرية؛ فالكثيرون مثله بكاميرا فيديو قاموا بتصوير أحداث الميدان والانتهاكات العنيفة للشرطة وعمليات الظلم التي تعرض لها الناس من جانب قوات النظام. وبالإضافة لإطلاعي على الأفلام فقد نقل لي أحمد بشكل لا إرادي شجاعة المواطنين المصريين وهي شجاعة تنتقل كالعدوى وبشكل لا يمكن إيقافه.

الدكتور عمرو الشورى: المستشفيات العامة
16 أكتوبر 2012

كان موعدنا أمام نقابة الأطباء بحي جاردن سيتي الذي لا يبعد عن ميدان التحرير. إنه الدكتور عمرو الشورى أحد الأطباء الشباب وهو في الثلاثين من عمره، ومتخصص في قسم الأشعة الطبية. يعمل في إحدى المستشفيات العامة التي تقع بأحد أحياء القاهرة الأكثر ازدحامًا بالأقباط. وهو المتحدث باسم إحدى الحركات المهمة داخل نقابة الأطباء: «أطباء دون حقوق».

عندما تقابلنا أشار لي بالجلوس وبدأ يتحدث: "نحن في إضراب عام وطني لكل العاملين في مجال الطب في الهيئات الحكومية: الموضوع أصبح مأساويًا". ثم يلتقط أنفاسه؛ حيث لديه مقابلة أخرى بعد مقابلتي، ولكنه لا يريد أن يتناسى أي شيء دون أن يقوله: "في المستشفى التي أعمل بها، يوجد 500 طبيب، و120 ممرضًا، و40 فنيًا. هذا إضراب مفتوح، أعني ليس له تاريخ انتهاء وينتهي عندما نجد استجابة حقيقية لطلباتنا من السلطات المسئولة. وبالطبع أقسام الإسعاف وحالات الطوارئ والأطباء المسئولون عن الطوارئ يعملون دومًا".

وأوضح دكتور الشورى قائلًا: "المشاكل كثيرة: نحن ليس لدينا أدوية

كافية للجميع، حتى إن الأدوية الأساسية بها نقص، والجودة التي تصلنا في أحيان كثيرة تكون رديئة". كان يبدو عليه الحزن، وأشعل سيجارته وأخذ يرتشف الشاي الساخن ثم استكمل حديثه: "نحن نطالب بثلاثة أشياء من حكومة مرسي: أن يزيد نصيب الصحة في الموازنة العامة حتى يصل إلى 15%، وهذا أقل مستوى حسب الاتفاقيات الدولية التي وقعت عليها مصر. وزارة الصحة تحصل حاليًا على 3.5% فقط من موازنة الدولة. ونحتاج أيضًا لقانون يؤمِّن مكان العمل ويعاقب بشدة أي شخص يتعدى على المقارات الطبية والمستشفيات. وفي النهاية نطالب بزيادة مرتبات الأطباء؛ لأن الفئة الخاصة بنا لا تحصل على ما تستحقه وتتم معاملتها بشكل سيء: متوسط الدخل الشهري 400 جنيه، وأساسي المرتب قليل جدًا: فأنا على سبيل المثال مرتبي الأساسي 250 جنيه، وبالحوافز والبدلات يصل إلى 1000 جنيه، وحتى أصل لهذا المبلغ يجب علي أن أعمل كل يوم دون أن أحصل على أجازات".

وقد حكى الطبيب الشاب عن نقص كامل للنظافة الصحية لدرجة أن بعض الحيوانات، من القطط المتشردة حتى الفئران، وأحيانًا أيضًا الثعابين، تجول في الأقسام الطبية دون أن يزعجها أحد. وقد قال لي عن موقف حدث معه شخصيًا: "كنت قد انتهيت من عملي لتوي، وذهبت للحمَّام، وعندما انحنيت لأجمع بعض المناديل الورقية عضَّني فأر في يدي" وقد توقف ورددّ كلمة 'فأر' مؤكدًا على الكلمة بنبرة اشمئزاز، ثم استأنف وصفه للموقف: "طبعًا جريت نحو بعض زملائي الذين أعطوني تطعيمات خاصة على الفور؛ لأنه كان من الممكن أن ينقل لي أية عدوى أو وباء". وعلى الرغم من مأساوية الحكاية إلا أنه ابتسم بمرارة واستكمل حديثه: "بعدما عالجني أحد زملائي، قال لي خذ قطة وضعها في الحمَّام وأغلق عليها الباب؛ نعم، هذه هي الحلول الوحيدة التي نقدر عليها". وأضاف أن المشكلة

ليست فقط فيما يخص الحيوانات ولكن المشكلة تخص الكيان كله؛ فالملاءات تقريبًا كلها متسخة، والغسالات لا تعمل، والأغطية لا تكفي للجميع. والحكومة لا تحمل نفسها تكاليف طاقم يكون مسئولًا عن النظافة: "كل مستشفى أو إدارة مجمع مستشفيات عامة تدفع من مالها الخاص لطاقم نظافة غير مؤهل وليست عنده خبرة. وهذا بالتأكيد غير كافٍ حتى نستطيع أن نصل لأقل مقاييس النظافة الصحية. حتى إنه بالأمس في غرفة العمليات كانت هناك قطط شوارع، وأعتقد ليس هناك داعٍ أن أضيف أكثر من هذا".

وأكد الدكتور الشورى على الغياب الكامل للأمن: "أحد زملائي تعرض للضرب من أحد المواطنين المصريين الذي دخل غرفة العمليات دون أن يعترضه أحد ليقول له أي شيء. لا أحد يتحرى عمَّن يدخل أو مَن يخرج. وفي كثير من الأحيان تدخل ناس قذرة، وهذا أقل شيء يُمكن أن يُقال عليهم، يريدون تصفية حساباتهم – أو مثل ما حدث قبل ذلك – إنهاء حياة مريض كانوا هم من أسباب تدهور حالته من البداية. وفي أحيان أخرى، يتعرض المريض للأطباء ويعتدي عليهم بالضرب". وهنا توقف ليلتقط أنفاسه، فكان واضحًا أنه يريد أن يصف بالتفاصيل الأوضاع التي هو مجبر على أن يعمل فيها، فواصل حديثه قائلًا: "في إحدى المرات وصل المستشفى مريض كان قد مات بالفعل قبل وصوله: وقريبه الذي كان قد أحضره أصبح عنيفًا جدًا عندما عرف خبر وفاة الشخص العزيز لديه، ولم يكن يريد الانصراف. وبالتأكيد حتى لا أتعرض للضرب أنا الآخر، اضطررت في البداية أن أتظاهر بمعالجته. وأكرر كان قد مات بالفعل!". ثم توقف الدكتور الشورى مجددًا ليستريح قليلًا، ومن كرمه قدّم لنا كوبًا من الشاي مرة أخرى، وكان حريصًا على أن يلبي كل طلباتنا، ثم استأنف: "لو ستأتين يوم الأربعاء في الصباح، سأريكي المستشفى. لكن دون أن أوصيكي، لا تقومين بالتصوير كثيرًا هناك؛ لأن هنا يظهر

على كثير من المواطنين غسيل المخ الذي يقوم به تليفزيون دولة مبارك: وسيظنون أنك جاسوسة. لكننا نريد أن تتحدث الصحافة عن هذا الوضع؛ لأنه أصبح وضعًا لا يُحتمل بصراحة".

وعلاوة على المشاكل الفنية فهناك تعقيدات سياسية واضحة وربما يصعب التغلب عليها. وقد قال لي الطبيب: "تعالِ معي، لأنه من الأفضل أن تتحدثي مع الاتجاهين داخل النقابة". فلقد أُقحمت السياسة أيضًا في القرارات الحساسة التي تتعلق بصحة المواطنين وحياتهم. هناك اتجاهان داخل النقابة ولهما آراء مختلفة، أحدهما اسمه «أطباء دون حقوق»، والثاني «أطباء من أجل مصر». الاتجاه الأول، الذي ينتمي له الدكتور الشورى، يقود الإضراب وينتظر تلبية سريعة لطلباته (نظرًا لأهمية هذه الطلبات) من حكومة مرسي، أما الاتجاه الثاني فهو على العكس مكون من كل الأطباء الذين ينتمون للإخوان المسلمين، وهم متفقون على توجيه رسالة للحكومة، ولكنهم لا يريدون خلق مشاكل للرئيس الجديد الذي تولى المنصب لتوه وعليه أن يواجه احتياجات طارئة في البلاد.

وهنا طلب الدكتور الشورى من أحد الأطباء المنتمين للإخوان المسلمين مقابلتنا، واسمه دكتور صلاح الدسوقي، في الستين من عمره تقريبًا. كانت له لحية ليست بالكثيفة، وكان يرتدي زيًا رماديًا. كان شخصًا لبقًا للغاية، وقد دعانا لمكتبه: "تعالوا معي للمكتب! تفضلوا". كانت وجهة نظره مختلفة تمامًا، ولم يكن يترك لي حتى الوقت لكي ألقي عليه الأسئلة، وقال: "الإضراب لا يفيد البلد. هذا ليس الوقت المناسب للإضراب. يجب علينا أن نعطي الوقت للرئيس مرسي كي يعمل". وهنا اتضح أن وجهة نظره أو موقفه كان فقط سياسيًا.

واستكمل حديثه قائلًا: "أنا سأخبرك بأكثر من ذلك: اليوم مَن يقوم بإضراب يكون ضد الثورة. الحكومة تلبي مطالب ميدان التحرير، والتظاهر ضد مرسي اليوم يعني الوقوف ضد مَن أيد ثورة يناير". وعن السؤال: ما الأولويات التي يجب مواجهتها في مصر بالنسبة له؟، كانت إجابته غامضة: "نحن حاليًا نعيد بناء بلد حطمه مبارك بقوة في الثلاثين سنة الأخيرة. وبالنسبة لموضوعات الصحة، قبل أن نأخذ خطوات صارمة، ننتظر 8 أو 9 شهور وبالتأكيد الوضع حينها سيكون قد تحسن، يجب أن نعطي الثقة للمسئول عنا الآن. واجبنا هو العمل وألا نصل بالمواطنين لحالة التظاهر في الميدان من جديد".

وانتهت المقابلة مع الدكتور الدسوقي، وكان بانتظاري خارج المكتب الدكتور الشورى الذي قال لي: "نحن نعلم جيدًا أن الإخوان المسلمين لا يساندوننا، لكن الأحزاب الأخرى معنا: حزب «البرادعي»، وحزب «أبو الفتوح» الذي كان مرشحًا للانتخابات الرئاسية، وكل الأحزاب الليبرالية واليسارية". وهنا توقف فجأة عن الحوار ثم نظر حوله وأشار إلينا بأن نتبعه، فأخذنا إلى حجرة خالية، وقال: "من المفترض أن تعرفوا أن هناك أئمة – يشجعهم الإخوان – في المساجد يحرضون الناس ضد الأطباء بعد الصلاة. وعليكم أن تفهموا أنه أمر خطير جدًا في مصر أن توجه أو تحرض الناس، خاصة باسم الدين". هنا أنهى حديثه معنا وسَلَّم علينا بيده، ثم انصرف.

الألتراس: لوبي حقيقي قادر على التأثير على مرسي
8 مايو 2013

«الولاء والطاعة للنادي» أهم الشروط التي يجب توافرها فيمن يرغب في الانضمام لألتراس الأهلي، أهم فرق كرة القدم المصرية وثاني الفرق عالميًا من حيث عدد البطولات. وفي مصر يُمثل الألتراس لوبيًا حقيقيًا قادرًا على التأثير في القرارات السياسية لحكومة محمد مرسي. وقد شرح لي هذا عبد الـلـه، وهو واحد من ألف من أعضاء الألتراس بالقاهرة، فقال لي باختصار: "النظام الإسلامي الحاكم يعرف جيدًا أنه يجب أن يرتب حساباته معنا أيضًا. لو تعرضنا لظلم، سنحصل على حقنا بنفسنا".

وقد أوضح الشاب سبب قوتهم كذلك: "نحن منظمون جدًا على الأرض كلها ولكي ينضم إلينا أي فرد ويصبح عضوًا في كل شيء يجب أن يقضى فترة تجربة واختبار لمدة ثلاثة شهور، ثم في آخر هذه الفترة يقرر القادة إذا كان ذلك الشخص لديه المواصفات أم لا حتى يشارك في مجموعة الألتراس. ومن الأشياء الأساسية الواجب توافرها فيه هو أن يطيع الأوامر التي تأتي من الأعلى". وكانت ألفاظه حاسمه قاطعة، وقد تمت المقابلة في أحد المحلات الموجودة أمام بانوراما السادس من أكتوبر، ذكرى حرب العبور في حي مصر الجديدة بالقرب من الاستاد.

وأخذ عبد الـلـه يستكمل حديثه: "نحن اليوم نحارب الإعلام ووزارة الداخلية .ويحاول الإعلام سواء التليفزيون أو الصحافة تشويه صورتنا". ولهذا السبب قررت مجموعة الألتراس عدم إجراء أية مقابلات صحفية مع الصحافة الوطنية،

واستأنف حديثه: "بالتأكيد نحن هدف سهل وواضح لقوات الأمن وهم يحاولون القبض علينا خاصة قبل المباريات المهمة أو قبل بعض المناسبات التي يُقال عنها ساخنة، وبهذه الطريقة – في اعتقاد رجال وزارة الداخلية – سيقل عدد الناس التي تثير أعمال عنف". وفعلًا ليس لدى عبد الـلـه شكوك حول استخدام العنف، وكان موجزًا: "نستخدم العنف فقط كرد فعل للفعل".

والألتراس الأهلاوي له تكوين هرمي صارم للغاية: القاعدة؛ في كل حي في القاهرة توجد لجنة، ثم متحدثون، ثم قادة. والاتصال سريع داخل هذا التكوين، ولهم أشخاص مسئولون فقط عن وسائل التواصل الاجتماعي. وقال عبد الـلـه: "لدينا 'جروبات' خاصة على الفيس بوك وعن طريقها نجهز للأنشطة الخاصة بنا: سواء تنقلاتنا لمشاهدة المباريات أو المظاهرات عندما يكون هناك سبب للمظاهرات ضد النظام الحاكم. وأيضًا لدينا برنامج تلفزيوني اسمه «أوريجنال تي في Original TV»، ويتم إذاعته على قناة الأهلي التي تعمل 24 ساعة. وهي قناة رياضية تغطي كل الأخبار الجديدة للفريق. وعندما تكون عندنا رسالة نريد أن نوصلها للعالم كله، نستخدم هذه القناة غالبًا".

وقد شرح عبد الـلـه كيفية وجود ثلاثة أشخاص على قمة الهرم لتكوين الألتراس، لكن لا تُعرف هويتهم لدواعٍ أمنية: "مجموعة الألتراس تقول عليهم «الجماعة تحت السرية»: ثلاثة من القادة يتخذون القرارات النهائية. فمثلًا لو تم القبض علي واحد من الألتراس،من الممكن أن يعترف تحت ضغط التعذيب بأسمائهم؛ لهذا قررنا ألا يعرف أحد مَن هم لحمايتهم".

وبين رشفات البيرا وأنفاس الشيشة قص عليَّ عبد الـلـه كيف يقومون بتمويل أنفسهم: "في القاهرة يوجد ألف من الأعضاء والمشجعين والمتابعين فهم كثيرون جدًا. كل عضو في الألتراس يدفع 30 جنيهًا في الشهر (تقريبًا 3 يورو) لتمويل كل الأنشطة ولوازمها: التيشيرتات، واللافتات، والمواصلات. ومثلها أيضًا التحركات، كالمظاهرات في الميدان ينظمها ويمولها المشتركون في الألتراس". وهذا الاشتراك الشهري الثابت يدفعه كل المشتركين الألف بانتظام.

لم يرغب عبد الـلـه في ترك رقم هاتفه؛ لأنه كان غير واثق بنا، فالوضع السياسي في مصر كان فوضويًا ومُقلقًا وهو لم يكن يريد أن يقع في مشاكل مع رجال الأمن. ثم قال: "من السهل أن يفكر أي شخص أننا وراء أحداث العنف في الشوارع، لكن الحقيقة غير ذلك، على الأقل ليست دائمًا هكذا. نحن نعلن الأسباب التي نتظاهر من أجلها. يعني مثلًا كان لنا نشاط كبير وتحركات في الميدان في الثورة منذ سنتين، كنا ضد مبارك والعسكر، وبعد ذلك عدنا لنتظاهر كي نعبر بكل صراحة عن رفضنا لمذبحة بورسعيد. قبل الحكم الأول كتبنا على حوائط القصر الرئاسي: «العدل أو الفوضى». كنا نطالب بالعدل لزملائنا الذين ماتوا، وإلا لأصبح الغضب والجنون العنيف بديلًا في القاهرة: وهذه كانت الرسالة لمرسي. ونجحنا في تحقيق جزء مما كنا نريد". هكذا أنهى حديثه بابتسامة صفراء مليئة بالرضا. وكانت محكمة الاستئناف المصرية أكدت حكم الإعدام الصادر لـ 21 من المشجعين المتورطين في اشتباكات العام الماضي باستاد بورسعيد التي أسفرت عن مقتل 70 شخصًا.

ولكنه أضاف أمرًا آخر حول وضع ألتراس الأهلي أثناء الانتخابات الرئاسية: "كنا ضد شفيق، الرجل الذي كان يدعمه المجلس الأعلى للقوات المسلحة. اضطررنا لتأييد مرسي؛ لأن ساعتها لم تكن هناك بدائل أخرى". ولكنه حرص على أن يؤكد بأن مجموعتهم ليست بالسياسية: "نحن ليس لنا أي اتجاه سياسي. نريد أن تتم محاسبة مَن يرتكب الخطأ وأن يأخذ جزاءه، من أجل موت زملائنا في بورسعيد". ولكن لهم قواعد أساسية: "لو أصيب أحد منا، أو ظلم، أو تم تهديده، فنحن مستعدون لتحقيق العدالة بأنفسنا". إن هذه هي الإخوة المصرية القوية التي سيتحتم على حكومة مرسي إعادة الحسابات معها عاجلًا أو آجلًا.

بيير: "بيتي يتسع لبحر من النشطاء والصحفيين"
27 مايو 2013

كان هناك العديد من اللافتات المعلقة على عمارة بيير الذي يملك هذا العقار الذي يطل على ميدان التحرير. نجد منها «حافظوا على هذا المكان منظمًا ونظيفًا»، أو «تنبيه! هذا بيت رجل طيب»، ونجد أيضًا: «هذا مكان عمل! إن لم تعملوا، فاذهبوا إلى الشارع وشاركوا في الثورة». تعود هذه اللافتات إلى أيام الثورة عندما كانت شقته التي تبلغ مساحتها ثلاثمائة مترًا مربعًا تستضيف نشطاء وصحفيين مصريين وغير مصريين. وقد قال: "في تلك الفترة لم أكن أستطيع ألا أفتح شقتي للجميع. كانت هناك ثورة تحدث في البلد، وكانت تحت بيتي. لم تكن هناك اختيارات أخرى".

إن بيير رجل ضخم طويل ممتلئ الجسم، وله لحية غير مهذبة وشعر طويل أبيض. يتمتع بابتسامة عذبة، ولكنه له القدرة أيضًا على أن يصبح شخصًا جافًا وسمجًا. وهو لا يحب أن يُطلق على نفسه اسم ناشط أو أن يضع نفسه في الصورة؛ وقد قال: "أنا لست بطلًا؛ أنا فقط محظوظ لامتلاكي عمارة في مكان يُعد رمزًا للثورة: ميدان التحرير".

كان يبتسم غير مقتنع لماذا يطلق عليه الناس مصطلح ناشط، وقال: "ما معنى هذه الكلمة؟ نحن كلنا نشطاء: مَن يعمل كل يوم ناشط. بالتأكيد أنا لست بناشط في الشارع، أنا أجلس هنا أمام الكمبيوتر. أدخن وأكتب. ونعم بالطبع كل ما يحدث أقوم بنشره على الفيس بوك؛ لأنه من الصحيح أن نُطلع المصريين على أخر التطورات، وبالتأكيد أنا في حالتي هذه أستفيد من المكان والموضع المميز، الذي أقطن فيه".

أثناء المقابلة كان يحتسي فنجانًا من القهوة ويدخن سيجارته، وكان بين حديث وآخر يلعب لعبته المفضلة من ألعاب الفيديو. وقد قال: "النشطاء الحقيقيون هم مَن ينزلون الشارع. وكي تعرفي، أنا لا أستطيع أن أبقى وقتًا طويلًا في الميدان، بعد فترة يضيق الأمر بي من الاحتكاك بالناس، فأنا أتعصب بسهولة". وهنا كان يحاول أن يشرح لي شخصيته، وهو حسب وصف كثير ممن يعرفونه ليس بالشخص اللين، ولكن بالطبع وصفوه بالكرم. وقد قال هو عن نفسه: "أنا بطبعي أكون بعيدًا ومتحفظًا جدًا. وأقف في صف القضايا التي تكون على حق، لكنني لا أريد التعرض للمشاكل".

كان الحر شديدًا للغاية فأشعل بيير مروحة كبيرة على بعد متر واحد منه وبدأ في ذكر أيام الثورة: "كان الناس الماكثون في شقتي مسئولين عنها: كانوا يعملون ويأكلون وينامون ويستحمون فيها، وكانت هناك قواعد (لست أنا من قررها، بل كانوا هم من وضعها) والجميع احترم تلك القواعد التي تنص على الحفاظ على المكان نظيفًا ومرتبًا، وكانوا يقومون بطهي الطعام وإعداده. ولو أردتِ الذهاب إلى هذا المكان الذي أطلق عليه 'لوكاندة' النشطاء؛ لأن صاحبته هي التي كانت تُعد الطعام لنا جميعًا". هكذا أنهى هذا الحديث مبتسمًا. وحول اللافتات والرسومات على الجدران علق قائلًا: "لم أنزع أي ورق أو أي شيء كان قد تم تعليقه، وتركت كل شيء كما كان. وتعودت بالفعل على رؤيتها هكذا، لم أعد أدقق بها على الإطلاق".

وكانت الشقة مفتوحة للجميع وهي كبيرة المساحة، فكان بها ثلاثة حمامات، ومطبخ، وصالون كبير كان الناس يجلسون فيه على الأرض ليل نهار وبه وصلات للإنترنت. وكانوا قد جهزوا مكانًا للنوم للرجال منفصلًا عن ذلك المخصص للسيدات. ثم كانت هناك البلكونات من الطابق العاشر، حيث كان يمكن للجميع بسهولة رؤية ليس فقط ميدان التحرير ولكن أيضًا وزارة الداخلية وكل الشوارع المحيطة بها ومنها شارع محمد محمود، الشارع الذي كان مسرحًا للعديد من الاشتباكات سابقًا (والذي يطلق عليه أيضًا اسم شارع الجرافيتي).

وكما لو أن كل هذا لم يكن كافيًا، فإن بيير يمتلك ما يمكن أن نسميه شقة روف ببلكون يبدو أنه أصبح مهجورًا اليوم. وقد قال عنه: "من هنا كان

النشطاء يلقون بمنشورات مؤيدة للثورة. كانت أيضًا هذه العمارة ميكروفونًا ومذياعًا لطلبات الثوار". ثم تتطرق للتفاصيل: "عندما كان الجيش ينزل بقواته، كنا نتابع الموقف من الأعلى. وبالتأكيد كنت أنبه وأحذر: كنت أنشر بوست، أو ألتقط صورًا، وأرسل تويته أي تغريدة على تويتر؛ المهم كنت أنقل (مثل كل الناس) الوضع في الأيام الأكثر حماسة".

في النهاية أضاف بروح بائسة تقريبًا: "هذه الفترة لم تنته بعد سقوط مبارك. بعض النشطاء ظلوا سنة ونصف في بيتي. كانوا يذهبون ويعودون. لكن على الأقل كانت إقامتهم ثابتة بالنهار. لا أعرف كم مقطع فيديو قاموا بتصويره من البلكونة: أظن عددًا ضخمًا من الفيديوهات".

وحول السؤال إن كان سيفتح شقته مرة أخرى، لم يكن يبدو على اقتناع بالأمر كثيرًا، ويهوه في الإجابة ليتحدث بشكل عام: "اليوم الأمور تسير بشكل جيد. حتى الناس التي انتخبت الإخوان بدأت تفهم أن الدين (اللـه دائمًا على لسان الإخوان) لن يعطيهم العيش في أخر اليوم. وهذا شيء إيجابي. بالنسبة لي هذه هي الصحوة التي كانت الصحافة الغربية تمدحها: إن المصريين عادوا ليفمهوا الأمور وعادوا يقيمونها اليوم تحت النظام الإسلامي الحاكم".

ولم ينكر في نهاية حديثه أنه كان قد تملكه الخوف في الأسابيع الثلاثة الشهيرة، حيث قال: "في لحظة معينة خفت كثيرًا: كان من الممكن أن يصبح بيتي بكل سهولة مصيدة فئران؛ لأنه كان معروفًا للجميع أن كل مَن كان في بيتي كان يعمل ضد النظام". وعن نتيجة الثورة، فليس لديه شكوك حول من

أسقط مبارك فعلًا: "الضربة القاضية كانت من جانب المجلس الأعلى للقوات المسلحة. الجيش هو مَن أسقط النظام". وحول رجال الجيش بشكل خاص قال: "حدثت لي مشكلات معهم. أول مرة جاءوا إلى بيتي وبكل احترام سألوا عما كان يحدث داخل شقتي. أما المرة الثانية فاتصل بي جماعة من الأولاد الذين كانوا نائمين عندي وقالوا لي: يا بيير، هناك لواء يريد التحدث معك وهو في الدور الأرضي. ونزلت ولكن تلك المرة لم يكن تصرفهم معي وديًا أو ذوقيًا، ولحسن الحظ كانت هناك ناس كثيرة حولي تقوم بالتصوير؛ فلم يستطيعوا أن يتعرضوا لي بشيء. ولكن تلك المرة كنت قلقًا وخائفًا من الموقف".

عندما انتهى بيير من القهوة والسجائر نظر إلي بابتسامة كانت تبدو أبوية، وأنهى الحديث قائلًا: "الآن سأقدم لك النشطاء الحقيقيين، وكلهم أصحابي. وهم يسكنون هنا في وسط البلد. تعرفين مقولة لويس الرابع عشر «أنا الدولة»؟ مثلها بالضبط حيث أني وسط البلد. هذه هي مملكتي".

تمرد: "سنطرد مرسي والثورة ثورتنا"
31 مايو 2013

تحدث معروف أحد نشطاء حملة «تمرد»، قائلًا: "لدينا مفاجأة كبيرة لمرسي، يوم 30 يونيو سنتظاهر أمام القصر الرئاسي وسنطرده". وارتفعت نبرة صوته في الكلمات الأخيرة من كلامه. وقد جمعت حملة الحركة المصرية تمرد في شهرين فقط أكثر من 7 ملايين من التوقيعات لطلب سحب الثقة من الرئيس واللجوء إلى انتخابات جديدة.

وكان هدف الحملة هو جمع 15 مليونًا من التوقيعات قبل يوم الـ 30 من يونيو. وهم لا يخفون قوتهم الكامنة في الاستقطاب والاستحواذ على تعاطف من فقد الثقة اليوم ومن كان قد أعطى صوته لمرشح الإخوان المسلمين في الانتخابات الرئاسية الأخيرة. وأضاف معروف قائلًا: "لا تنعتوا الإخوان بالمسلمين؛ لأننا أيضًا مسلمون لكننا لا نجد أنفسنا معهم. حتى كثير من الإسلاميين لم يعودوا يريدون مرسي وكثير من الشباب المؤيدين للإخوان يقفون معنا".

تم اللقاء في مقرهم في الطابق الرابع بإحدى العمارات القريبة من ميدان التحرير. الشقة ممتلئة بالكرتونات المكتظة عن آخرها بالنماذج الموقعة. وعلى الأرض كان هناك العديد من عبوات الكوكاكولا الفارغة وكانت هناك أحذية ملقاة في الزوايا وأعقاب سجائر منثورة على الأرض.

واستكمل الناشط حواره: "كما ترين، نحن نعمل هنا كل يوم، ليلًا ونهارًا، والحكومة تعرف ذلك وهي مرعوبة لذلك".

وحول السؤال عن سبب اختيارهم لذلك الاسم "تمرد"، تدخل محب دوس أحد قادة الحركة الذي كان يقابل المنضمين الجدد، فقال: "فكرة الاسم أتت لنا عن طريق صاحبنا السوري، وأعبجبتنا. نحن الثوار الحقيقيون الذين كانوا في الخط الأول في ميدان التحرير منذ سنتين. اليوم نريد أن نسترد ثورتنا التي سرقها الإخوان".

لم يكف مُحب دوس عن التدخين؛ فقد أنهى علبة كاملة من سجائر «المارلبورو لايت Marlboro Light» في وقت قصير، وبين السيجارة والأخرى كان يتحدث: "بدأنا 5 أفراد، أسسنا هذه الحملة التي بدأت يوم 28 أبريل الماضي وتقريبًا كلنا من حركة «كفاية»، وبعدها انضم لنا نشطاء آخرون من حركة 6 أبريل ومن الألتراس. أما فكرة المشروع فجذورها تأتي من حركة العصيان المدني للشهور الأخيرة التي كانت في الإسكندرية وبورسعيد وحتى هنا في القاهرة".

وكان محب دوس حريصًا على توضيح الأمر بأنه على الأقل نصف اللجنة الأساسية بالقاهرة مكون من سيدات: "المجلس مكون من 25 عضوًا منهم 12 سيدة، وهناك ممثلون لكل محافظة يأتون للقاهرة كي يخبرونا بالجديد عن الوضع والحالات النفسية على أرض الواقع. عندنا 9 آلاف متطوع في مصر كلها. نحن كما هو واضح نعمل كالماكينة، منظمين وهدفنا محدد ونضع في الاعتبار وسائل التواصل الحديثة بشكل كبير جدًا، فمثلًا على «تويتر» نجيب عن أسئلة المواطنين وعلى «الفيس بوك» ننظم وننشر الأنشطة الخاصة بنا".

ومن الواضح أنه كان فخورًا جدًا بالعمل الذي أنجزوه في وقت قصير: "في أول 10 أيام للحملة حصلنا على أكثر من 2 مليون توقيعًا". قال ذلك مُحب بابتسامة تحمل حماسًا واضحًا وفي الوقت نفسه قلقًا لا يمكن إخفاؤه حول الأحداث القادمة.

ثم بعد ذلك أخذ بيده أحد المنشورات وبدأ يعدد أسباب تمرد حول وجوب ترك مرسي منصبه، فقرأ بصوت عالٍ وبنظرة يبدو عليها الحزم وقال: "الأمن لم يعد للشوارع، وموقف الفقراء يتدهور، خلال فترة قصيرة لن يجدوا العيش لسد جوعهم في آخر اليوم؛ الشيء الوحيد الذي يفلح فيه الرئيس هو أن يقوم بالتسول من البلاد الأخرى، ولم نر بعد محاكمة من أجل الشهداء، وما زالت مصر تسير وراء السياسة الأمريكية ونحن لا نريد ذلك".

ثم رفع نظره عن الورقة وبدأ يشرح: "كل مَن قاموا بالتصويت منا في الانتخابات الرئاسية الأخيرة (مع العلم أن كثيرين رفضوا النزول للانتخابات)، فضلوا مرسي. وساعتها كان اختيارًا مجبرين عليه؛ لأن المنافس شفيق كان يمثل النظام القديم. الذي نكرهه كره الموت".

ارتشف قائد الحملة من كوب الشاي الخاص به ثم عاد ليتحدث عن الاجتماعات التي تتم كل يوم: "كل يوم تصل تقارير من المدن المصرية وبذلك نتعرف على ما يحدث خارج العاصمة". ثم شرح أن الجميع يقومون بالأدوار كلها ولكن كلما اقترب يوم 30 يتم تنظيم العمل بشكل أكثر وبإيقاع أسرع: "كي ننهي مهامنا بسرعة وزعنا المهام فيما بيننا: هناك مَن هو مسئول عن

الصحافة، ومَن هو مسئول عن السكرتارية، ومَن هو مسئول عن تجميع وترتيب النماذج التي تصلنا، ومَن هو مسئول عن التواصل مع الناس، ومَن يقوم بتنظيم التجمعات المفاجئة في الشوارع، فنحن نعمل مثل الماكينة التي تعمل بشكل جيد جدًا، لن نقصر في هدفنا".

وكان الناشط يرد على الهاتف الذي لم يكن ينقطع عن الرنين. وحول توقعاته المستقبلية كانت الإجابة فورية: "سنواصل حتى يترك مرسي الرئاسة. انظري، لم يتغير شيء منذ أيام مبارك، إلا شيء واحد فقط: فيما قبل كان رجال الرئيس السابق يدخنون السيجار؛ لكن الآن رجال مرسي في فمهم المسواك". هكذا أنهى حديثه مبتسمًا، بينما كان كل النشطاء في الغرفة يشيرون بالموافقة.

ومع الحركة المستمرة للنشطاء من الدخول والخروج تمركز الحوار حول موضوع التمويل، فقال: "أحزاب جبهة الإنقاذ الوطني وقعوا على نماذجنا ويساندون قضيتنا، لكننا حركة مستقلة. نعم، المعارضة تساعدنا بدعم بعض أنشطتنا وتوفير بعض القاعات لنا في مقراتهم. لكن الممولين الرئيسيين لنا هم المواطنون". وهنا توقف ليلتقط أنفاسه ثم ختم الحديث قائلًا: "نحن نطلب دائمًا في كل المناسبات العامة مساعدات ملموسة أهم بكثير من المال: نحن نحتاج لناس تعمل معنا وتؤيد طلباتنا".

وفي النهاية، بلهجة حادة نوعًا ما، لم يُخفِ ما تعرضوا له مؤخرًا من استفزازات من جانب مؤيدي الإخوان: "حاولوا أن يفرضوا علينا بكل الطرق ترك ما نقوم به من عمل. مساء أول أمس اتصل بي واحد منهم على التليفون

وقبل أن أنطق بحرف هددني وقال لي إنه مَن سيقوم بمظاهرات سيُقتل أو يُختطف، وقال لي: انتبهوا لنسائكم لو أكملتم أعمالكم التخريبية ثم انتقلوا من الأقوال للأفعال: وضعوا أرقام بعض الناشطات من الحركة على مواقع ساخنة للانترنت؛ والبنات بدأت تستقبل تليفونات وقحة من أشخاص غريبة. وحتى نغلق هذا الموضوع، وهنا نصل للذروة: وصلنا بعض البلاغات، وهذه المرة كانت من أحد أعضاء الإخوان، بتهمة سب الإسلام. كان خيالًا علميًا واسعًا: نحن أيضًا مسلمون، لكن السياسة الحقيقية شيء آخر مختلف تمامًا". هكذا أنهى مُحب دوس المقابلة بنبرة حادة وبصوت عالٍ.

مشرحة زينهم بالقاهرة
9 سبتمبر 2013

كان هناك الكثير من المرتبات المبعثرة الملطخة بالدماء، وبقايا ملابس في كل مكان وتوابيت خشبية خالية ومقلوبة على ظهورها، وعلب سجائر مكومة، وصفائح وزجاجات على درجات السلم، كان هذا مدخل أكبر مشرحة بالقاهرة مشرحة زينهم.

وهنا نجد أيضًا أهالي الضحايا ينتظرون أن ينادي عليهم أحد لاسترداد الجثث الخاصة بأحبتهم أو التعرف عليهم في حالة من الانهيار التام.

طوال اليوم كانت الصرخات تعلو وخاصة صرخات النساء، وكان البكاء كثيرًا علاوة على مشاهد من العصبية، وهذه العصبية ناتجة عن الضغط النفسي والمعاناة الشديدة. وبمجرد الدخول للممر نشم رائحة قوية للدماء والقمامة، وقد أصبح الناس خاصة أهل الحي معتادين على التعايش مع هذه الرائحة.

في مشرحة زينهم تتم عمليات تشريح الجثث ويكتب الأطباء المختصون في الطب الشرعي تقريراتهم الطبية. وتصل جثث الأشخاص الذين ماتوا في ظروف غامضة إلى هذا المبنى. وغالبًا ما تكون ظروفًا لا تود الحكومة أن تلقي عليها الضوء.

وهناك اقترب مني رجل في نصف العقد الخامس من عمره. كان طويلًا عريض المنكبين، وكان قد تعرف لتوه على جثتين لاثنين من أقربائه، وقال لي: "تم تعذيبهم من الشرطة حتى الموت". وأراد الإفاضة في الحديث وحكاية القصة: "كانا يقودان السيارة في منطقة العريش في شمال سيناء. وكان يوم الخامس عشر من أغسطس وكان هناك حظر تجول من الساعة السابعة مساءً. وأوقفهم البوليس في لجنة وكانت الساعة العاشرة والنصف مساءً. وكل هذا وفقًا لتقرير الشرطة".

وهنا توقف لالتقاط أنفاسه وكان يجد صعوبة في التحدث، وتمالك نفسه بصعوبة كي لا تسيل الدموع على وجهه، ثم قال: "لقد عذبوهم حتى الموت. وحسب تبريرات وكيل النيابة كان ذلك لسببين: كان بحوزتهما أسلحة وخرقا حظر التجوال. لكن هذا غير صحيح: كانا اثنين من الشباب المسالمين".

والتقط أنفاسه مجددًا، وكان يبدو أنه يريد أن يبلغ عن الحادثة: "استطعت التعرف على جثتيهما بصعوبة بالغة وقد كانت معالمهما قد تغيرت كثيرًا".

في النهاية ارتفع صوته، وقد كان محبطًا: "وأنا أسأل: حتى وإن كانا مسلحين، وأنا لا أعتقد أنهما كانا مسلحين، لماذا عذبوهما بكل هذه القسوة حتى قتلهما؟ في السيارة عندما أوقفوهم كانوا ثلاثة. الثالث لم يعثر عليه أحد حتى الآن، ولا أحد يعلم أين اختفى. ومن المحتمل ألا يستطيع أن يصل إليه أحد بعد ذلك أبدًا".

لم يكن الرجل بمفرده، فغالبًا لا يستطيع أهالي الضحايا كتابة كل المستندات المطلوبة للحصول على الجثة أو إحضارها. لذلك يأتي الكثير منهم بصحبة

محامٍ أو صديق خبير بهذه الأمور. الأطباء الذين يعملون في المشرحة يتم اختيارهم بعناية كبيرة من قِبَل وزارة العدل.

وكان هناك الطبيب عمرو الشورى الذي قابلناه في نقابة الأطباء في جاردن سيتي من قبل، وقد حكى لنا بأنه حاول أن يحرر طلبًا للعمل في مشرحة زينهم ولكن الإجراءات جعلته يتوقف: "بمجرد تقديم الطلب، تدور سلسلة من التحريات حول سجل الشخص، يبحثون لو كان عندك مشكلة قبل ذلك، مشكلات سياسية أو مشكلات مع القضاء. وعند ملئ النماذج يجب كتابة أسماء كل الأقارب، وهذا أمر إجباري، الأقارب من الدرجة الأولى والثانية والثالثة. لو كانت نتيجة التحقيقات والتحريات عن سجلك إيجابية، ساعتها يمكنك بدء المقابلات مع مجموعة من المديرين المسئولين في وزارة العدل ومع مجموعة من رؤوساء القسم. لو تم قبولك في المقابلات، حينها يكون نجحاك. وساعتها تصبح لديك حصانة كاملة أمام القوانين".

كان الدكتور واثقًا وفي تركيز كامل وهو يشرح تجربته: "مشكلات سياسية يعني ببساطة أنهم لا يقبلون أي أحد يكون له أفكار مختلفة عن أفكارهم، هذه هي الطريقة التي تسمح لهم بالتحكم بشكل أكبر في الأطباء والعاملين معهم".

ولم ينتهِ الحديث عند ذلك، فقال: "عند بدايتك في العمل، تظل مباحث الشرطة تتحرى عنك باستمرار، مع مَن تخرجين، وأين تذهبين، ولا يمكن أن يكون لكِ أي نوع من العلاقات مع الصحفيين أو الإعلام بشكل عام. يعني يجب أن يعرفوا كل شيء تقومين به وإن لم يعجبهم بمقدورهم إبعادك. من الممكن

إرسالك إلى محافظات بعيدة ومنسية". وقد أكد عمرو الشورى أن كل هذه السلسلة من التحريات تستمر من عام لعامين. التحريات تقوم بها الشرطة ورجال أمن الدولة.

عند باب دخول المشرحة كان الرجل المسئول عن إدخال أهالي الضحايا هو أحد الفنيين المساعدين للأطباء أثناء عملية التشريح. وكان يرتدي طاقمًا أخضر ملطخًا بالدماء.

كان مبتسمًا وأشار لنا بالدخول من مدخل فرعي حتى لا نجذب انتباه الحاضرين، ثم أشعل سيجارة وبدأ في الحديث: "هنا يعمل ثلاثون طبيبًا تقريبًا، لكن لا يأتون كلهم بانتظام. وهناك خمسة عشر من الفنيين في حالات الطوارئ يقومون أيضًا بالتشريح. وهناك ثلاث ثلاجات كبيرة: كل واحدة يمكن أن تستوعب 30 جثة على الأكثر. وأيام رابعة كان الوضع جحيمًا: وصلنا من 700 إلى 800 جثة. كان وضع العمل غير إنساني بالمرة والأهالي كانوا مضطرين للبحث عن أحبتهم ما بين جثث كثيرة، متراكمة فوق بعضها. لم يكن هناك مكان لكل هذا. اضطررنا لوضعهم في أي مكان: بطول الممرات، في المدخل، وتركنا بعضهم أيضًا في الشارع. سكان الحي معتادون على تلك المشاهد المروعة، فقد أصبحوا لا يأبهون لهذا. المهم، بدأنا بعد ذلك في وضع الجثث في حاويات كبيرة: وظل بها جثث كثيرة لأيام عديدة. وفي هذا المبنى مازال هناك بعض الجثث لضحايا رابعة التي لم يتعرف عليها أحد".

وفي النهاية قال إن الناس لا تثق بالأطباء لدرجة أنه كان هناك من يريد المشاركة في عملية التشريح: "أهالي الضحايا لم يكونوا يريدون الانتظار في الخارج. بعضهم كان خائفًا من أن يكتب الأطباء تقارير مزورة. وهذا كان يحدث بشكل كبير أيام مبارك. أما الآن فبشكل أقل".

وعن سؤاله حول الفساد الحالي داخل المشرحة، ظل صامتًا لقليل من الوقت ثم قال: "لا أستطيع أن أقول لك أي شيء، أنا لست طبيبًا وعملي شيء آخر، لكنني أرى ناسًا كثيرين مساكين يشكون ولا يجدون أية راحة".

ثم هز رأسه وقال مُنهيًا الحديث: "بالتأكيد كل العائلات تبحث عن العدالة، ولكن لا يجدونها دائمًا هنا". وبعد أن أنهى تدخين سيجارته الألف أشار لنا بأن وقت فراغه المتاح له قد انتهى، ثم سلم علينا بيده فتركنا وابتعد متجهًا نحو الممرات المظلمة في المشرحة.

اللاجئون الناجون من الغرق في بحار مالطة
17 أكتوبر 2013

وجدت داخل قسم الشرطة بالإسكندرية ما يقرب من خمسين لاجئًا سوريًا وفلسطينيًا كانوا قد نجوا من الغرق في الحادي عشر من أكتوبر 2013، وقد تم احتجازهم هناك بالقسم. كان هناك كثير من الرجال والنساء والأطفال المجبرين على العيش في ظروف غير إنسانية غالبًا ما تفوق طاقة التحمل. وكان قسم الشرطة كالسجن الحقيقي، حيث كان به زنزانتان: إحداهما للرجال والأخرى للنساء والأطفال. وكانت الأدوية تصل بالقَطّارة وبعد وقت طويل.

وكانت أوضاع النظافة الصحية غير طبيعية وغير ملائمة لضمان أدنى أساسيات الآدمية: كانت القمامة متروكة ومكومة على الأرض وفي أركان الحجرات في الحالات الأقل مآساويةً وكانت المراحيض بالنظام البلدي لا يستطيع المرء دخولها من شدة سوء رائحتها. وكان المحظوظون من الناس يرقدون على الأرض فوق مراتب متسخة وقذرة. وكان بعض اللائجين مرضى يحتاجون لزيارات طبية طارئة، لكن احتياجاتهم في الغالب لا يهتم بها أحد.

وقد حكت لي إحدى السيدات السوريات وهي مضطجعة في أحد الأركان، فقالت: "أنا مريضة مرضًا خطيرًا جدًا، أنا مصابة بالسرطان. وبعد فحوصات كثيرة وعمليتين جراحيتين في لبنان استطعت أن أجد طبيبًا ألمانيًا مستعدًا للقيام بعملية جراجية لي. وهذا هو الدافع وراء صعودي لذلك المركب الملعون الذي كان متجهًا للسواحل الإيطالية". والتقطت السيدة أنفاسها واختتمت قائلة: "غرق

المركب ونجوت أنا الحمد لله. ولكن الدولة المصرية سترسلني مرة أخرى إلى بلدي على أية حال. وهناك لن يستطيع أحد القيام بعملية جراحية لي".

وفي الممر، بمدخل قسم شرطة كرموز، كان هناك شاب في العشرين من عمره يرقد على الأرض، وكان يبدو كأنه قد فقد الوعي. وهنا أشارت الشرطة بالاستمرار، لكن الدكتور طاهر مختار – أحد الأطباء بحركة التضامن مع اللاجئين (هي حركة من النشطاء في مجال حقوق الإنسان وقد أنشأت لها صحفة على الفيس بوك حيث تدين سوء المعاملة التي تتبعها مصر مع اللاجئين السوريين) – توقف لإسعافه. وقد شرح الطبيب قائلًا: "الفتى على ما يرام، لكنهم لا يعطونه التصريح لرؤية أهله، فهو يائس ويريد أن يرى والدته بأي شكل؛ حتى إنه يتظاهر بالمرض لكي يحملوه إلى المستشفى، ولكي يستطيع طلب التصريح بالحديث مع أحبائه بمجرد وصوله إلى هناك".

وقال الدكتور مختار إنه تم ترك الناجين من الغرق يواجهون الأمر بمفردهم: "من ليس على ما يرام يتلقى خدمات رعاية بسيطة وموجزة؛ فأنا أذهب يوميًا لقسم الشرطة بالإسكندرية: أقوم بالكشف على اللاجئين وأحمل لهم الأدوية اللازمة. ولكن غالبًا ما يكون هذا غير كافٍ. فبعضهم يحتاج لعمليات جراحية، ولكن يتم إنكار ذلك عليهم". واختتم الطبيب حديثه دون التطرق للصدمات النفسية التي تعرضوا لها والتي من المحتمل ألا يتعافوا منها بعد ذلك، فقال: "في الحادث الأخير في عرض البحر فقدت طفلة اسمها إسراء والدها وهي في التاسعة من عمرها. والآن هي موجودة هنا في قسم شرطة كرموز: كما ترين تضحك وتمزح مع الأطفال الآخرين دون أن تعلم أنه تم العثور على جسد

والدها وقد فارق الحياة. ووالدتها موجودة في سوريا وسيتم إعادة الطفلة إليها قريبًا جدًا إلى بلدها الأصلي".

وقد قابلت نادر عطار وهو ناشط آخر وباحث في حركة التضامن مع اللاجئين، وقد انتقد بشدة القوات البحرية المصرية، التي كانت صاحبة الذنب – على حد قوله – في عدم إنقاذ حياة الناس في البحر، فقال الباحث الشاب بكلمات مدوية: "عندما غرق آخر مركب، تم إنقاذ الأشخاص الذين كانوا على متنه من قِبَل الصيادين المصريين. وقد وصلت سفينة القوات البحرية متأخرة تأخيرًا واضحًا إلى مكان الفاجعة. وبالإضافة إلى ذلك، كان أول أمر قاموا به هو التقاط الصور للمركب وتصويره بالفيديو عوضًا عن تقديم الإسعافات الأولية. وسأقول لك أكثر من ذلك: قام العسكريون بإطلاق النيران – هم يقولون أنهم قاموا بالإطلاق نحو السماء – وقد قتلوا رجلين ممَن كانوا على المركب".

في غرفة الرجال – أو كما يصح أن نقول – في زنزانة الرجال كان هناك عشرون شخصًا يريدون التحدث وإخراج ما في أنفسهم من ضيق وألم. وكان عمر، رجل في الثامنة والخمسين من عمره، أول من أراد حكاية قصته: "أنا سوري من أصل فلسطيني، وقد وصلت بشكل شرعي إلى مصر في 3 أكتوبر الماضي، ثم صعدنا على ذلك المركب البالي يوم 11 أنا واثنان من أبنائي وقد غرق هذا القارب بشكل مأساوي بعد بداية الرحلة بعدة ساعات. والحمد لله، لم يمت أحد منا. ونحن كلنا الآن هنا ننتظر أن يتم ترحيلنا إلى سوريا، حيث نلقي حتفنا". وقد قال هذه الكلمات الأخيرة بنبرة يائسة باردة.

وبالقرب منه كان يجلس خالد الذي كان يبلغ من العمر سبعة وثلاثين عامًا وقد وصل إلى مصر يوم الثالث من أغسطس وتحدث إلي الشاب قائلًا: "نحن هاربون من سوريا وقد مات لي أَخَوَان في مدينة درعا، وإن أعادونا إلى هناك فسوف نلقى النهاية نفسها". وكان خالد قد حصل في أول مرة جاء فيها إلى مصر على تأشيرة دخول لمدة ثلاثة أشهر، وبمجرد انتهاء فترتها استطاع بصعوبة بالغة أن يحصل على تجديدًا للتأشيرة لمدة ثلاثة أشهر أخرى، وعن ذلك أخبرني بنبرة تحمل كثيرًا من الأسى: "عانيت صعوبة شديدة لإطالة إقامتي في مصر. لذلك قررت أن أجرب وأن أجازف بكل شيء من أجل كل شيء محاولًا الوصول لإيطاليا، دون فائدة".

وكان هناك طفل يريد أن يلفت انتباه من وصلوا مؤخرًا بأية طريقة. اسمه محمد وكان يبلغ من العمر 12 عامًا، فلسطيني سوري، وكان قد وصل إلى القاهرة يوم 25 سبتمبر مع والده وجده وقد قال: "جدي مات في البحر" وهنا تنهد الطفل ثم استكمل حديثه: "في سوريا كنا في مخيم اليرموك للاجئين في إحدى ضواحي دمشق". وهنا قاطعه الأب مشيرًا إليه بإظهار خياطة الجروح على جسده الصغير الرقيق، وهنا بكل طاعة قام الطفل بخفض بنطاله ورفع قميصه وأشار إلينا بيده الصغيرة محددًا الآثار العديدة للجروح على جسده كله: على بطنه بشكل أساسي وعلى فخذيه وعلى ساقيه. ثم استأنف الحديث: "في مارس بينما كنت أخرج من المدرسة، حدث قصف وتعرضت للإصابة، وكنت أظن أني قد مت". ثم قام الوالد الذي كان يداعب رأس ابنه بلطف بإنهاء الحديث بتلك النبرة الحادة رافعًا إياها فقال: "لقد مكثت أسبوعًا معه في المشفى. وقد تعرض لعمليات جراحية كثيرة. لقد أصبحت حياتنا مأساة متواصلة؛ الآن ننتظر فقط أن نموت معًا".

وأخيرًا كان هناك ولد آخر اسمه عمر. وأشار عمر بإصبعه نحو السوق السوداء لتجار الموت عن طريق رحلات المراكب وبدأ يقص كيف كان قد اتصل بهم: "بعد أن انتشرت الأخبار قليلًا في المدينة، وقد نصحونا هناك بالذهاب لإحدى المقاهي في حي بوسط الإسكندرية. وهناك قابلنا رجلًا مصريًا يدير هذا النوع من 'البيزنس'. وكان قد وعدنا بتأشيرة لإيطاليا، ونحن صدقناه؛ فالكثير منا ليس لديه خيار آخر. وقمنا بإعطائه أوراقنا والمال (كان يريد ثلاثة آلاف دولار للشخص الواحد)". وحكى عمر تفصيليًا: "في يوم الرحيل وضعونا في إحدى الحافلات وكانت نوافذها كلها مغطاة بأوراق الكارتون، ونقلونا إلى أحد أحياء الإسكندرية يسمى بحي المكس وهو حي يطل على البحر. وهناك كان بانتظارنا أشخاص آخرون كان يبدو عليهم السوء والخبث، فقاموا بتجريدنا من كل الأشياء القليلة التي كنا نمتلكها. كانوا مسلحين بمسدسات وسكاكين وأجبرونا على الصعود لمراكب صغيرة".

وكان وصف عمر واضحًا ودقيقا لذلك اليوم: "وبمجرد أن صعدنا على تلك المراكب الصغيرة الخشبية المتهالكة، انطلقنا في عرض البحر. وبعد وقت قصير وصلنا إلى مركب أكبر كان ينتظرنا وسط البحر المفتوح. وعندها كومونا واحدًا فوق الآخر. وبطبيعة الحال غرق المركب الكبير بعد ساعتين تقريبًا؛ فقد كان عددنا كبيرًا للغاية على متن ذلك المركب، ربما ضعف العدد أو ربما ثلاثة أضعاف العدد المسموح به". وتوقف عمر وكانت عيناه تلمعان، ثم شب قائمًا على رجليه واختتم حديثه بصوت ثابت: "سأخبرك بشيء: أفضل الموت في البحر عن الموت على يد ديكتاتور عربي". وعندها هز الحاضرون رؤوسهم كإشارة على الموافقة. وبانتهاء الحوار اقترب كل منهم إلى أهله وأحبابه المبعثرين في الغرفة الباردة والبائسة للسجن.

أحمد: بطل فيلم "الميدان" المرشح للأوسكار
24 فبراير 2014

له صوت أجش ووجه مبتسم ونظرة فضولية. اسمه أحمد ويبلغ من العمر 27 عامًا، وكان بطل الفيلم الوثائقي «الميدان»، وهو الفيلم المصري المرشح للأوسكار. وقد تحدث معنا فقال: "أنا دائمًا أتجول بماكينة التصوير. وثورتنا لا تنتهي هنا". وبالنسبة لأحمد، فإن أفلام الفيديو هي الأداة الوحيدة لتخليد الحقيقة في البلاد: "الكلام يطير، والصور تظل وتبقى. انتهاكات الشرطة، والمواطنون الذين تعرضوا للضرب حتى الموت خلال المظاهرات، ووحشة العسكريين. كل هذا مُوثق. كلها 1600 ساعة مصورة في أفلام خلال الأيام اللي أدت لسقوط مبارك". وفي تلك اللحظة كان يعمل على مشروع طموح، كان يضع كل أفلام الفيديو التي قام بتصويرها النشطاء أثناء الثورة منذ ثلاث سنوات معًا، وقال: "سنقوم بعمل أرشيف كبير كي تصل الحقيقة للأجيال القادمة. لم يضع منا شيء".

تم اللقاء في شقته بوسط القاهرة على بعد خطوات قليلة من ميدان التحرير. وهناك يتقابل مع أصدقائه من النشطاء لتنظيم العمل وللترويج للفيلم الوثائقي في البلاد. وعلى الرغم من تكريمه في الخارج، لكنه لا يمكن عرضه في مصر، فقد شرح الوضع قائلًا: "أنا دائمًا في معركة مع الرقابة. من حق المصريين أن يشاهدوا الفيلم الوثائقي. لذلك نظمنا حملة في كل محافظات مصر. سنعرضه في مقرات الأحزاب الثورية، وفي مباني المنظمات غير الحكومية وأيضًا في البيوت". ثم توقف عن الحديث وأشعل سيجارة وختم هذه النقطة باستامة رضا: "الغرفة الكبيرة التي رأيتيها وأنتِ داخلة، أستخدمها كصالة سينما، في هذه الشقة عرضنا فيلم «الميدان» مرتين".

كان أحمد يقضي ثلاث ساعات يوميًا ليتجول بين مقاهي وسط البلد: "أن يظل المرء وسط الناس، هذه هي أفضل طريقة لنتعرف على مزاج الشعب. ولذلك أقول لك وأنا متأكد من أن الناس سوف تعود مرة أخرى لتملأ الميادين. الشعب يطالب من جديد بالعيش والحرية والعدالة الاجتماعية". وحول المستقبل، عبر بشجاعة عن توقعه قائلًا: "السيسي سيفوز بالانتخابات الرئاسية القادمة". ووفقًا لرؤية بطل فيلم «الميدان»، ستكون الأزمة الاقتصادية هي من ستغرق النظام القادم: "الناس تموت جوعًا. المواطنون لا يريدون الديمقراطية، مثلما يُكتب في الصحافة الخارجية. نحن لا نعرف معناها الحقيقي. المصريون يريدون أن يعملوا وأن يقدروا على إعالة أسرتهم. إن لم يكن هناك عيش، فلن يكون هناك استقرار سياسي".

والبطلان الآخران للفيلم الوثائقي اسمهما خالد ومجدي. الأول ناشط سياسي، والثاني عضو بالإخوان. وكان أحمد دقيقًا في وصفه للأنواع المختلفة للنشاط السياسي في مصر: "أنا عشت طوال حياتي في الشارع. وأعرف جيدًا الشعب الذي أستمع إليه وعشت معه بنفسي، وأعرف الشعور الذي يحركه. وعلى العكس، فخالد الذي أحبه وأعتبره أخًا لي يأتي من بيئة أكثر ثقافةً وتعليمًا من بيئتي. هو درس في الجامعة، وأبوه مفكر. ولكن عندنا نفس الأهداف: نحارب الأنظمة الفاسدة". ثم اختتم هذه النقطة، قائلًا: "وأيضًا مجدي صديق لي، لكننا مختلفون في الفكر: وغموض سياسة الإخوان المسلمين كان هو السبب في فشل الثورة من ثلاث سنوات".

وانتقد بشدة الصحافة الوطنية: "كثير من الصحفيين يعملون لحساب النظام الحاكم. وفي أحيان كثيرة أقابلهم في الشارع، فينظرون في الأرض، ليس عندهم حتى الشجاعة للنظر في عيني وكل هذا بسبب الإعلام الفاسد". وفجأة أحضر المحمول وأطلعني مسرورًا على عبارة كانت قد تم نشرها لتوها على صفحته على الفيس بوك وكانت تقول: «يا رجال الصحافة، أنتم معكم الأقلام وتكتبون. فلا تنتظروا موافقة الرئيس كي تحكوا الوقائع".

وقد شرح أحمد أن الصحافة التشاركية أو ما يُعرف بصحافة المواطن لها دور مهم: "أنا وضعت مقاطع فيديو كثيرة على يوتيوب. وهذه وسيلة استيراتيجية كي ننشر الأفلام داخل وخارج البلد. وعن طريق المادة المنشورة على الفيس بوك وتويتر ضغطنا على الصحافة كي تكتب عن كل ما كان يحدث فعلًا في الميدان. وفي أثناء المظاهرات نقابل نشطاء كثر مثلي بماكينة تصوير وموبايل، لكن الصحفيين قليليون جدًا. دورنا لا غنى عنه".

الفصل الرابع
مفكرون وفنانون

مقدمة

أردت في هذا الفصل أن أجمع ذكر الفنانين والمثقفين الذين قابتلهم في القاهرة. ويتميز المصريون بأنهم شعب به أشخاص مبدعون رائعون عباقرة. وهؤلاء الذين أذكرهم في هذه الصفحات عَبّروا عن إبداعهم في مجالات مختلفة، غالبًا ما تكون لنقل أفكار أو أحكام سياسية، أو ببساطة مشروعاتهم الفنية. وفيما يتعلق بالمثقفين أي الكتاب والمفكرين لم يكن من الممكن أن يخلو الصف الأول من أحد أشهر الكتاب المصريين، علاء الأسواني؛ لذلك بدأت به الفصل.

تم لقاؤنا في عيادة الأسنان الخاصة به في جاردن سيتي. وكان موعدنا في فترة ما قبل نتائج الانتخابات الرئاسية الأولى بعد سقوط مبارك. وأثناء الحوار الذي استمر لمدة ساعة تقريبًا شرح لي علاء الأسواني وجهة نظره السياسية؛ حيث قام، صراحةً وبتعبيرات حادة، بانتقاد أعمال العسكريين وامتيازاتهم الاقتصادية. وكان لرأيه أثر خاص عندي، فكانت له فكرة محددة عن الشعب المصري: فبالنسبة له يجب منع الأشخاص الأميين من التصويت؛ لأن الأمر عنده يتعلق بأشخاص يُمكن خداعهم. وكان هذا الرأي بالنسبة لي جديدًا تمامًا، فقد كان الأسواني أول مَن أفصح عن ذلك الأمر بحزم واقتناع.

غالبًا ما يتم توجيه السؤال لي حول الموقف الأكثر خطرًا في أثناء عملي صحفية بالقاهرة. ومن المفارقة أن ضمن أكثر اللحظات خطورة في حياتي الصحفية في مصر، أضع دائمًا في قائمة 'العشرة الكبار Top ten' يوم أن أتى ناعوم تشومسكي إلى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لإلقاء محاضرة عن الوضع في الشرق الأوسط. وقد كان هناك حشد كبير كاد يصيبه الجنون والشغف،

ينتظر خارج بوابات الجامعة الأمريكية في ميدان التحرير في لهفة للدخول. كان هناك كثير من الأشخاص المحترمين والطلبة والصحفيين الذين يصرخون بأسمائهم من داخل الزحام لكي يتمكنوا من الدخول لحضور الحدث. ولكن زمام الأمور كانت قد فلتت من أيدي المنظمين، وبفتح البوابة وجدت نفسي مقذوفة داخل المبنى من الحشد المتدافع للدخول، وقد بدأ رجال الحراسة في مطاردتنا على الفور. وبمجرد دخولنا لقاعة المحاضرة كان يخيم الصمت المطلق، بينما في الخارج كان الأمر يبدو كما لو كنا في مظاهرات حاشدة في الميدان. وكانت تجربة مهمة سواء على صعيد حوار تشومسكي أو على صعيد كيفية خوض المصريين المهتمين بالأحداث الثقافية لمثل هذه المبادرات. ولذلك كان عنوان مقالتي: تشومسكي سوبر ستار في القاهرة.

ومن لقاءاتي بالفنانين، كان اللقاء مع محمد عبلة رائعًا. وقد أطلقت على الفنان محمد عبلة لقب رسام الثورات. وتم لقاؤنا هذا في إحدى مقاهى وسط القاهرة على بعد خطوات قليلة من ميدان التحرير. وكان مع محمد حاسوبه الخاص وقد أطلعني أثناء المقابلة على لوحاته، وكانت كلها تقريبًا لوحات متعلقة بثورة 2011. وقد أخبرني بسره لإبداع هذه الرسومات وللحصول على وحي إلهامه حيث كان يجول في شوارع القاهرة ويتحدث قدر المستطاع مع الناس ويستمع لآرائهم وكان يستشعر، أيضا على وجه الخصوص، الحالات النفسية للمواطنين ويُعيد إخراجها في لوحاته.

ثم قابلت أحمد المغربي صاحب المكان الذي أطلق عليه اسم «مكان». وأحمد شخص لطيف للغاية وخطرت له فكرة جميلة في فترة حظر التجول في القاهرة: فقد أصبح مكانه أو مركزه الثقافي مفتوحًا طوال ساعات الليل. وكان يذهب المرتادون هناك لسماع العروض الموسيقية ويمكثون هناك للنوم. كانت الأفلام

تعرض هناك، وكان الناس يأكلون ويتناقشون معًا في القاعة الكبيرة في المدخل. إنه مكان يتميز بجو ساحر يستحق الزيارة، ليس فقط من أجل الموسيقى التي يقدمها، ولكن أيضًا من أجل الروح المؤثرة التي يتمتع بها هذا المكان.

وفي فترة حظر التجول قابلت أيضًا فنانًا شابًا آخر اسمه بهاء طاليس، وكان مشروعه مرتبطًا بأيام حظر التجول. وكان من المهم والممتع الاستماع لأفكاره وكيفية تنفيذها. وكان قد أعد فكرة فيلمه مع فنان ألماني اسمه تيمو هربست. وأنقل لكم مشروعه في هذه الصفحات؛ لأنه بدا لي رائعًا ومبتكرًا وجديرًا بالذكر.

وفي النهاية نجد الفنانين الأكثر خروجًا عن المألوف، حيث نجد في مقدمة هؤلاء شباب المهرجانات. دي جي سادات وكل الفرقة، وهم شباب في العشرين من عمرهم ابتدعوا موسيقى شعبية للغاية، خاصة في الأحياء الأكثر فقرًا في القاهرة. وقد عرفت هذه الموسيقى باسم 'مهرجانات'. وقد قابلتهم في حيهم بمدينة السلام. وقد أطلعوني على المقر الذي يعملون فيه على مقاطع الموسيقى. وعن طريق الموسيقى ينشرون رسائل اجتماعية – وأحيانًا سياسية – وعلى الجميع داخل مصر وخارجها الاستماع لها لفهم هذا الشعب بشكل أكبر ولفهم الشغف والعشق الذي يحركه.

علاء الأسواني: "فاز الإسلاميون، وعلى الجيش تَقَبُّل الأمر"
22 يونيو2012

علاء الأسواني هو أحد أهم الكتاب المصريين المعاصرين، وأحد الأصوات التاريخية المعارضة لنظام مبارك. وقد ساهم أثناء الثورة في إقالة أحمد شفيق من رئاسة الوزراء بعد مقابلة تليفزيونية وجهًا لوجه في البرنامج السياسي الشهير «آخر كلام» الذي يُذاع كل مساء على قناة أون تي في.

قام علاء الأسواني أثناء اللقاء بانتقاد المجلس الأعلى للقوات المسلحة واتهمه بالفساد وبأنه حمل مصر إلى الهاوية. وحول نتيجة الانتخابات الرئاسية بعد ثورة 2011، لم يُخف عنا معلومةً مؤكدة لديه: "محمد مرسي، مرشح الإخوان

فاز. لست أنا مَن أقول هذا، لكن هذه حقيقة واقعة. لو المجلس الأعلى للقوات المسلحة لن يقوم بلعبة قذرة، النتيجة ستُعلن رسميًا بشكل نهائي يوم الأحد. وهذه آخر حركة للعسكر؛ لأنهم في بادئ الأمر كانوا قد قالوا إن النتيجة كانت ستظهر رسميًا يوم الخميس، لكن قرروا تأخيرها بعد ذلك ليوم الأحد لسببين: الأول هو الأمن؛ لأن العسكر قلقون من مظاهرات الجمعة، والثاني هو كسب الوقت: هم يحتاجون لعدة أيام لتمهيد أرضية لأنفسهم مع الإخوان". وحول ما يتعلق بالسرعة التي أعلنت بها حملة مرسي الفوز، بساعات قليلة من غلق لجان الانتخاب، قال علاء الأسواني: "أعلنوا النتيجة على الفور؛ لأنه كان معهم الأرقام التي تسمح لهم بفعل ذلك. هم مُنظمون بشكل جيد جدًا. والمسئول عن حملة أحمد شفيق يعرف جيدًا أن مرسي فاز. والآن حتى إن لم يكن الأمر رسميًا بعد، فمرسي هو رئيس مصر". وقبل استكمال حديثه عن الوضع، كان حريصًا على إعلان موقفه من الانتخابات: "قاطعت الانتخابات، لم أنتخب. تفضيل واحد منهما كان يعني انتخاب 'أحسن الوحشين'، وأنا لم أفعل ذلك".

كانت المقابلة بعيادة الأسنان الخاصة به في منطقة جاردن سيتي. فعلاء الأسواني علاوة على كونه كاتبًا مشهورًا فهو أيضًا طبيب أسنان ناجح يعمل في عيادته يومين أسبوعيًا وعمله طبيبًا لا يعوقه عن أن يصبح شخصية مهمة على الساحة السياسية المصرية. وحول المحكمة الدستورية التي أحلت بحكم ثنائي البرلمان المصري قال الكاتب: "من الممكن أن أكون متفقًا مع المحكمة، لكن كالعادة الشك موجود حول التصرف الغامض للمجلس الأعلى للقوات المسلحة؛ لأنه كان يعرف من شهور كثيرة أن القانون الانتخابي غير دستوري ولم يقولوا أي شيء قبل ذلك، فلماذا يقولون الآن عنه هذا؟ وغير ذلك، في البداية كان من

مصلحتهم أن يصمتوا وكانت تلتقي احتياجاتهم مؤقتًا مع احتياجات الإخوان. أما الآن فالعلاقة بينهم تغيرت".

توقف وأشعل سيجارة ثم واصل حديثه: "هم أذكياء جدًا ولعبوا بحنكة كبيرة مع الإخوان. سأعطي لكِ مثالًا. المادة 4 من الإعلان الدستوري الذي كتبه المجلس العسكري تقول: «لا يجوز مباشرة أي نشاط سياسي أو قيام أحزاب سياسية على أساس ديني». لكنهم في البداية وافقوا على وجود السلفيين في البرلمان، والآن يقولون إنه لا يصح أن يظلوا به؛ لأن الدستور يمنع هذا. وكما ترين، هم ماهرون جدًا في التلاعب بالشخصيات وفي استخدامهم. إنهم معتادون على ذلك. ويقومون بهذا منذ زمن. سأخبرك بشيء آخر: تلاعبوا ببراعة فائقة بالاستطلاعات التي أُعلنت قبل الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية".

وقد نالت هذه الانتقادات الحادة والثقيلة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ليس فقط الجانب السياسي، ولكن أيضًا بشكل خاص الجانب الاقتصادي: "لهم امتيازات لا يستطيع أحد الاطلاع عليها ولهم استقلال في الإدارة، ولا يتم تسريب أي شيء عن استثماراتهم وأعمالهم: يتحكمون في 20% أو 25% من اقتصاد البلد، ولا أحد يعرف كيف يديرون هذه الأموال". وعن سؤاله حول أول صدام بين الإخوان والمجلس الأعلى للقوات المسلحة بعد تولي الرئيس الجديد منصبه رسميًا، لم يكن لدى علاء الأسواني أية شكوك بخصوص ذلك، فقال: "سيكون بخصوص الدستور الذي وضعه العسكريون ببراعة كي يحموا أنفسهم من مَن يريد أن ينزع عنهم الامتيازات الخاصة بهم أو ثرواتهم. الموضوع عبارة عن إعلان دستور تم تفصيله خصيصًا كي يحموا أنفسهم من الإسلاميين في

السلطة. وهذا قلقهم وخوفهم الحقيقي والوحيد. أما الإخوان المسلمون فكانوا يعرفون من جانبهم أنهم سيفوزون في الانتخابات الرئاسية، وفازوا. ولهذا شاركوا في الانتخابات الرئاسية رغم تخوفهم من مخالفات المجلس العسكري". أطفأ السيجارة وبسرعة عاد ليشعل أخرى واستكمل كلامه: "وبالطبع لا يحق للعسكريين الإدلاء بأصواتهم في الانتخابات. فلماذا إذًا على العكس انتخبوا شفيق بأعداد هائلة؟ وغير ذلك، هناك 35 قضية فساد ضد وزير الطيران السابق، لكن لن يحقق معه أحد. المجلس العسكري سيقوم باللازم لحمايته من أي نوع من المشاكل. سأخبرك بأمر خطير جدًا: منظمة حكومية وهي جمعية القضاة المصريين أعلنت وثيقة تقول فيها إن خمسة ملايين من مَن صوتوا لصالح شفيق هويتهم غير معروفة. لكن طبعًا حتى في تلك الحالة لا يقدر أحد أو يتجرأ على التحقيق معه؛ لأن العسكر اليوم، مثل الأمس، هم مَن بيدهم السلطة في البلد".

كانت تتم مناقشة القضية المقامة ضد الإخوان المسلمين حول عدم شرعية تنظيمهم بشدة منذ أيام في التليفزيون وفي الصحف المصرية. وفي الواقع قد يصبح مرسي أول رئيس مصري عضوًا في تنظيم غير شرعي. وهنا علق الأسواني، وقال مبتسمًا: "هذا الموقف يُضحكني. كان من الممكن أن يبتدعوا هذه القصة قبل ذلك بكثير، لكنهم ابتدعوها الآن فقط لأنها تروق لهم. يريدون تحجيم سطلة الرئيس المصري القادم بأكبر شكل ممكن. وهدفهم، وهنا أكرر الكلام، هو ألا يستطيع الرئيس أن يتدخل في شئونهم".

مصر بلد بها أكثر من ثمانين مليونًا من السكان. على الرئيس القادم مواجهة التحديات في المستقبل فـ 30% من الشعب أمي وتقريبًا نصفه يعيش تحت خط الفقر. وعن هذا قال الأسواني: "نعم. هذا حقيقي، ومشكلة الأمية في مصر يجب أن تتم مواجهتا وإيجاد حل لها. ومَن لا يعرف القراءة والكتابة يجب منعه من الانتخاب؛ لأنه يُمكن التأثير عليه بسهولة. وبالطبع هذه وجهة نظري، ليس أكثر. هؤلاء أناس يجب علينا أن نساعدهم، ليس بالصدقة، ولكن يجب أن يتعلموا. وبالنسبة لموضوع الفقر أنا لا أتفق معكِ. شراء الأصوات يحدث أيضًا في بلاد الديمقراطية المتقدمة، انظري لإيطاليا: فهذا الموضوع حدث كثيرًا في بلدك نفسها. يجب التدخل من خلال قانون يمنع شراء الأصوات الانتخابية. وهذه خطوة تحتاج لوقت وليست هي الأمر الأكثر استعجالًا في الوقت الحالي".

ناعوم تشومسكي: "سوبر ستار" في القاهرة
26 أكتوبر 2012

الحوار كان مخططًا له في تمام الساعة السابعة مساءً في قاعة إيوارت ميموريال هول، قاعة المؤتمرات بالجامعة الأمريكية بالقاهرة في ميدان التحرير. المدخل الرئيس موجود بشارع محمد محمود، وهو الشارع المعروف بشارع الجرافيتي. كان الطابور مبهرًا: طويلًا كسلسلة مكونة من البشر تبدو دون نهاية للوهلة الأولى. وأمام الباب الخشبي كان هناك ضجيج وصراخ وأناس متزاحمة عند الحائط، وفتيات كانت تتنفسن بصعوبة بالغة وطلبن وهن محبطات الخروج من ذلك الحشد. كان التوتر ملموسًا. كان الأمن يسمح بالدخول للطلبة، والصحفيين، والمواطنين العاديين، والأشخاص الفضوليين، والنشطاء، والثوريين، والمفكرين.

لم تكن هناك قواعد للدخول: كان يدخل من كان أكثر قوة، ومن كان يدفع أكثر، ومن كان له معارف بالداخل، ومن كان أكثر حظًا.

بعض الشباب أظهروا بطاقاتهم، وصرخوا: "نحن صحفيون، نحن مشتركون"، وقام آخرون بإظهار بطاقات الجامعة الخاصة بهم وقالوا: "نحن ندرس هنا، أدخلونا". كان حماسًا غير متوقع في مبادرة ثقافية كهذه. وكانت هناك صحفية أمريكية بالقرب من هناك وقالت: "لا تندهشوا: هذا هو النظام المصري، به قلة احترافية حتى وإن كانت أحداثًا مهمة". وكان هناك مدخل آخر. وبين ذلك المدخل وميدان التحرير كان هناك حائط عالٍ مصنوع من الأحجار الضخمة، وكان قد أقيم أثناء الثورة. وقام ما يقرب من الخمسين شخصًا بتسلق هذا الحائط باستخدام منضدات خشبية تم وضعها هناك خصيصًا لتسهيل

عملية التسلق. وداخل الفناء المحيط كان هناك جمع هائج من الناس، ولكنه كان أقل عدداً. وهناك كان الضجيج والصريخ والتدافع كثيراً. والفتيات المنهكة كانت تقع على الأرض. بعض الناس تركوا المكان، ولكن معظم الموجودين لم ييأسوا. وفي أحد المشاهد قام مجموعة من الشباب يبلغ عددهم العشرين باقتحام البوابة الثانية بعد أن كان قد بدا عليهم اليأس والإحباط، وحينها قام رجال الأمن والشرطة بملاحقتهم.

ناعوم تشومسكي لم يكن على علم بما كان يحدث خارج قاعة المؤتمرات، وبدأ حديثه في السابعة مساءً. كانت محاضرته بعنوان «نظام العالم الصاعد والربيع العربي» تشير بأصبع الاتهام نحو السياسة الخارجية الأمريكية وسياسة أوباما تجاه الثورات الأخيرة في شمال أفريقيا، وقال: "لا يهم أمريكا أن تعكس السياسات الخاصة بها الرأي العام في البلاد العربية. فقد قامت السياسة الأمريكية حتى يومنا هذا بالاعتماد على مصالحها الاقتصادية مع الديكتاتوريين الذين كانوا يحتاطون كي لا يعبر المواطنون عن فكرهم بطريقة ديقموراطية". وعن الرئيس الأمريكي أضاف قائلًا: "أوباما مثل مَن سبقوه ساند الديكتاتوريين قدر استطاعته. ولكن بمجرد وقوف العسكريين ضد الفرعون في تلك اللحظة بالتحديد أصدر تصريحات مؤيدة للديموقراطية. ومع هذا بدأ العمل باتصالات وثيقة مع الحكومة التالية لكي يضمن بقاء هيكل النظام القديم كاملًا". كان هذا وصف المفكر الأمريكي لسياسة بلاده ورئيسها تجاه المنطقة.

وكان في صف الحضور الأول كل من عمرو موسى المرشح السابق للانتخابات الرئاسية. وعلاء عبد الفتاح، المدون الشهير وأحد الثوار الأكثر نشاطًا ضد نظام مبارك. ولم يكن ببعيد عن السيد عمرو موسى وبعد انتهاء الندوة التي استمرت لمدة ساعة انفجر الجمهور بتصفيق حاد لم يكد يتوقف. وبعد ذلك حصل رئيس الجامعة على الميكروفون، وقام بتوجيه خمسة أسئلة كانت قد تمت كتابتها من الحضور على قطع من الورق. وفي إجابته عن وضع الحكومة الإسلامية للإخوان المسلمين وعن إمكانية تقليص فرص العدالة الاجتماعية في البلاد كان تشومسكي غامضًا، فقال: "لا أجد أسبابًا تجعل سياسة الإخوان تعارض كفاح العمال". ثم أصبح بعدها بقليل أكثر وضوحًا في مقابلة تليفزيونية في مساء اليوم نفسه أجراها مع القناة المصرية الشهيرة أون تي في حيث قال بقوة: "أحلام الثورة وآمالها لن ترضيها الحكومة الإسلامية الحالية". وكانت عبارة حاسمة لم تترك المجال لكثير من التفسيرات.

محمد عبلة: مصر ورسام الثورات ولوحاته
14 يوليو 2013

"أنا تابعت ورسمت كل الثورات". كانت هذه هي بداية حديث محمد عبلة، الرسام المصري، في إحدى مقاهي وسط القاهرة، حيث كان يرتشف من كوب الشاي الساخن ويدخن الشيشة. ثم أضاف بابتسامة: "أنا معروف برسام الثورات. والكل يعرف أني أحب أن أشتغل بهذا الموضوع. والسر في هذا النجاح هو أني أتكلم مع الناس، أقضي ساعات كثيرة كل يوم في ميدان التحرير. وأستطيع أن أصل لمزاج وشعور وإحساس المصريين. ثم أصل للإلهام وأرسم لوحتي".

وحول الأحداث السياسية الأخيرة قال دون تردد: "يوم 30 يونيو كان تاريخًا ينتظره الجميع منذ أسابيع كثيرة، وقد حددنا موعدًا لكي نقوم بثورة". وقد قال محمد عبلة: إنه كان قد توقع خلع مبارك أيضًا: "في 2010 رسمت لوحة بعنوان «انهيار مدينة». وكنت سبقت الأحداث باستماعي للناس ومعرفة حالتهم النفسية قبل أن تنتبه السياسة لكل هذا".

قام محمد عبلة أيضًا بحكاية مسيرته التي كانت دائمًا ضد النظام: "في البداية كنت أرسم مبارك الفساد وانتهاكات سلطة نظامه الحاكم. وبعدها اشتغلت على الإسلاميين. أعني: أني في البداية كنت أحارب الفساد، أما على العكس في أيام مرسي انتقدت الجهل وقصر نظر حكومته. وموضوع شغلي الدائم هو ميدان التحرير الممتلئ دائمًا بالأعلام المصرية، والألوان والحركة. فهذا المكان دائمًا في حركة ولم يكن ثابتًا أبدًا". ثم تطرق للتفاصيل وشرح قائلًا: "في

الرسومات الأخيرة أضع فكرة الفوضى نقطة ارتكاز في عملي. في التحرير مثلًا هناك جزء من كل شيء: هذا عالم مُصغر يمثل الواقع المصري. ولذلك فإن التكنيك الذي أستخدمه في هذه الأعمال الأخيرة هو نوع من البازل دون أي ترتيب: قطع صغيرة من الأوراق موضوعة مع بعضها بشكل غير مرتب. أريد أن أنتج فكرة التعددية: رجال، ونساء، وأطفال، وأيضًا مسلمين ليبراليين، وإسلاميين، وأقباط. الكل معًا بشكل غير مرتب وعشوائي قدر المستطاع".

كان الرسام منبهرًا بالشارع وخاصةً من طريقة حياة المصريين يوميًا، فقال: "لوحة أخرى من اللوحات التي رسمتها في الفترة الأخيرة تُمثل الناس وهم جالسون على الأرض في دائرة ويقومون بالنقاش. في الفترة الحالية يتحدث الناس كثيرًا مقارنةً بالفترة السابقة. لماذا؟ في الغالب لا يقول لنا أحد الحقيقة: ليس من الممكن أن نجد الحقيقة لا في الجرائد ولا في التليفزيون. لذلك، الطريقة الوحيدة للتنفيس عن النفس هي أن نتناقش وأن نتحدث في العلن. ونحكي وجهات النظر والأفكار الخاصة بالآخرين". وعن مرسي أظهر لوحة رسم فيها مرسي على هيئة بهلوان وشرح قائلًا: "لم يكن أبدًا قائدًا حقيقيًا، كان يأخد الأوامر والتوجيهات من محمد بديع، المرشد العام للإخوان المسلمين. والكل كانوا يعتبرونه لعبة في يد شخص آخر. ولهذا رسمته مثل البلياتشو".

وبين لوحة وأخرى أشار إلى لوحة تدل على الوضع الحالي وكان مرسومًا فيها كوبري 6 أكتوبرعلى بعد خطوات قليلة من ميدان التحرير مسرح أحداث الاشتباكات بين مؤيدي مرسي ومعارضيه. وهنا أراد أن يعبر برأيه عما يحدث في البلد، فقال: "كانت ثورة أرادها الشعب. والجيش دون تأييد الملايين من الناس

الذين نزلوا إلى الميدان لم يكن ليصنع أي انقلاب. لكن عليك الانتباه: فالناس تتذكر جيدًا الفترة الانتقالية الدامية والعنيفة التي كانت بقيادة الجيش بعد مبارك. وأنا كنت من أوائل الناس الذين خلدوا موقفهم الوحشي في عملي: رسمتهم ساعتها على هيئة ذئاب متوحشة تعض في فرائسها، أي المواطنين الذين لا يملكون وسيلة للدفاع عن أنفسهم. اليوم أصبحت الصورة مختلفة، فالمصريون طلبوا تدخل الجيش وقدَّروه، وطلبوا أيضًا عدم تدخل رجال الجيش في السياسة".

وأوضح محمد عبلة أن الرسامين الذين اهتموا برسم الثورة قليلين، بينما كثير من الفنانين الشباب اهتموا برسومات الجرافيتي: "يرسم الكثير من الشباب على الأسوار في المدينة. هذا فن جميل ومهم جدًا وبالتأكيد يتزايد، لكنه شيء آخر مختلف تمامًا، مقارنةً بعملي". ولكنه شارك الشباب من هؤلاء الفنانين في تجارب عمل في مجال الرسومات: "قمنا جميعًا باحتلال وزارة الثقافة من أول يونيو. ونظام مبارك كان فاسدًا، أما نظام مرسي فكان جاهلًا". وهنا علت نبرة صوته: "التعليم ليس فقط قراءة وكتابة، لكن ما على بلدنا مواجهته اليوم هو التعليم والتثقيف؛ فهناك درجات: رقم واحد بالتأكيد هو تعليم القراءة والكتابة، والشيء الثاني الذي يواجه البلد اليوم هو أن نفهم وأن نكون مدركين للحقائق. يعني أهم شيء الآن هو أن يصبح المواطنون على دراية بالأمور". وهكذا أكد الرسام على هذه النقاط وكان يبدو عليه الاختناق من ذلك الوضع.

وبعدها شرح محمد عبلة كيف كانت حملة تمرد مهمة بشكل أساسي: "مَن كانوا في حملة تمرد لم يذهبوا للناس كي يأخذوا توقيعاتهم مقابل المال مثلما كان يفعل الإخوان، لكنهم شرحوا للمواطن قضيتهم وتركوا له حرية القرار". وعن

المستقبل القريب كانت عبارته صاعقة: "انتهى عصر مرسي بالفعل. الإخوان المسلمون سينحون جانبًا، وطبعًا سيستفيدون من المنافع التي ستكون موجودة".

وبعد نفس وآخر من الشيشة عاد ليتحدث عن تمرد، الحملة التي حصلت على حد قولهم على أكثر من 22 مليون توقيع لعزل مرسي. وأكد بذلك على أهم خاصية لهم: "عندهم حذر كبير جدًا". وقد شرح كيف؟ قائلًا: "هم استمعوا لخطابات الرئيس السابق بانتباه. ورئيس الإخوان المسلمين قال في أحد خطاباته: «سأتنحى فقط إن طلب الشعب مني ذلك ونزل الميدان»، وتمرد استغلت الفرصة. أخذوا هذه الكلمة واستغلوها ضد صاحبها. وكانوا بارعين جدًا في ذلك". وفقًا لرأي الرسام كانت النتيجة المخفقة التي وصلت إليها الحكومة الإسلامية بسبب اعتمادها بشكل خاص على قياداتهم فقط: "مرسي في سنة واحدة وعد بأشياء كثيرة ولم يفعل أي شيء. الديمقراطية تعني أن تسمع أيضًا للمواطنين، ولكن الزعيم الإسلامي بذلك لم يهتم بأي شيء من تلك الأمور".

أحمد المغربي: "مكان" يتحدى حظر التجول
13 سبتمبر 2013

كانت الشوارع ليلًا خاوية كالصحراء؛ فكان كل شيء مغلقًا، ولكن مَن لم يكن يريد احترام قانون حظر التجول كان بإمكانه الذهاب لـ «مكان». وكان المكان الوحيد المفتوح بالقاهرة أثناء الساعات التي كان فيها التجول في الطرقات محظورًا من الحادية عشر مساءً حتى السادسة صباحًا. وهناك نجد الفنانين القادمين من كل أنحاء أفريقيا وخاصة المصريين الذين يقدمون عروض الموسيقى الشعبية طوال الليل، وهذه هي إحدى أفكار البرنامج المدروس لصاحب المكان واسمه «موسيقى من أجل حظر التجول». وقد قام أحمد المغربي بالتوضيح مبتسمًا: "نحن نتحدى القواعد الحديدية التي فرضها رجال الجيش دون خرق القانون، لا نستطيع أن نغلق خاصةً في ساعات الليل. هذا هو الوقت الذي يحبه المصريين أكثر من أي وقت آخر في اليوم كله. ليس من فراغ ولكن القاهرة هي المدينة التي لا تنام".

وأضاف صاحب «مكان» أنه كان هناك دافع سواء سياسي أو فني وراء اختياره: "كنت في الميدان يوم 30 يونيو ضد محمد مرسي والإخوان المسلمين. ونجحنا في طرده، الحمد لله. وهذا المشروع طريقة رمزية أيضًا لتأكيد أفكارنا بقوة ولدعمها، الإخوان كانوا يحملون البلد إلى لهاوية، خاصةً من الناحية الثقافية. وغير ذلك، ما ترين أنتِ الآن هي ورشة موسيقية حقيقية. هنا نحافظ على التراث الفني للبلد ونبدع موسيقى جديدة". وكان أحمد متحمسًا وراضٍ عن عمله. وبينما كان يتحدث كان يرتشف من كوب الشاي ويدخن السجائر واحدة تلو الآخرى.

وتطرق بالتفاصيل للفلسفة التي يقوم عليها المكان: "هناك ثلاث مراحل للعمل: الأولى هي مرحلة الأرشيف. نتجول في البلد ونصور فيديو لعروض الموسيقيين الأفارقة الذين يعجبوننا كثيرًا في الشوارع وفي الحفلات الخاصة والاحتفالات التراثية. كل هذا للحفاظ على الموسيقى وتوارثها. المرحلة الثانية هي مرحلة التقديم: وفيها نطلب من الفنانين الذين نقابلهم – طبعًا أولئك الذين يعجبوننا ويجذبون انتباهنا أكثر – أن يأتوا ليقدموا عروضهم هنا. وفي النهاية، تأتي المرحلة الأخيرة: هي المرحلة الأكثر حرفية وفنية، فهي مرحلة الإبداع: ننتج في معملنا هنا نوعًا جديدًا من الموسيقى، عبارة عن مزيج 'ميكس' من أنواع الموسيقى المختلفة. وهذه طريقة نتبادل بها معلومات وإيقاعات أو ريتمات وثقافات". وهنا كان حريصًا على الدقة في طرح الأمثلة: "ندمج الموسيقى الغجرية المصرية مع الچيبسي-فلامينكو: أو الچاز الهولاندي مع الزار وهي موسيقى شعبية تُستخدم في مناسك العلاج من الأمراض التي لها علاقة بالأرواح، أو يُمكن أيضًا أن نجمع بين الإيقاع والريتم الغجري مع موسيقى الكمان الأوروبية، أمر في غاية الروعة!".

ثم بعد ذلك، بنفس الحماس الذي وصف به عمله، عاد أحمد ليتحدث عن حظر التجول وشرح كيف يتم تنظيم الأمسيات: "الناس تبدأ بالوصول في حدود الساعة 10 ليلًا. في البداية يكون هناك لقاء بين الجمهور والموسيقيين: يتحدثون ويتناقشون ويضحكون ويمزحون. وهذا يخلق على الفور جوًا أسريًا هادئًا. وبعد ذلك يبدأ العرض حتى الساعة الواحدة والنصف ليلًا تقريبًا. وساعتها نقدم أكلًا للحضور، نجلس على الأرض حول طبالٍ من الخشب ونأكل كلنا معًا. وهذه عادة نحرص عليها جدًا. في النهاية نقوم بإعداد تسجيلات لعروض قديمة أو أفلام مع مَن لا ينام. يعني لا ننتهي من العمل ولا ينصرف أحد قبل الساعة

السادسة صباحًا". وعند سؤاله إذا ما كان تعرض لمشكلة مع الشرطة أو رجال الجيش، ابتسم ورد قائلًا: "المشكلة الوحيدة التي تعرضنا لها كانت عندما أرسلنا إيميلات لضيوفنا وزبائنا المرتبطين بنا وعرضنا عليهم ذلك المشروع؛ رد علينا الكثير منهم متحمسين، ونحن قلقنا؛ لأنه مثلما ترين المكان ليس كبيرًا، وليس هناك مكان لأكثر من ثلاثين شخصًا في الليلة الواحدة. لكن لحسن الحظ لم نتخطى ذلك الرقم".

كان المكان مكونًا من طابقين: في المدخل نجد صالة كبيرة سقفها مرتفع، وهناك يقدم الفنانون عروضهم. ويجلس الجمهور غالبًا على الأرض أو على كراسٍ خشبية حمراء وسوداء، والأرض كاملة مغطاة بسجاد كبير ملون. وفي آخر الصالة هناك سلم خشبي متصل بالحائط يؤدي إلى الطابق العلوي؛ حيث يوجد مكتب واستديو صاحب «مكان»: قاعة صغيرة ومريحة بها أرائك حمراء اللون، وتوجد أيضًا غرفة صغيرة، وقد أشار إليها أحمد وقال: "هذه غرفة الإدارة، والأولاد الذين يعملون هنا (حوالي عشرة) غيورون جدًا على غرفتهم هذه. هنا توجد أجهزة الكمبيوتر لتسجيل الأمسيات، وتسجيل الـ سي دي، ومشاهدتها والاستماع لها مرة أخرى. وهذا أحدث جزء في المبنى كله". هكذا أنهى حديثه مبتسمًا. وفي الإطار العام كانت الأجواء جديدة وأسرية ومشجعة.

نحو الساعة الحادية عشر مساءً كان المكان شبه ممتلئ. واقترب مني أحد الفنانين العاملين بملهى ليلي بشارع الهرم في الجيزة وقال: "هذا المكان يمثل صمامًا للترويح عن النفس للمصريين 'المكربجين' من حظر التجول. ليلًا كل مكان مغلق: لا مقاهي ولا مطاعم. الشوارع تصبح صحراء بعد الساعة 11 كأن المرء

يعيش في مدينة أخرى". ولكن كان هناك أيضًا من كان يقدر فراغ شوارع وسط المدينة، فقال أحد الموسيقيين الشباب، وكان متفائلًا: "أول أمس ليلًا، نحو الساعة الثالثة فجرًا، كنت أعبر كوبري قصر النيل سيرًا على الأقدام، على بعد خطوتين من ميدان التحرير: يااااه، لم أره عمري هكذا خاليًا، كان شعورًا جميلًا! كنت أريد أن أصرخ: كنت سعيدًا؛ كنت أشعر أنني أملك المدينة". وبالقرب مني كانت هناك فتاة في العشرين من عمرها بالتقريب، اسمها سلمى، قالت: "بدلًا من البقاء في البيت دون عمل أي شيء، آتي إلى هنا. وأهلي يعرفون ذلك وهم مطمئنون. ثم إنها طريقة مثل أي شيء آخر لكي يقضي المرء الوقت في أمر ما وليستمع لموسيقى جيدة". وأحضرت الفتاة المسؤولة في المكان عن إدارة السهرة معها صواني كبيرة من الطعام: أطباق كان سيتم تقديمها في النصف الثاني من السهرة.

بعد الثالثة فجرًا بدأ الموسيقيون في الاستراحة واضطجعوا على وسادات كبيرة، بينما قام صاحب المكان الذي كان لايزال في حيويته بعرض فيلم وثائقي صامت على الحائط الأكبر للصالة. كان فيلمًا يعرض صورًا لمناظر بعيدة وغريبة. ولمن يرغب كانت هناك إمكانية رؤية بعض عروض الأمسيات السابقة المسجلة في الغرفة الصغيرة بالطابق الأعلى. وفي النهاية في السادسة صباحًا بدأ الناس الذي تملكهم النعاس أكثر بالخروج ليغوصوا في الضوضاء المعروفة لزحام القاهرة. بينما كان هناك الكثير من الآخرين الذين قرروا البقاء لمزيد من الوقت، فكانوا أقل نعاسًا ولكنه كان يبدو عليهم الإرهاق من الليلة الطويلة التي قضوها في «مكان».

بهاء طاليس: "السير في القاهرة أثناء حظر التجول"
16 سبتمبر 2013

وقال بهاء طاليس، الفنان والمخرج المصري متحدثًا عن مشروعه المعروف بالمصطلح الفني Performance Art Live (بيرفورمانس أرت لايف): "تحرك ببطء، لا تجري، لا تتوقف، حافظ على نفس الإيقاع في السير: كانت كل هذه بعضًا من التعليمات التي كنت أعطيها بالتليفون وأنا أسير في شوارع القاهرة في أثناء حظر التجول". وقد شاركه العمل على هذا المشروع الفنان الألماني تيمو هربست Timo Herbst. وكان بهاء يسير ليلًا على قدميه أثناء حظر التجول مسيرة ثلاثين دقيقة ليمر بكمائن الجيش الخاصة بالمدينة واصفًا كل ما رأى حوله.

بدأ رحتله من العجوزة ووصل إلى الزمالك. وهما اثنان من الأحياء التي تقع على أطراف القاهرة. وبينما كان يسير كان يتحدث في الهاتف مع تيمو هربست الذي ينتج في اللحظة ذاتها التحركات ذاتها داخل أحد المتاحف في ألمانيا. كان القصد من هذا كله هو عرض – بشكل مرئي عن طريق عمل فني – ما هو حظر التجول، وما هي قواعده غير المكتوبة، والحالات النفسية لمن يعيشه.

وبعد أن أشعل سيجارته تحدث معي بهاء قائلًا: "هذا يحدث كأني أتحدث في التليفون مع شخص أعمى، مع شخص لا يعرف ماذا يحدث في بلدي". وكان لقائي به في إحدى المقاهي الثقافية بالزمالك، أحد أرقى أحياء القاهرة. وقبل التطرق لمزيد من الحديث أشعل جهاز الكمبيوتر المحمول الخاص به وأطلعني على فيلمه،

وقال: "انظري، قبل أن تخرجي مثلًا أنا هنا كنت أقول: للاحتياط اترك كل شيء وخذ فقط بطاقتك الشخصية والمفاتيح. وكل تحركاتي كانت محدودة".

وفجأة توقف بشيء من الانزعاج، وتوجه للأشخاص الجالسين حولنا وطلب منهم الصمت ذوقيًا لثوانٍ قليلة، ثم استأنف حديثه: "اسمعي جيدًا هنا. في الصمت الرهيب المسيطر على المدينة، يمكنك أن تسمعي بوضوح أية ضوضاء أخرى: الباب حين يُغلق، أو صوت نزولي على السُلّم، أو صوت خطواتي في الشوارع الخالية. وكلها اضطرابات صوتية غير محسوسة غالبًا لا ينتبه أحد إليها في القاهرة، العاصمة المليئة بالضوضاء والإزعاج. وهو أيضًا كان يقوم بنفس خطواتي بالضبط في بلد آخر، بعيد كل البعد عن بلدي". كانت هناك عبارات يكررها بهاء في مقطع الفيديو واحدة تلو الأخرى: «[..] لا يجب أن نتوقف. أريد أن أقف. أريد الاستمتاع بالهدوء والصمت والفراغ. لا يجب أن نتردد في أية حركة، ويجب أن نحافظ على نفس الإيقاع. الصوت صحبة جيدة، والضوضاء هنا تعني الأمان [..]».

وبينما كان يرتشف الشاي الساخن، قام الفنان والمخرج الشاب بشرح الأسباب التي منحت الحياة لذلك المشروع: "الأسباب الرئيسة هي أن نجعل الناس تفكر في مفهوم حظر التجول ونفتح جدلًا حول ذلك الموضوع". ثم تطرق للتفاصيل وقال: "في البداية كان هناك عصف ذهني بيننا أنا وزميلي الألماني: قضينا يومًا كاملًا نسأل أنفسنا ماذا يحدث في مصر. وأدركت أن الناس في الخارج عندها رؤيا غير صحيحة مختلفة عن الواقع. وبهذا أريد أن أقول إن عملي الفني الذي شاركني فيه تيمو يُمكن أن يُمثل عنصرًا تقف الناس عنده

وتفكر فيه قليلًا". وكان الفنان حريصًا على الدقة في عرضه بعض المفاهيم، فكان يعيدها أكثر من مرة حتى لا يحدث خلط في فهم الأمر: "لكن انتبهوا! أنا لا أريد المبالغة بعملي هذا: أنا بعملي وكوني فنانًا أريد فقط أن أوضح وجود هذه المشكلة، وأن أجعل الناس تفكر فيها قدر الإمكان. وهذه هي المرة الأولى التي أمثل فيها وأقدم عملًا في نفس الوقت مع شخص بعيد عني جسديًا؛ وكانت تجربة مفيدة جدًا، أتمنى أن تتكرر". وقد أنهى عبارته تلك بابتسامة تنم عن الرضا. وفي النهاية بحماس كبير أعلن قائلًا: "أريد القيام بمشاريع مرئية أخرى من النوع نفسه. ومن المتحتمل أن يكون هناك مشروعًا آخر عن حظر التجول، قبل انتهاء فترة الحظر".

والبطل الثاني لهذا العمل هو تيمو هاربست الذي تواصلنا معه عن طريق برنامج «سكايب»، فقال: "يوم عمل الفيلم وتمثيله كان يوم الرابع والعشرين من أغسطس، وأنا حينها كنت في ولفسبيرج بألمانيا. وبالإضافة للعمل الأساسي الضخم كانت هناك عروض أخرى: عنوان الأمسية كان Slapstick Night. كان هناك ما يقرب من 8000 شخصًا حضورًا للعروض. ومن جانبي، كنت أود أن أنتج جزءًا من الحياة الخاصة بزميلي المصري في سياق مختلف تمامًا. وكان يقول لي في الهاتف: هدّئ، أو لا تقف، أو مازلت أرى كمائن تفتيش بعيدًا، أو ليس هناك خوف، وهكذا. حاولت أن أعيد خطواته وأن أتقمص شخصيته: كنت أود أن أعيش الشعور نفسه، وحالته النفسية في تلك اللحظات. لم أذهب أبدًا للقاهرة وفكرة حظر التجول تثير فضولي كثيرًا".

وعودة إلى وصف المتحف أثناء العرض، قال تيمو: "لم أعرض فيلم الفيديو الخاص ببهاء في صالة العرض. كان باستطاعة الناس الحاضرة رؤية تحركاتي فقط، وكان عليهم محاولة تخيل الباقي كله. وقبل البداية عرضت بالبروجيكتور على الحائط رسالة بريد إلكتروني كنت أشرح فيها المشروع: وبذلك كان الحضور على علم بما كنت سأقوم به. وعلى أية حال كانت نيتي إثارة فضول الجمهور الحاضر قدر المستطاع".

وعن سؤاله حول رد فعل الأشخاص في نهاية العرض، رد قائلًا: "كانوا منبهرين: كانوا يتابعونني، وكانوا منتبهين لكل الحركات الصغيرة. وعن طريقي حاولوا تخيل حياة بهاء وشعوره أثناء حظر التجول. سألني الكثيرون في نهاية الأمسية عن شعوري: بالطبع كان عندهم شكوك وخوف أكثر مني. فقد كان عملًا أثار رغبتهم في الفهم والمعرفة". وقد ختم المقابلة تيمو قائلًا إن الهدف القادم هو تقديم نفس العرض في مكان مفتوح والعمل على تحسينه وليس فقط هذا فقد قال: "أنا حاليًا أعمل على مشروع آخر مع بهاء، وهذه المرة بدلًا من الحركة سأستخدم الرسم. وسيكون الموضوع مرتبطًا دائمًا بمصر: فقد وجدت في القاهرة ملهمتي".

نجوم المهرجانات
1 نوفمبر 2013

هكذا يطلقون عليها مهرجانات (مثل الموسيقى الإليكترو). وقد أصبح هذا هو النوع الأكثر انتشارًا بين شباب الطبقات الفقيرة المصرية. وقد قال سادات العالمي وهو واحد من أشهر مغنيي المهرجانات الشعبية في مصر: "هناك ناس تُطلق عليها أغاني إلكترو شعبي، لكن الاسم الحقيقي مهرجانات. وهي طاقة حقيقية: فنحن نعطي للناس أنفسنا وحيويتنا وطاقتنا، ولا نبخل بشيء: نرقص، ونغني، ونتحرك مثل الدينامو على خشبة المسرح. نقدم عرضًا يجعل الكل يشترك فيه، وتصبح طريقة لمن يحاول أن يفرغ ضغوط الحياة اليومية: على الأقل هكذا ينسون مشاكلهم لبضعة ساعات". ولسادات شعبية كبيرة في الشارع؛ حيث ينادي عليه الكثيرون ويستوقفونه لإلقاء التحية عليه. وقد تم

اللقاء بيننا في الاستديو الخاص به في مدينة السلام، أحد الأحياء الشعبية والفقيرة بالقاهرة، على بعد ساعتين تقريبًا من وسط القاهرة. وتتكون المجموعة الفنية من: فيفتي، وسادات، وعمرو حاحا.

واستكمل سادات حديثه: "سر نجاحنا هو أن شباب العشرينيات يشعرون بأن المزيكا الخاصة بنا تُمثلهم؛ لأننا نتحدث عن مشاكلهم المشتركة والأساسية مثل: صعوبة وجود علاقة مع فتاة، والبطالة التي تتزايد، والمخدرات التي تساعدنا على ألا يسيطر الإحباط علينا". ثم عاد ليشرح كيف يتم تقسيم العمل: "نحن نعمل في مجموعة، فريقًا، لكل واحد عمل ومهام محددة: هناك مَن هو مسئول عن الكلمات، وهناك المسئول عن المزيكا والألحان، وهناك مَن يعرف البرامج التي تُستخدم لعمل ميكس للمزيكا على الكمبيوتر، وهناك مَن يستخدم الانترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، خاصةً يوتيوب لنشر أعمالنا. نقدم عروضنا وأغانينا بشكل أساسي في الأفراح وفي الشوارع".

ونجد الثقافة المصرية داخل المهرجانات، حيث الصخب المعروف عن موسيقى الهيب هوب وحيوية الموسيقى الراقصة (الدانس). وقد شرح المغني أنها موسيقى ثائرة ومتمردة تتصاعد من القاع دون أية مساعدات من جانب السلطات أو المؤسسات. وأهم عناصرها ثلاثة هي: الشباب، والتكنولوجيا، وشجاعة مواجهة الأفكار الاجتماعية والثقافية القديمة، وليس فقط الموسيقية. ولهذا النوع جماهير في كل مكان: على الإنترنت، وفي الراديو، وفي المقاهي، وفي سيارات التاكسي، وفي عربات التوكتوك. ومن أشهر مناطق انتشار هذا النوع من الموسيقى مدينة السلام والمطرية وإمبابة.

وسادات الذي جاوز بقليل العشرين من عمره كان يرتدي 'كاب' أحمر وقميصًا (تي شيرت) مرسومًا عليه بهلوان. وبين سيجارة وأخرى راح يحكي عن مشواره: "في الحقيقة بدأت بجد من 8 سنوات. لكن بصراحة استخدمت الكمبيوتر لأسرع الريتم. وفي فترة المراهقة عملت بأعمال أخرى: مثلًا كنت أصلح نوافذ وأبواب البيوت في الحي. في الغالب الشباب الذين يولدون هنا لا يكون عندهم أمل في المستقبل: لو كنت محظوظًا من الممكن أن تصير ميكانيكيًا أو سائقًا لتاكسي، أمّا لو سارت الأمور بشكل سيء معك فمن الممكن أن تصبح تاجر مخدرات. وأصحابي ومَن في سني يعتبرونني بطلًا لأنني نجحت، وأكملت في المزيكا".

ولقد أصبحت ظاهرة المهرجانات الشعبية على وشك الانفجار لتتخطى حدود الوطن. وقد أوضح كريم بطرس غالي – وهو أحد المنتجين السينمائيين المصريين – إمكانات هذا النوع من الموسيقى: "أول مرة استمعت لهذه المهرجانات تذكرت أنه أمر له علاقة بفرقة مشهورة تغني في إيبيزا. لقد شاهدت فيديو يرقص فيه بشكل غير عادي آلاف من الأشخاص على صوت المزيكا. وفي الحقيقة كان الفيديو مصورًا في أحد الأحياء الفقيرة جدًا في القاهرة. وهذا كان بالنسبة لي اكتشافًا صادمًا. ولم أقو على عدم إنتاج فيديو مثل ذلك". وقد قام كريم بإنتاج فيلم وثائقي قصير «الكترو شعبي»، وقد تمت إذاعته في المهرجانات الأوروبية الأساسية. وكان واضحًا إعجاب كريم بالفرقة فقد قال بحماس وبكلمات قاطعة: "لقد أصبحوا بالفعل ظاهرة على اليوتيوب: بعض الفيديوهات وصلت لملايين المشاهدات. أصبح لهم نفس شعبية الساخر الكوميدي باسم يوسف، مع الفرق أنهم بدلًا من استخدام التليفزيون يستخدمون يوتيوب لإذاعة ونشر أغانيهم".

ومن أهم موضوعات أغانيهم العلاقة الصعبة بين الجنسين. وقد شرح سادات قائلًا: "العلاقة بين الرجل والمرأة صعبة جدًا في مصر: الجنس دون زواج أمر غير مقبول. يعني يجب أن تتزوج. لكن المشكلة أن ليس الناس جميعًا على استعداد للزواج أو أن الظروف الاقتصادية لا تسمح لهم بتكوين أسرة. والنتيجة هي أنه على أي شخص يريد أن يقضي وقتًا مع صاحبته، فعل ذلك في الخفاء. يعني على سبيل المثال، هناك أغنية أحكي فيها عن بنت شابة تتصل بصاحبها وتقول له أن يذهب لها في البيت. لكنه لا يريد الذهاب؛ لأنه يشعر بأنه أمر خاطئ. ومن هنا نشأ داخله شعور قوي بالكبت والكراهية تجاه المجتمع".

ثم تطرق للتفاصيل بالشرح حيث توجد أنواع مختلفة من النساء في نصوص أغانيه: "هناك البنات التي تثمل في البارات وترغب الرجال فيها، وهناك البنت التي تنتمي لعائلة متفتحة توافق بدرجة معينة أن تقابل البنت صاحبها دون زواج، وهناك النساء الضعيفة التي ترضي الجميع، وهناك أيضًا البنات التي يُعد هدفها الأساسي أو الوحيد هو الزواج. قبل ذلك كتبنا أغنية ضد التحرش الجنسي الموجود بشكل كبير في البلد والمقطع الذي يتكرر في الأغنية يقول: «شعار حملتنا تحميها، بدل ما تتحرش بيها»". أما الموضوع الآخر الذي تتناوله المجموعة بقوة هو موضوع المخدرات، فقد قال المغني سادات: "أكتب كثيرًا عن الحشيش. هو مضر، وأنا أعرف ذلك. لكن لا أستطيع العيش بدونه". وبالفعل بعدها بدقائق قليلة أشعل سيجارة ملفوفة من الحشيش وبدأ في التدخين بثقة كبيرة في نفسه طوال المقابلة.

لقد أصبحت المجموعة ظاهرة منتشرة على اليوتيوب؛ فيكفي أن يكتب الشخص على صفحات البحث «سادات» أو «فيفتي» أو «مهرجانات» أو حتى ببساطة «مزيكا شعبية» وسوف تظهر مقاطع فيديو كثيرة شاهدها آلاف من الأشخاص. وعلاوة على الموضوعات الاجتماعية، فإنهم يهتمون بالأمور السياسية؛ فقد انتقدوا صراحةً سواء مبارك أو مرسي، وقد علق المغني حول هذا الأمر بقوله: "كتبنا أغاني ضد مبارك والإخوان ومرسي. الفرعون السابق حرمنا من الحرية، والإخوان جرتنا للفخ باسم الدين. وبصراحة ثورة يناير 2011 ساعدتنا كثيرًا: قبل ذلك لم نكن نستطيع التحدث عن شخصيات السياسة، لكن بعد ذلك بدأ الكل يتحدث عن السياسة ونحن معهم". ومن الأغاني الأساسية التي تناولت السياسية نجد عناوين مثل: «أنا نفسي بس في ريس» التي كُتبت أثناء الانتخابات الرئاسية؛ و«الناس»، ويعلق سادات على العنوان الأخير بنبرة مرتفعة: "هذه الأغنية الأخيرة تحمل رسالة وهي: ليس هناك فرص عمل في البلد. ولنا الحق أن نخرج شعورنا بالاستياء؛ الدولة لا تساعدنا، بل تسرق الأموال وهي فاسدة.

وكان حريصًا على توضيح أن الروح هي العنصر المحرك لعملهم: "الشارع أهم شيء: الأحاسيس والحالات النفسية للشباب. هم الناس الأساسية التي نوجه إليها الكلام، لأن أيضًا نصوص أغنانينا بالعامية الشعبية التي يستطيعون هم فقط فهمها وتقديرها. إن أردنا نستطيع أن نعتبرها مزيكا جيل العشرينيات". وقد كان تم الاتصال بسادات للغناء في بلدان عربية كثيرة وذهب لأوروبا مرة واحدة، وقال عن هذه المرة: "أنا ذهبت إلى لندن في 2012 عن طريق دعوة لمهرجان مزيكا هناك. وغنينا في هايد بارك؛ وكان نجاحًا كبيرًا جدًا! التجربة جعلتنا أكثر شهرة خارج مصر". وعلى سؤاله حول ما يتقاضون مقابل إحيائهم للحفلات رد بابتسامة قائلًا: "عندما أغني في الشارع نطلب مالًا أقل. عامة السعر يرجع إلى المناسبة، ويكون من 4 آلاف حتى 10 آلاف من

الجنيهات. في الشارع نغني مجانًا للأقارب والأصحاب. ودفعوا لنا بشكل جيد جدًا عندما أرسلوا لنا لنغني في حفلة خاصة في الأقصر: هناك كانت حفلة ضخمة". هكذا أنهى حديثه وكانت النشوة واضحة على وجهه.

وبعد انتهاء المقابلة، أراد سائق التاكسي أن يبدي رأيه هو الآخر: "أنا أسمعهم باستمرار في السيارة. والزبائن تطلب مني كثيرًا تشغيل أغانيهم. وهناك أيضًا بعض أصحابي الذين يحفظون كلمات الأغاني؛ أما أنا فلا، بالنسبة لي ليس لها معنى. أنا أظن أن هذه الأغاني تعجب الناس بسبب إيقاعها السريع. هكذا يكون المصريون: يحبون المبالغة و'الزيطة' في كل شيء، حتى في المزيكا". هكذا عبر الشاب عن وجهة نظره ورفع صوت مشغل الموسيقى على آخره داخل السيارة.

الفصل الخامس
عسكريون وسياسيون

مقدمة

سألت نفسي دائمًا: كم شركة تخضع لملكية العسكريين في البلاد؟ هل هناك جزء كبير من الاقتصاد المصري في يد رجال الزي العسكري فعلًا؟ ما الشركات التي يديرون؟ كم يبيعون؟ وحاولت أن أجد إجابة لهذه الأسئلة ولأسئلة كثيرة أخرى. ولم يكن الأمر سهلًا؛ لأنه ليس هناك في مصر هيئة رقابية على الشئون الاقتصادية للعسكريين قادرة على إعطاء إجابات دقيقة. ولقد قمت بمقابلة صحفية مع لواء أسبق وتناقشنا حول هذا الموضوع، وعرضت عليه هذه المسائل ومسائل أخرى كثيرة. ولكن أمرًا واحدًا كان واضحًا، وقد قيل هذا الأمر صراحةً أيضًا من قِبل المتحدث: "ليس لدينا أية نية في السماح لأحد بالرقابة علينا". وكان اللقاء الأول لي في الصفحات التالية مع سامح سيف اليزل، اللواء الأسبق وعضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة سابقًا. وعلى الرغم من كون هذه المقابلة في ديسمبر لعام 2011 إلّا أن القصة تبدو دائمًا معاصرة جدًا.

وفي هذه السنوات من العمل الصحفي المكثف على أرض الواقع تعلمت أن الإخوان المسلمين ما داموا في السلطة فسيكونون في قمة البراعة باستخدام الكلمات: فلا تخرج من فمهم عبارة مبالغة؛ لا يدلون بتصريح قد يصطدم مع الفكر العام، وإن تحدثنا عن لغتهم الإنجليزية فهي متقنة لدرجة عالية. ومن وجهة نظري، فقد كان سلوكهم مختلفًا عن السلفيين: في بداية مسيرتهم السياسية بعد ثورة 2011 حيث كانت تسيطر عليهم عدم الاحترافية في التعامل، فكانوا يقولون كل ما يفكرون به صراحةً للصحافة. مثل سلسلة 'هذا فكري وهذا ما أخبرك به' دون أية تنقيح.

وفي هذا الفصل نجد بعد ذلك مقابلات مع شخصيات سياسية قريبة من عمرو موسى ومن شفيق، وكلاهما كان مرشحًا في الانتخابات الرئاسية بعد سقوط حسني مبارك. ويقدم هذا الفصل دوافع مختلفة للتأمل: كيف تغير الاتجاه السياسي للعديد من الشخصيات المعروفة في البلاد في السنوات الثلاثة الأخيرة؟ ما الأولويات التي على مصر مواجهتها ومحاولة إيجاد حلًا لها؟ ما الدور الذي سيلعبه الإخوان المسلمون مستقبلًا في مصر؟ كيف سيتولى السيسي إدارة البلاد كونه رئيسًا جديدًا لمصر؟ إنها بالتأكيد أسئلة ليس من السهل الإجابة عنها، ولكن إذا وضعنا في الاعتبار بعض التفاصيل التي حاولت أن أعرضها في هذه الصفحات لربما نصل لتأمل حول الموقف.

وكانت الفقرة الأخيرة في هذا الفصل مخصصة لعبد الفتاح السيسي، ذلك الرجل الذي تمت مطالبته بتحمل المسئولية لإعادة شيء من النظام للبلاد بعد ثلاث سنوات من الأحداث السياسية المتقلبة. وقد أصبح لكثير من الناس رجل المصير، بينما يعتبره آخرون مباركًا آخر. وكلمة السر الخاصة به حتى الآن هي 'الصبر'. وقد توجه بالفعل الرئيس عبد الفتاح السيسي بنداء للمصريين طالبًا منهم إثبات قدرتهم على التحمل والصبر. وقد شرح رئيس الدولة على سبيل المثال أنه لحل العجز في الطاقة الكهربائية فمن الضروري توفير موارد مالية ضخمة. وقد شهدت مصر في فترة الصيف انقطاع التيار الكهربي لعدة مرات يوميًا، ووصل الأمر لانقطاع الكهرباء ثمان ساعات متتالية في اليوم بالقاهرة؛ بسبب تجاوز الحد الأقصى من استهلاك مكيفات الهواء، وبسبب عدم كفاية الوقود اللازم لتشغيل مولدات الطاقة.

وعلاوة على القاهرة التي يقطنها ما يزيد عن العشرين مليونًا من المواطنين فقد عانت محافظات أخرى في مصر من انقطاع التيار الكهربائي لساعات مختلفة. وقد أشار السيسي باحتياج قطاع الكهرباء لتمويلات واستثمارات هائلة لمواجهة المشكلات التي تمر بها، وقد أكد قائلًا: "يجب علينا أن نعرف أنها مسألة لن تُحل أبدًا في ظرف يوم واحد".

ومازال الوقت مبكرًا للحكم على أداء السيسي، ولكن الوقت ليس متأخرًا أبدًا للتأمل فيما يخص الوضع السياسي.

"نحن، رجال الجيش، أغنياء لكن لا نريد أن يتحكم أحد فينا"
ديسمبر 2011

كان المستند الذي أصدرته السفارة الأمريكية في القاهرة مكونًا من خمس عشرة صفحة، ويمكن الحصول عليه من خلال موقع اتحاد العلماء الأمريكان. والمستند يعد قائمة مفصلة بالشركات التابعة لوزارة الإنتاج الحربي في مصر أو المنتجات التي يتم استخدامها مدنيًا أو عسكريًا على حد سواء. كما أكد التقرير بوضوح أن الجيش له ثقل محدد للاقتصاد المصري. فنقرأ: «مئات الملايين من الجنيهات تُصرف كل عام لشراء معدات متطورة لتحديث الجيش المصري. وعلى الرغم من عدم معرفة قيمة الميزانية السنوية لوزارة الإنتاج الحربي، إلا أنه يُقدر بثلاثة مليارات من الدولارات تقريبًا».

كنت قد استطعت الوصول للواء الأسبق وعضو المجلس الأعلى للقوات المسلحة، سامح سيف اليزل، عن طريق موقع Linkiesta. وقد قال لي: "الشركات العامة التابعة لوزارة الإنتاج الحربي تنتج 12% على الأكثر من الاقتصاد الكلي للبلاد. وهذه حقيقة واقعة". ولكن عند السؤال عن الأرقام الرسمية، أو عن قائمة بيانات أو وثائق ورقية، فإن الإجابة دائمًا واحدة: "لا توجد عندنا". وعلى العموم فهناك آراء متباينة: فبعض المحللين السياسيين في البلاد يرون أن الاقتصاد الذي يتحكم به الجيش قد يصل إلى 30% بل و40%. وقد تمت مقابلتي بسامح سيف اليزل في مكتبه في الحي الرئاسي الراقي في مصر الجديدة في شمال شرق القاهرة على مسافة قريبة من المطار. وهو من الأحياء التي تسكن فيها النخبة في القاهرة مثل حي الزمالك.

وقد أدلى اللواء بهذا التصريح: "ليست لدينا صناعات كبرى، كل الصناعات التي نشتغل بها صناعات صغيرة لا يُمكن أن تقارن بالصناعات المدنية. نعم، نقوم بإنتاج المياه، والزيوت، ولكن أكرر إنها كلها صناعات صغيرة. ثم أؤكد لكِ أنك لن تجدين أبدًا عسكريين يتدخلون في إدارة البنوك، ليست لدينا مؤسسات بنكية ولسنا شركاء في أي بنك". وعلى العكس في مستند السفارة الأمريكية نجد أنهم ينتجون مجموعة واسعة ومتنوعة (أيضًا غريبة) من المنتجات. من زجاجات المياه صافي – في واحات سيوة – لزيت الزيتون، ومن الأنابيب لأجهزة التدفئة. وأيضًا نجد أجهزة طبية، وأجهزة منزلية، وطفايات الحريق، وكل أنواع لوازم المكاتب، وأجهزة التلفاز، وأجهزة الكمبيوتر، وماكينات زراعية، ومعدات المطبخ، وأجهزة تنقية للمياه، وسيارات، وأجهزة الميكروسكوب ومناظير، وملابس، وأدوية، وأشياء كثيرة أخرى. ويقوم الجيش أيضًا بإنشاء الطرق، والتجمعات السكنية، والصرف الصحي، والكباري، والمدارس، والحضانات. إذًا لديهم كل شيء لجميع الأذواق وللمستويات المختلفة.

وفي المستند نفسه نجد أن العسكريين يديرون فنادق فارهة في منطقة البحر الأحمر، ونجد منهم مَن يمتلكون شركات المقاولات والبناء، ومَن يمتلكون مساحات واسعة من الأراضي، ومنهم أكبر المستثمرين في قطاع الزراعة في البلاد. وهنا اعترض اللواء السابق خاصةً على ما يخص الطرق والسياحة، وقال رافعًا صوته: "لا نمتلك فندقًا واحدًا، وقمنا بإنشاء طريقًا سريعًا واحدًا. ليس عندك أي دليل. ودون دلائل، لا يمكنك التحدث هكذا". وقد بات المصريون أنفسهم يقولون ذلك بكل صراحة. فقد قال لي أحد المرشدين السياحيين الذي فضل عدم ذكر اسمه: "لديهم الكثير من الفنادق، ليس فقط في القاهرة، ولكن في مصر

كلها. وبعض هذه الفنادق مخصص فقط للعسكريين، وفنادق أخرى يُسمح بها أيضًا للمدنيين. وبالتأكيد الأسعار تختلف: فمَن لا ينتمون للعسكريين يدفعون أكثر بكثير". ومن أمثلة فنادق الجيش نجد واحدًا في مصر الجديدة اسمه فندق تريومف، وهو لا يبعد كثيرًا عن مكتب سيادة اللواء. وقد قال عنه المرشد السياحي: "أنا أذهب هناك كثيرًا. كل من يعملون هناك من العسكريين. ولقد ذهبت هناك مؤخرًا أيضًا مع مجموعة من السائحين الأجانب".

وكان تقرير السفارة الأمريكية بالقاهرة مكتوبًا كله بالأبيض والأسود: وبه أسماء الشركات وعنوانيها وأرقام هواتفها. وكانت الشركات الأساسية ستة عشر. وبالاتصال بها تليفونيًا كانت الإجابة دائمًا واحدة: "هذه مؤسسة عسكرية، ولا نعطي تصريحات لأحد. إلّا إذا كان لديكم تصريح من وزارة الإنتاج الحربي. ومن الأفضل أن يكون من الوزير نفسه". ولم ينفع الإصرار، فقط أثار غضب المتحدث على الهاتف، فقال: "ليس لدينا أية غاية في الإعلان عن أنشطتنا. يؤسفنا ذلك. أنتم تضيعون فقط وقتكم".

ولا يمكن اختراق الشركات العامة التي يديرها العسكريون. ووفقًا لكلام اللواء الأسبق: "هذه الشركات تخدم احتياجات الجيش بشكل خاص. وبالتأكيد لا نحقق أموالًا كثيرة". ومن ثَم لا يحققون أموالًا طائلة منها. ولكن حتى إن كانت الأرباح ضئيلة هكذا فإنها تستدعي وجود سلطة خارجية لمراقبتها، فإنهم لا يريدون سماع أي شيء بخصوص هذا الموضوع. وقد قال اللواء: "لا نريد أن تتحكم أية منظمة بنا". فسألته لماذا، فكان الرد: "لا أستطيع الإجابة". ثم غير الموضوع.

وكانت ملاحظة سامر سليمان، مدرس العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية في القاهرة الجديدة، كالتالي: "في مصر لا يستطيع أحد معرفة نسبة الأرباح التي تجنيها الشركات التابعة للمؤسسة العسكرية بدقة. بعض المحللين يقولون تتراوح بين 33% و45% من الاقتصاد الكلي للبلد، ولكن ليس لدينا أية بيانات مؤكدة. ومن الواضح أننا أمام دولة داخل الدولة. والمفارقة هنا أنهم هم أنفسهم من يقومون بالرقابة على أنفسهم والتحكم بأنفسهم، وليس هناك أي مراقبين من خارج المؤسسة، وليست هناك أي رقابة مدنية على الموازنة العسكرية. وبالإضافة لذلك فإن الشركات التابعة لمؤسسة الجيش لا تدفع الضرائب ولديهم حصانة ضد قوانين الحكومة".

وحدثني أحد الدبلوماسيين الغربيين في القاهرة – فضَّل عدم ذكر اسمه – وكأنه ليست هناك أية شكوك حول الموضوع فقال: "أول اهتمامات القوات المسلحة هنا هو المحافظة على وضعهم الراهن دون تغيير، وحماية مصالحهم الاقتصادية – ولما لا – وأيضًا امتيازاتهم غير القليلة". ثم أوضح الدكتور سامر بعد ذلك خطورة العمل بمهنة الصحافة في بلد الفراعنة: "هذا الموضوع من المحرمات على الصحفيين المصريين، وقد يتعرضون للسجن. للأسف كان هناك العديد من مثل هذه الحالات أيضًا مؤخرًا. ولا أحد يحب أن يضع نفسه في وجه المصائب. الكل يعرف أن العسكريين هم أصحاب امبراطورية، ولكنه لا يُمكن التحدث عن ذلك. وانتبهوا أنتم أيضًا أيها الصحفيون الأجانب، فمن الممكن أن يتم اتهامكم بالجاسوسية". وعلى الرغم من ذلك قال اللواء المصري الأسبق سيف اليزل إنه هناك حرية في الكتابة عن الموضوع وإنه هناك عدد من الصحفيين المستقلين الذين يستطيعون التحقيق في هذا الموضوع بكل اطمئنان. ولكن الحقائق الواقعية تقول مرة أخرى عكس ذلك تمامًا. فلقد تم الحكم على

المصري مايكل نبيل سند المدون البالغ من العمر خمسة وعشرين عامًا بالسجن ثلاث سنوات في إبريل لانتقاده القوات المسلحة.

كانت قد طالت المقابلة مع اللواء الأسبق سيف اليزل وكان قد بدأ يفقد صبره، وبدأ يحرك ساقه اليمنى حتى وجد طريقة لصرفنا عن المكان، فقال: "سأعطيكم نصيحة: على بعد 5 دقائق من هنا، قريبًا جدًا من مكتبي هذا، سوف تجدون مقر جهاز مشروعات الخدمة الوطنية Nspo، اذهبوا إلى هناك واطلبوا منهم الكتيبات الخاصة بشركات القوات المسلحة، وأنا واثق من أنهم سوف يعطونكم ما تبحثون عنه. هو هنا بالخلف، فإن ذهبتم فورًا ستجدون هناك أحدًا ما. لن يعطونكم أرقامًا أو نسبًا، ولكنهم سيكونون سعداء بمساعدتكم". وبالفعل لم يكن المقر بعيدًا، ولكن إجابة الأشخاص العاملين هناك كانت كالتالي: "المقر الرئيس ليس هنا؛ فلذلك أنصحكم – من أجل أمنكم وسلامتكم – بعدم الذهاب. فبدون أية تصريحات خاصة لن تستطيعوا حتى بوضع قدم داخل المكاتب. وقد تتعرضون للكثير من المشكلات، خاصة كونك صحفية أجنبية. أنصحكم بالابتعاد عن ذلك الأمر".

وعلى العموم فإن العسكريين لم يعلنوا عن تقليل الحذر. ومنذ عدة أيام أدلى وزير الإنتاج الحربي علي صبري بتصريح صحفي قال فيه: "سوف تشهد مرحلة ما بعد الانتخابات إسهامًا هائلًا من إنتاج القوات المسلحة في المشروعات الوطنية". وهكذا في ظل صعوبة التنبؤ بالأفعال المستقبلية للإطار السياسي المصري الجديد، فمن السهل رؤية أن جزءًا كبيرًا من الاقتصاد سوف يظل تحت سيطرة الرجال الفولاذية أصحاب النجوم على الأكتاف.

عمرو موسى: المعتدل الذي يتحدى الإخوان المسلمين في مصر
25 فبراير 2012

تحدثنا مع مدير الدعاية للحملة الانتخابية لعمرو موسى، أمين عام جامعة الدول العربية الأسبق. أحمد كامل يعمل طبيبًا وهو المتحدث الإعلامي الرسمي حاليًا. وقد قال: "ليس من الممكن التحدث مع عمرو موسى الآن؛ لأنه مشغول بالاجتماعات. ثم هناك صمت إعلامي، ونحن ليست لدينا النية في خرق القواعد. فلنذهب لمكتبي، اتبعوني". وكان مكتبه في الطابق الثاني من المبنى. ومقر اللجنة كان في فيلا من ثلاثة طوابق، محاطة بالطبيعة الخضراء، في الحي الراقي، حي الدقي الذي يقع على مقربة من ميدان التحرير. وعن المكتب قال أحمد: "هناك سوف نستطيع الحديث براحة أكثر".

وكان أحمد ملمًا بالبرنامج الانتخابي بشكل تام، وكان يتحدث بحماس ويكرر بسرعة كل النقاط الخاصة بالبرنامج. ولم يكن يكتفي بذكر هذه النقاط فقط شفهيًا ولكن كان يطلعنا عليها بكل دقة على جهاز الآي باد الخاص به. وقد كانت ترن هواتفه المحمولة باستمرار في أثناء المقابلة. وقد اعتذر قائلًا: "سامحوني؛ فإنها – كما يمكنكم أن تتخيلون – أيام مشتعلة"، ثم تنفس الصعداء واستكمل حديثه: "لقد صحبت عمرو موسى طوال حملته الانتخابية، وأنا راضٍ جدًا عن ذلك؛ فهو مرشح شعبي، يعرفه الجميع في مصر وتعرف الناس عنه كل شيء وتقدر له ذلك. لقد خدم البلد بأفضل صورة ممكنة، ولا يستطيع أن يقول أحد غير ذلك. ولدينا شعور إيجابي، فقد لقينا مردودًا جيدًا من الناس في هذه الشهور".

ويعمل خمسون شخصًا تقريبًا في اللجنة التي تقوم بأعمال الحملة الانتخابية. ولا يمكن أن نجد خطأ للمنظمة في عملها: ففي الطابق الأول نجد السكرتارية والمكاتب التي تتم فيها الاجتماعات، وفي الطابقين الثاني والثالث نجد الغرف الخاصة بمكاتب المسئولين عن الدعاية والمتحدثين الإعلاميين والمتحدثين الصحفيين. وفي ذلك اليوم كانت هناك حركة هائلة من الأشخاص، ولكن لم يكن فيهم صحفيون، كان هناك الكثير من المتطوعين الذين كانوا يرتدون (التي شيرت) المطبوع عليه صورة مرشحهم، وكان هناك الأمن الخاص. بينما كان موسى في أحد الاجتماعات داخل المبنى.

وكان عمرو موسى قد شغل منصب وزير الخارجية في عصر مبارك ثم أصبح أمينًا عامًا لجامعة الدول العربية، وهو اليوم أحد أقوى المرشحين في الانتخابات

الرئاسية في مصر. ومعه من المرشحين الأقوياء، محمد مرسي مرشح الإخوان المسلمين، والمرشح الإسلامي عبد المنعم أبو الفتوح، وأحمد شفيق وزير الطيران المدني الأسبق في عهد مبارك، ثم رئيس الوزراء في الأيام التي تبعت ثورة 2011. وعن سؤالي: هل سيقوم الناخبون – الذين أعطوا أصواتهم لحزب الإخوان المسلمين، حزب الحرية والعدالة، صاحب الأغلبية في مجلس الشعب – بالتصويت لمرسي؟ فكانت إجابة أحمد كامل لا تحمل أي نوع من الشك، فقال: "في الانتخابات الرئاسية يكون الشخص هو الأهم، وليس الحزب الذي يقف وراء المرشح. ولا يمتلك مرسي أيًا من مهارات القائد؛ فهو دمية في يد الإخوان. أما عمرو موسى فله الاحترام والتقدير، وليس هذا وحسب، بل يتمتع بكل خصائص القائد صاحب الكاريزما". ثم أضاف: "الإخوان المسلمين بعد انتخابهم لم يقوموا بأي شيء على أرض الواقع لصالح البلاد والمصريين. وإن حاولتي السؤال في الشارع، فستجدين الكثيرين يفكرون بهذه الطريقة. وقد أدرك الكثيرون أن الإخوان يسعون فقط لمصالحهم الشخصية ويسعون فقط لأهدافهم. وقد كانوا أول مَن عقد اتفاقات مع قيادات الجيش قبل الانتخابات البرلمانية وهم أول مَن يتحدثون عنهم أيضًا بالسوء عندما يحلو لهم. والناس لا تثق بهم".

ولكن النقد اللاذع والحاد كان موجهًا لشفيق: "إنه يمثل نظام مبارك القديم ولهذا فهو مدعوم – حتى وإن كان بشكل غير رسمي – من قبل العسكريين. وقد وافق على منصب رئاسة الوزراء بعد الثورة، ولكن الناس في ميدان التحرير لم تقبله وطردته. ويدّعي بأنه سيكون ضامنًا للأمن والاستقرار؛ فهذه نقاط قوته. ولكنها غير كافية". وكما يرى أحمد كامل أنه هنا يكمن الفرق بينه وعمرو موسى، حيث قال: "سوف تنتخب الناس عمرو موسى؛ لأنه المصلح الحقيقي، وهذا ليس بجديد عليه، فقد كان مصلحًا أيضًا في عصر مبارك؛ وقد تم استبعاده لذلك. ثم أصبح أمينًا

عامًا لجامعة الدول العربية. وقد آن الأوان لمصر كي تطوي الصفحة لتتخذ خطوة الإصلاحات التي تحتاج إليها البلد بشكل شديد".

وقد أضاف أحمد كامل: "وفي أيام الانتخابات، طلبنا من ناخبينا أن يتحققوا جيدًا من أصواتهم وأن يكونوا منتبهين، وأن يبلغوا عن أية مخالفات يكتشفونها؛ فنحن لا نثق في الإخوان المسلمين ولا في طرقهم الدعائية للحملة". وهنا ابتسم بشكل يدل على السخرية، ثم انتقل لموضوع آخر. وفي لحظة معينة بدأ رجال الأمن في حركة نشطة: لقد كان عمرو موسى خارجًا من الاجتماع، وقد قال: "أنا على ثقة كبيرة". ثم أضاف مبتسمًا: "سوف نرى ماذا سيحدث، ولكن الاستطلاعات المحلية للناخبين تعطينا أملًا عظيمًا". وهنا انقطعت المقابلة عند وصول سفير الصومال الذي قال بمجرد رؤيته للأمين العام الأسبق للجامعة العربية: "صديقي، لقد صليت من أجلك في مكة". وبعدها أضاف قائد إحدى القبائل العربية في مصر، مؤكدًا: "نؤيدك جميعًا. نحن كلنا معك". وهنا ازداد إيقاع الحركة سرعة وانتقلت فجأة هذه الحركة لقاعة أخرى كان سيُعقد فيها اجتماع آخر. وبالطبع كان اجتماعًا خلف الأبواب المغلقة.

المرحلة الثانية من الانتخابات تدير ظهرها للثورة
26 مايو 2012

سوف يخوض أحمد شفيق – الرجل القوي من النظام العسكري السابق في عصر مبارك – الانتخابات ضد محمد مرسي مرشح الإخوان المسلمين. وهنا أيضًا لمرة أخرى تدير مصر ظهرها للثورة. وقد كان تامر سالم، المستشار السياسي لشفيق، واثقًا من الفوز وقال: "لا ننكر الماضي، ولكننا نريد أن ننظر للمستقبل".

أوضح المستشار السياسي لأحمد شفيق، تامر سالم، قائلًا: "أصبح الأمر رسميًا: سنذهب للمرحلة الأخيرة والفاصلة في صناديق الاقتراع ضد محمد مرسي". والنتائج النهائية الدقيقة للمرحلة الأولى كانت قد وضعت في المكانة الأولى رجل الإخوان بـ 5.553.097 صوت، وجاء خلفه في المركز الثاني أحمد شفيق بـ 5.210.978. وقد تم تحديد يومي 16 و17 من يونيو لانتخابات المرحلة النهائية الفاصلة من الانتخابات. وكانت لجنة أحمد شفيق – وزير الطيران الأسبق وآخر رئيس للوزراء في عهد مبارك – تقيم في فيلا فارهة في حي الدقي. وكان المبنى المكون من ثلاثة طوابق محاطًا بحديقة. وكان أحد أصدقاء أحمد شفيق قد تركه له مؤقتًا من أجل الحملة الانتخابية. وقد عبر عن ذلك سالم بكل رضا قائلًا: "نحن لا ندفع إيجارًا؛ فلدينا الكثيرمن الناس الذين يقدروننا ويحبوننا في مصر، ومالك هذه الفيلا واحد منهم".

وهنا أدارت مصر ظهرها للمرة الثانية، بعد الانتخابات البرلمانية، للثورة. لقد حصل على أعلى الأصوات في الانتخابات الأولى مرشح الإخوان المسلمين وأحد

الفلول كما يطلق المصريون على رجال نظام مبارك. ويشرح سالم قائلًا: "لقد أعطى الكثيرون صوتهم لمرشحنا. وبلا شك منهم الأقباط. لقد وعد شفيق بوضوح بمعاملة عادلة ومماثلة للمسيحيين والمسلمين؛ ثم هناك ما يطلق عليهم 'الأغلبية الصامتة'، أي كل مَن لا يريد أن يسمع شيئًا عن 'الثورة'، ولكن يريدون الأمن، والاستقرار، وتعافي الاقتصاد". وهنا أخذ يلتقط أنفاسه، ثم فحص سريعًا بعض الرسائل القصيرة على هاتفه المحمول واستأنف قائلًا: "ويقف بجانبنا أيضًا العسكريون، وأسر رجال الجيش".

ولم يكن سالم يريد إخفاء أو إغفال قرب مرشحه من النظام القديم، فقال: "لا ننكر الماضي، ولكن نريد أن ننظر للمستقبل". ثم اختتم حديثه: "يدعمنا أيضًا كل السلطات المحلية، والصوفيون، والجماعة الإسلامية المعتدلة التي تتكون من المجموعة الأكثر شبابًا. وفي وقتنا هذا شيء واحد هو المؤكد: سوف نخوض الجولة الأخيرة من الانتخابات ضد مرشح يقف خلفه منظمة أصولية للغاية ولها قوتها في مصر، ألا وهي جماعة الإخوان. ونحن مدركون لذلك". ولم يستطع تجنب اندفاعه المباشر فقال: "نعرف جيدًا جدًا أن الإخوان المسلمين لهم 'موارد' كثيرة على الأرض. ولقد طلبنا من متطوعينا ومن ناخبينا إبلاغنا عن أي تجاوز للقوانين الانتخابية؛ فنحن لا نثق بهم".

وعلى الرغم من الآراء المتباينة داخل اللجنة نفسها، إلا أن تامر سالم مازال مقتنعًا بخطته التواصلية التي يجب أن يتبناها مرشحه في الجولة الأخيرة من الانتخابات وقال: "أنا سعيد بأن شفيق سوف يقبل مواجهة مرسي في مناظرة تليفزيونية. في الجولة الأولى لم نقبل؛ لأننا كنا نود البقاء بعيدًا بأكبر شكل ممكن عن

الانتقادات غير الصحيحة وعن الهجوم العقيم". استراح قليلًا، وابتسم ثم استكمل الكلام: "وبالفعل فإن تلك المواجهات لم يكن لها أثر إيجابي على المرشحين أبو الفتوح وعمرو موسى". وقد كان هذان المرشحان هما فقط من وافقا على هذه المواجهة قبل التصويت، وقد كانت تلك المواجهة التليفزيونية في أحد البرامج التليفزيونة الشهيرة في مصر، «آخر كلام». وهو برنامج يقدم كل مساء على قناة أون تي في التي يمتلكها رجل الأعمال المصري المعروف نجيب ساويرس. ويقدم ذلك البرنامج يسري فودة الذي يُعد نظيرًا لبرونو ڤيسبا الإيطالي.

وكانت القاعة المخصصة لمقابلة الصحافة كبيرة جدًا. وكان بها في المنتصف مائدة بيضاوية تحيط بها كل الكراسي. وكانت هناك صورة ضخمة للوزير الأسبق شفيق في آخر القاعة. وكانوا يقولون إنه على وصول خلال ساعات، ولكن المصادر الأكثر اطلاعًا نفت ذلك وقالت: إنه سيتابع النتيجة من المنزل في انتظار أن تعلن النتائج رسميًا.

وعاد ليتحدث تامر سالم فقال: "في مصر يعاني نصف الشعب تقريبًا من الأمية و40% منه يعيش تحت خط الفقر. وهي شريحة من الشعب يُمكن للإخوان المسلمين التلاعب بها بكل سهولة. لكننا لدينا ثقة كبيرة: فمرشحنا يمتلك قدرات القائد التي يفتقدها المنافس السياسي الآخر". وكان هاتف سالم يرن باستمرار، فاضطر للرد عليه، ثم اعتذر عن المقطاعة، وأخذ أنفاسه ثم قال: "كما ترون، فشفيق فاز أيضًا في محافظة مرسي، الشرقية. وهذا يعني أن أيضًا الأشخاص القريبة من المرشح الإسلامي قرروا في النهاية التوجه بحملتهم لأماكن أخرى. وهذا يحمل الكثير من المعاني".

ووفقًا للكثير فإنه بفوز شفيق سوف تظل مصر تحت سيطرة الجيش بقوة. وعن هذا قال تامر سالم: "أكرر، نحن لا ننكر دور المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولكننا نريد أن ننظر للمستقبل. كفى حديثًا عن الثورة، وعن الماضي، وعن الظلم؛ دعونا نطوي تلك الصفحة. الآن يجب إعطاء الناس أمنًا والنهوض من جديد بالاقتصاد المصري الذي تعرض لسقطة قاسية بسبب الثورة، خاصةً في قطاع السياحة".

وقضى بعض المتطوعين الليلة بطولها في مقر لجنة الحملة الانتخابية لتحديث الموقع الرسمي للحملة أولًا بأولًا، وكانوا يستهزئون بمنافسيهم بطريقة ساخرة: "كانت التوقعات والاستطلاعات تعطي الأفضلية لعمرو موسى، والآن عمرو موسى هو الأخير في النتائج الفعلية. لا تثقوا بالاستطلاعات في مصر!". وفي حي الدقي نفسه، على مقربة من مقر حملة شفيق، كان هناك مقر حملة عمرو موسى. وكان مقر ذلك الأخير شبه خاوٍ. وكان هناك اجتماع للمقربين جدًا. وخرج أحدهم منفعلًا فقال: "لم نكن نتوقع هذه النتيجة. كانت مفاجأة أيضًا لنا. وسوف ينتظر عمرو موسى البيانات والنتائج الرسمية قبل أن يدلي بأي تصريح". وفي الواقع لم تُخفِ الأصوات الانتقادات التي تعرضت لها حملة موسى.

أول محاكمة لمحمد مرسي
نوفمبر 2013

هنا تحدث أحد المحامين الموكلين نيابة عن أهالي ضحايا الاتحادية. وكان المحامي محمد عبد العزيز حاضرًا في قاعة المحكمة من أول يوم لمحاكمة مرسي المتهم بالتحريض على القتل. وقال المحامي: "عندي الكثير من الشكوك والحيرة حول الحالة العقلية لمحمد مرسي؛ فطوال الجلسة الأولى للمحاكمة كلها لم يفعل أي شيء سوى ترديد: "أنا الرئيس الشرعي لمصر. هذه مسرحية هزلية". وقد قرر هذه الهلوسة باستمرار. وقد اتهم المحكمة أيضًا باتخاذ الأوامر من رجال الجيش الذين يمثلون – بالنسبة لرئيس الإخوان – صناعًا للانقلاب العسكري".

وكان محمد عبد العزيز دقيقًا للغاية في حكايته لتفاصيل وتطورات ذلك الصباح: "وقد صرخ المتهمان البلتاجي والعريان – اثنان من قادة الإخوان – عدة مرات قائلين: "سنحارب القوانين العسكرية". وكان التوتر حادًا وملموسًا. ومن المحتمل أن يستمر الإخوان المسلمون في الهجوم المباشر على العسكريين: ومرسي على علم بوجود الآلاف من المؤيدين في صفه. وليس فقط في القاهرة، بل الكثيرون أيضًا في الإسكندرية؛ فهو مدرك لوجود شريحة ليست بالصغيرة من البلاد في صفه. وهذا من وجهة نظري الفرق الوحيد بينه وبين مبارك. ولقد حضرت بنفسي كلًا من المحاكمتين؛ فعندما كان الرئيس الأسبق مبارك في الزاوية كان الجميع ضده، بينما مرسي على إدراك بأنه ليس وحده".

وبدأ محمد عبد العزيز يصف كيف كانت المحاكمة فقال: "بدأت المحاكمة اليوم في تمام الساعة العاشرة وانتهت في الواحدة ظهرًا. ولكي أصل لمبنى المحكمة قمت بالسير مع المحامين الآخرين لمسافة أربعة كليومترات بسبب التأمينات الضخمة: كان المبنى محميًا بالمصفحات وكان هناك المئات من مؤيدي مرسي الذين وصلوا من كل أنحاء القاهرة لتأييد رئيسهم".

وشرح عبد العزيز الوضع داخل قاعة المحكمة بالتفصيل فقال: "كان هناك 25 محاميًا للدفاع عن مرسي، وكان أشهرهم المرشح السابق للرئاسة محمد سليم العوا. ثم كان هناك عشرون محاميًا من طرف أهالي شهداء الاتحادية، ومنهم الناشطة راجية عمران، محامية مصرية معروفة في مجال حقوق الإنسان وناشطة متخصصة في حقوق المرأة". ثم أضاف أمرًا مثيرًا للفضول: "لقد وصل مرسي في طائرة مروحية 'هيليكوبتر' وبدى بحالة صحية وجسدية ممتازة. وكان يرتدي معطفًا خفيفًا لونه أزرق، وقميصًا أبيض دون رابطة عنق 'كراڤتة'. وقد ظل بهذا الزي داخل قفص الاتهام، رافضًا ارتداء الطاقم الأبيض الخاص بالمحتجزين".

وكان يبدو الإرهاق واضحًا على المحامي الذي قضى صباحًا مليئًا بالعمل. وبعد أن أشعل سيجارة أخرى، أخذ نفسًا عميقًا ثم قال: "عندما خرجت من مبنى المحكمة استوقفني العديد من الصحفيين المصريين التابعين للصحف المصرية الكبرى ووجهوا لي عدة أسئلة. وعندها صرحت بوجهة نظري: أنه يجب معاقبة مرسي. وفي هذه اللحظة عندما استمع بانتباه الكثير من مؤيدي مرسي تصريحاتي، بدأوا قذفي بأشياء من كل نوع. واضطررت للهرب. ولو كنت بقيت لدقيقة بعدها لكنت تعرضت للحاق والأذى منهم بالتأكيد".

ورغم القلق الواضح على وجهه، كان المحامي يتحدث باستفاضة: "هذه هي المرة الألف التي تبدو فيها البلاد على حافة أزمة أعصاب؛ فالناس في الشوارع منقسمة، على الرغم من الأجواء التي تبدو هادئة في الأسابيع الأخيرة. وبالإضافة لذلك يتحدث الناس عن السياسة كما لو كان الأمر متعلقًا بمبارة كرة قدم: فإما أن تشجع فريقًا (في هذه الحالة أحد السياسيين) أو الفريق الآخر. لم يعد هناك طريق للتفكير. لم تعد هناك حلول وسط".

وفي الوقت نفسه بطول كورنيش النيل المؤدي لمنطقة المعادي، الحي المعروف بالقاهرة، نجد مبنى المحكمة الدستورية حيث بدأت مظاهرة هائلة مؤيدة لمرسي. وقد أعلن مؤيدو الرئيس السابق مرسي أنهم سيظلون بجانب رئيسهم بالقوة، فهو 'رئيسهم المنتخب شرعيًا' في الانتخابات الرئاسية الأخيرة. وقالوا إنهم سيستمرون في التظاهر حتى يتم الاستماع لكلامهم. وكانت الأعلام والشعارات ذات اللونين الأصفر والأسود (لونان خاصان بالمؤيدين الإسلامي) منتشرة في كل مكان. وكانت الشعارات الأكثر شيوعًا كالتالي: «نحن هنا ضد الانقلاب العسكري»، أو «السيسي خائن للوطن»، أو «السيسي ابن مبارك»، أو «يسقط الچنرال الخائن»، أو «الخائنون يحاكمون الرئيس الشريف». وكانت هناك عبارات مكتوبة في كل مكان: على الأرصفة، وعلى الحوائط، وحتى على الحافلات، كلها واضحة للجميع: «السيسي قاتل» و «الإخوان المسلمون ليسوا إرهابيين».

وحدث الكثير من الاشتباكات بين مؤيدي مرسي ومؤيدي السيسي حتى في منطقة وسط المدينة أمام مبنى المحكمة العليا. وقد رفع الإسلاميون أيديهم

مشيرين بعلامة الرقم أربعة بأصابعهم، وهي العلامة التي أصبحت رمزًا لرابعة العدوية، ذلك الميدان الخاص بمظاهرات الإخوان والذي تم إخلاؤه بالقوة في أغسطس. بينما رد الآخرون، مؤيدو الفريق السيسي بعلامة النصر رافعين إصبعين من أيديهم. وهنا تدخلت قوات الشرطة أيضًا، وأطلقت قنابل الغاز المسيل للدموع وأبعدت الحشد. وكانت الشوارع المحيطة بالمنطقة خاوية؛ فقد ظل الكثيرون في بيوتهم خوفًا من تلك الاشتباكات. وكانت الدبابات والعربات المصفحة للشرطة تحمي المباني الحكومية التابعة للدولة في القاهرة.

وكان قد تقرر عقد الجلسة التالية للمحاكمة يوم الثامن من يناير. وتم نقل مرسي بواسطة الطائرة المروحية (هيليكوبتر) لبرج العرب بالإسكندرية. وبينما كان يبتعد المحامي محمد عبد العزيز للانصراف، قال بكلمات حاسمة: "هناك مراهنة على أن مؤيدي الإخوان لن يبقوا في صمت لانتظار الحكم الأخير".

مَن هو السيسي؟
مارس 2014

لقد كان جزء كبير من الشعب المصري بدأ بالفعل يطلق على المشير السيسي «الرئيس» منذ فترة، على الرغم من إعلانه فقط اليوم ترشحه للانتخابات الرئاسية القادمة. ومن الألقاب التي أطلقها عليه المصريون: «مُنقذ الوطن»، و«قلب الأسد»، و«رجل المصير»، ولكن يبقى لقب «الرئيس» الأكثر اعتدالًا. ولكن مَن هو ذلك الرجل الصامت والمفاجئ التابع لمؤسسة الجيش والقادر على خلق عشق لتلك الشخصية الذي لم يكن موجودًا منذ عهد عبد الناصر؟

لقد ولد عبد الفتاح السيسي بأحد أحياء مصر القديمة الإسلامية عام 1954، في ذلك الوقت الذي كان فيه عبد الناصر يقوم بتأمين السلطة التنفيذية في البلاد لنفسه. وولد لتاجر متدين جدًا. ثم تخرج الشاب السيسي في الكلية الحربية عام 1977، أي قبل عامٍ واحد من توقيع اتفاقية كامب ديفيد التي أعلنت السلام مع إسرائيل وحملت مصر على التحول من الاتجاه السوفيتي إلى الاتجاه الأمريكي.

وبالتالي فإن السيسي لم يخض أي تجربة حرب ولكن قضى فترة دراسية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2006، وهي الفترة التي جعلته يتمتع بعلاقات قوية. وعندما كان مديرًا لسلاح المخابرات الحربية، كان على اتصال ومحادثات دائمة مع واشنطن قبل الثورة وأثناء الثورة وبعدها. حتى وإن بدى أنه كان له رأي سلبي تجاه زملائه السابقين في الجامعات الأمريكية، الذين تشبعوا بدراسة أمور «الشرق»، والذين يشغلهم أمر فشل قضيتهم في العراق.

وربما بسبب هذا النقص في الاحترام من طرف الحليف الأمريكي في الشهور الأخيرة، قامت مصر بالتقرب من روسيا بوتين. ولم يكن تحولًا في الاتجاه، وإنما كان لعبًا على جبهتين ردًا على إدارة أوباما التي أخطأت في مصر في كل شيء في العامين الأخيرين.

والفترة التي قضاها السيسي في قيادة المخابرات العسكرية – إدراة الاستطلاع خاصة تلك التي كانت تستشف حالة المزاج داخل القطاعات التابعة للقوات المسلحة – تركت له إرثًا من القدرة على جذب تحول الاتجاهات السياسية ومن القدرة على استغلال الموقف بدهاء. ومن ناحية أخرى، فقد كان منذ عامٍ واحد أحد أكثر الرجال المكروهين في شوارع القاهرة. حيث كان قرار مرسي – بتعيينه كقائد عام للمجلس الأعلى للقوات المسلحة وللجيش في أغسطس 2012 – قد جعل الكثير من الأساطير تنسج حوله.

وقد كان يقال عنه إنه إسلامي مقتنع بأفكار الإسلاميين تمامًا، بل وصل الحد لاعتباره أحد الأعضاء السريين لجماعة الإخوان المسلمين، الذي تم تمريره سرًا لقيادة الجيش. حتى جماعة الإخوان ذاتها كانت قد أقنعت نفسها بمصدقيته والثقة فيه. ومن جانب آخر، فقد كانا مرسي والسيسي هما مَن حافظا على المباحثات بين العسكريين والإخوان في فترة حكم المجلس العسكري.

في بداية حكم مرسي، كان السيسي نفسه في كثير من المداخلات هو من قال إنه على القوات المسلحة أن تتأقلم مع وجود حكومة مدنية. ولكن ممَّن دافعوا صراحة عن فضيحة 'كشوف العذرية' – التي تعرض لها عدد من الناشطات يوم 9 مارس 2011 - لم يكن يُمكن انتظار سوى الوفاء المطلق لمؤسسة الجيش. وبالضغط عليه من قطاعات كبيرة من القوات المسلحة والجهات الاقتصادية ورجال النظام القديم، فربما بعد شهور قليلة كان هو من أعطى الأمر للمخابرات العسكرية بالتفاوض من أجل اتفاق مع حركة «تمرد»، الحركة الشعبية التي كانت قد بدأت التنظيم لمظاهرات 30 يونيو ضد مرسي. وبعدما طلب من الرئيس أن يتنحى، كان هو أيضًا من أزاحه عن الحكم بخطاب تليفزيوني في الثالث من يوليو، وكان هو من أطلق يوم 26 يوليو «الحرب على الإرهاب» التي نتج على إثرها أحداث عنف في البلاد.

ولكن لماذا على الرغم من آلاف الإشاعات حول إمكانية ترشحه، فضل السيسي الانتظار لأشهر؟ هل كان حسابًا سياسيًا باردًا أو كانت بالأحرى شكوك حول أدائه من خلال الاستبانات التي كانت تقل أسبوعًا تلو الآخر؟

ربما كان السيسي يُفضل أن يتم ترشيح شخص آخر ليحتفظ هو بمكانه «زعيمًا محركًا للعرائس» وليتجنب أن تنال الصعوبات – المحتمل أن تواجهها الحكومة – من شعبيته. ومن ناحية أخرى أصبح أمر ترشحه حتميًا، حتى وإن كان الأمر غير معلوم أكان ذلك برغبته الشخصية أم لأنه كان مجبرًا من قِبل شخص آخر.

وهكذا من الممكن أن يكون السيسي قد أراد أن يأمن بنفسه عن طريق الدعم الذي حصل عليه إجباريًا من المراكز الحيوية في السلطة والتي يعرفها هو جيدًا جدًا. وقد استغل الحملة الشعبية التي كانت لصالحه ليضع في الخانات الضيقة زملاءه من قادة الجيش، خاصة أولئك الذين هم فوق سن المعاش ويتحكمون في كبرى الصناعات العسكرية، وهم سرًا لا يثنون عليه بالتأكيد. ولكن في الوقت نفسه يعرفون أن الجيش في هذه اللحظة بحاجة لشخصية السيسي أكثر من السيسي نفسه، ولكن ليس لديهم أي اختيار آخر سوى تأييده.

وتظل السياسة المصرية لعبة كبيرة لمصالح مختلفة لرجال النظام القديم، وللفاسدين، ولرجال الصناعة وللواءات سابقين، بدأوا العمل على الرجوع للساحة بقوة وبشكل مكشوف. والسيسي يعرف الاتفاقات الخفية لرجال القصر؛ فقد كان شاهدًا بنفسه على سقوط مبارك، ثم طنطاوي وأخيرًا مرسي، ويعلم جيدًا حاجته لهؤلاء، ولكن يجب عليه إيقافهم عند حدود معينة.

ومع الوضع الاقتصادي المدمر يظل التهديد الجهادي دائمًا أكثر واقعية. ومع وضع الإخوان المسلمين الذين تم إبعادهم عن الحوار السياسي ومع التوتر الاجتماعي – مثلًا بين العاملين في البلاد – الذي تم تنويمه بالقوة وليس بالشكل السلمي.

الفصل السادس
القاهرة: بين المأساة والواقع

مقدمة

في هذا الفصل وضعت قصصًا مختلفة، في الغالب غريبة، كنت قد كتبتها في السنوات الثلاثة الأخيرة. فمصر بلد مليء بالمتناقضات؛ حيث إن الحد بين الدراما (المأساة) والواقع لا يكون واضحًا دائمًا. في هذا البلد تمتزج التقاليد بالدين بالسياسة بالثقافة بالمجتمع بلا هوادة، ليخلق ذلك في بعض الأحيان مفارقات واضحة وقوية.

يبدأ هذا الفصل بالحديث عن عيد الأضحى الإسلامي. وبالتأكيد هو ليس بالموضوع الغريب ولكنه موضوع مثير للفضول في عيني شخص غربي. ولقد حاولت فهم الترتيبات العملية للعيد: أين يتم شراء الأضاحي؟ كيف وأين تُذبح تلك الأضاحي؟ وكيف تسير كل الطقوس الخاصة بالعيد. تحدثت مع تجار الأغنام في مناطق مختلفة بالقاهرة وقد تحدثوا معي عن عملهم: عن بيعهم للأغنام وفصال الزبائن معهم. فكنت أود معرفة هذه التقاليد بشكل أكثر عمقًا وتفصيلًا بالإضافة إلى كيفية حياة المصريين لأيام هذا العيد. ولقد نقلت إذًا كل هذه الأخبار كما وصلتني من الأشخاص المعنيين مباشرةً. وقد حصلت على تلك الحوارات وأنا أتجول في أنحاء المدينة كافة، بالتحدث مع أهل القاهرة وملاحظاتهم. فلا تأخذ أية فقرة الطابع الروائي؛ فكل فقرات الفصل محايدة ولكنها منتقاة ممَا كتبتها صحفية غربية تعيش في القاهرة منذ ثلاث سنوات.

في هذه المساحة الزمنية، كان عمرو الشورى بالتأكيد من أهم الشخصيات التي تعرفت عليها، لدرجة أنني كتبت عنه من قبل؛ ولكنه في هذا الفصل حدثني عن يوميات عمله في المستشفى الحكومية التي كان يعمل بها. وهي تمثل في

الغالب واقعًا مأساويًا قد يبدو مهزلة تقريبًا، ولكنه على العكس مجرد تقرير بسيط لطبيب يعمل في مستشفى عامة في العاصمة، وهو يحاول فقط أن يقوم بواجبه، على الرغم من آلاف الصعوبات التي تنغص عليه عمله يوميًا.

في القاهرة ليست هناك فقط المشكلات الكثيرة التي ينبغي حلها في مباني المستشفيات، ولكن أيضًا الشوارع – التي تمثل القلب النابض للمدينة – غالبًا ما تسبب أضرارًا كثيرة للمواطنين. في وقت الثورتين المتتابعتين وبعدها، في أوقات مختلفة، أقامت أنظمة الحكم سرادقات كثيرة في وسط العاصمة. وقد جعلت هذه الأسوار الحياة صعبة إن لم تكن مستحيلة لمَن يعيش أو يعمل في وسط المدينة بالقرب من ميدان التحرير. ومن هنا تولدت عندي فكرة قص حكايات المصريين الذين يعيشون في عدم راحة بسبب هذه السرادقات.

وبالعودة لعنوان الفصل السادس، يمكنني أن أؤكد أن زيارة 'الغرزة' كانت أكثر تجربة خاصة قمت بها في مصر. وكان السبب وراء حديثي عن مثل هذه الأماكن هو أحد التقارير الطبية الذي شهد بزيادة استهلاك الحشيش من المصريين. ومن هنا آتتني فكرة الذهاب لتلك الأماكن حيث يتم الحصول على مثل هذه المخدرات علانية دون أن تكون هناك أية مشكلات أو تفتيشات من قِبل السلطات. وعلى الرغم من كونه غير قانوني في البلاد إلا أنه باستخدام بعض الحيل المحددة يدخن الكثيرون الحشيش بحرية في الأماكن العامة. ومن هنا إذًا انطلقت من التقرير الطبي المعلن، لكي أخوض 'رحلة' – إن أردنا إن نطلق عليها كذلك – في 'الغرز' وتلك الأماكن التي يُدخن فيها الحشيش ويُشرب فيها الشاي.

وفي النهاية، فقط من ناحية الزمن، هناك زيارة المستشفيات العامة بعد مذبحة رابعة. وكانت الإحصائيات الرسمية المعلنة بعد المأساة التي لحقت بمؤيدي مرسي غير متلاقية دائمًا مع الحقيقة. ولقد أردت الذهاب شخصيًا إلى المستشفيات المختلفة التي كان بها جرحى في حالات حرجة وآخرون في حالات أقل حرجًا. وهناك قصّوا عليَّ في أية حال وصل المرضى إلى المستشفى، وفي أي جزء من الجسد تمت إصابتهم، ونية مَن أطلق عليهم النيران. وهنا الأمر لا يتعلق بأمر طريف أو مجرد فضول فقط، ولكن بالتأكيد بأمر متناقض؛ فالحقيقة تظهر فقط في أعين الأشخاص القليلين المحظوظين الذين بحثوا عنها بكل دقة، ولكن الكتلة الكبرى من الناس تظل في الظلمات بعيدًا عن الوقائع وتظل ملقنة بأفكار من يمتلك السلطة.

وفي النهاية أحرص بشدة على توضيح أن كل القصص المذكورة في هذا الكتاب تمت كتابتها بأسلوب صحفي. وكان الهدف الوحيد الذي وضعته أمامي كان دائمًا الرغبة في إخبار الناس حكاية ما يحدث في بلد قامت به ثورتان في وقت قصير جدًا. فأنا إذًا لست مشجعة أو مؤيدة لفئة أو لأخرى أو لأي فصيل سياسي. وكان الحس الوحيد الذي كان يوجهني هو ذلك الحس الصحفي، والذي يُترجم باختصار في عيش الوقائع وحكايتها بحرية.

عيد الأضحى في العالم الإسلامي
26 أكتوبر 2012

كانت هناك حشود من الناس، وفرش الباعة على الأرصفة. وكانت المصابيح الملونة والبالونات تملأ الشوارع. وكانت هناك بشكل خاص حلقات الأغنام بطول الشوارع الرئيسة. وكانوا ينقلون الحيوانات ليس فقط في العربات ولكن أيضًا كانت الدراجات البخارية تجول بسرعة هائلة في كل مكان وعليها ثلاثة أشخاص وواحدة من الأغنام. هكذا كان حال القاهرة أيام أحد أشهر الأعياد الدينية في العالم الإسلامي والذي يُعرف بعيد الأضحى. وقد بدأ اليوم وسوف ينتهي يوم الاثنين.

في هذا العيد يُحتفل بحادثة التسليم الكامل لمشئية الـلـه؛ فهو في الدين الإسلامي ذكرى للتضحية التي أمر الـلـه فيها إبراهيم أن يذبح ابنه ليختبره. وبعد أن اختبر الـلـه نبيه إبراهيم في إيمانه طلب منه أن يضحي بكبش من الأغنام عوضًا عن ابنه إسماعيل. وكان فرش الباعة الجائلين يحتل ثلاثة أرباع الطريق: كانوا يبيعون أطعمة، وملابس، وأشياء من كل نوع. إنها الأيام الوحيدة في العام التي لا يوجد بها كثير من الزحام ويُمكن التحرك والتنقل بسرعة من حي لآخر؛ وكان هذا الأمر مفاجأة لمَن هو معتاد على الاختناقات المرورية في القاهرة.

وإن قمنا بالسير في شوارع وسط المدينة سنجد الكثيرين من بائعي الأغنام الذين يحققون في يوم واحد مبلغًا ضخمًا. وقد قال لي أحد تجار الأغنام في حي الزمالك مشيرًا إلى حلقة أغنامه المنصوبة على حافة الطريق: "هنا لدينا ثلاثون رأسًا من الأغنام. والسعر يختلف حسب الوزن. وأغنامي تتراوح أوازنها ما بين الـ 55

كيلوجرامًا و80 كيلوجرامًا. ولدينا الميزان الذي نزنهم به. هناك نوعان من الأغنام: تلك الأغنام التي تأتي من الوجه البحري، وتلك التي تأتي من الوجه القبلي". ثم أمسك بواحدة منها وقال: "كيلو اللحم 'الحي' من أغنام بحري يصل سعره إلى 38 جنيهًا، بينما يصل سعر كيلو اللحم 'الحي' أيضًا من أغنام قبلي إلى 35 جنيهًا. ومن الطبيعي أن يتحدث البائعون مع زبائنهم الذين يفاصلون في الأسعار؛ فكيلو اللحم الطازج وبه شيء من العظم يكلف 70 جنيهًا".

وبعدها اقترب أحد المصريين وسأل عن أجرتهم لذبح الأضحية، فكانت إجابة الجزار: "100 جنيه". ثم بدأ يشرح، فقال: "في الغالب لا يريد الزبائن الجلود؛ فنأخذها ونبيعها بـ 30 أو 40 جنيهًا. وغدًا ستمر بعض السيارات على القاهرة كلها لأخذ جلود الأضاحي من الشوارع". وعن سؤاله حول استخدامات تلك الجلود، أجاب الجزار ضاحكًا: "ستجدينه على تابلوهات سيارات التاكسي دائمًا". وكانت المقاهي ممتلئة في ذلك العيد أكثر من المعتاد.

وبدأ أحد الشباب الجالسين على إحدى المقاهي في الحديث: "ذبحنا الأضحية صباح اليوم بعد صلاة العيد، بين الساعة السادسة والسابعة. وفي الغالب نقوم بذبح الأضحية في الشارع، ثم نحملها للمنزل ونطهو منها للغداء. فهذا يُعد يوم المائدة مع العائلة". وغالبًا ما تهرب تلك الحيوانات المسكينة؛ وعن ذلك قال الشاب مبتسمًا: "العام الماضي كنت بالإسكندرية وقفزت الأضحية في البحر هربًا ممن يمسكون بها". في الواقع لا يستطيع الجميع أن يشتري أضحية العيد، ولكن الكثيرين يجدون حلولًا ذكية لكي لا يصلوا إلى ذلك اليوم دون أضحية. وعن ذلك أضاف الشاب، قائلًا: "كثيرون ممَن أعرف يشترون الأضحية وهي صغيرة (سعرها أقل)، ثم يرعونها حتى العيد ليضحوا بها، فهذا ما يفعله الكثير من الناس". ثم اختتم حديثه في هذه النقطة: "وآخرون – في الغالب أولئك الذين

يعيشون في منزل واحد – يشترون الأضحية 'شركة' أي بالاشتراك فيما بينهم؛ فيقتسمون ثمنها".

أما في حي الجيزة – دائمًا بطول الطريق – نجد حلقات الأغنام كثيرة، وهناك تباع بسعر أقل. وكان الجزارون يشيرون للبائعين على أماكن اللحم: فكانوا يأخذون إحدى الغنمات من قرنها، ويرفعونها، ثم يشيرون إلى اللحم ببطنها. وكان الكثير من هذه الأغنام عليه علامات من الطلاء باللونين الأحمر والأزرق. وعن هذا قال البائع: "هذه الأغنام المطلية بالألوان تم بيعها بالفعل". وبطبيعة الحال في عمليات الفصال والبيع والشراء، لا تختفي عمليات الغش والنصب؛ ففي العديد من الأحياء ليست هناك موازين لوزن الأغنام وتحتكم عملية البيع والشراء لخبرة كلٍ من البائع والمشتري. فيصل سعر الواحدة من الماعز – مثلًا تلك التي تزن حية 40 كيلو تقريبًا – إلى 1200 جنيهًا.

ولم تخلُ خطب الأئمة في المساجد من الإشارات السياسية. ففي أحد الأحياء الكبيرة بالقاهرة وبالتحديد في مدينة نصر، قام أحد الأئمة في خطبته التي كان يحضرها مئات المسلمين بتوجيه دعاء للرئيس مرسي، فقال: "فليكن الـلـه في عون رئيسنا مرسي في الواجبات الصعبة التي يجب عليه مواجهتها". وما زلنا في مدينة نصر حيث وجدت بين مفارش الباعة خيامًا – وضعت خصيصًا من أجل المناسبة – للإخوان المسلمين تباع هناك. فدائمًا ما يقوم الإخوان بحملتهم الذاتية على الأرض: يقومون بإهداء الحلوى من كل نوع للأطفال قبل وبعد الصلاة. وبعيدًا من فرش الباعة وجهت سؤالي لأحد المصريين فرد قائلًا: "بطبيعة الحال على الإسلام الانخراط في جميع مظاهر الحياة، حتى في السياسة. ولا أرى في ذلك شيئًا سيئًا. وبالتالي فمن الطبيعي أن تكون هناك في الخطبة موضوعات لها علاقة بالسياسة". وأنهى قائلًا: "الإسلام يمثل جزءًا من حياتنا اليومية".

المستشفيات العامة: إضراب الأطباء وامتيازات العسكريين.
3 نوفمبر 2012

"بالأمس وجدت قطتين من قطط الشوارع نائمتين متقوقعتين على سرير غرفة العمليات". هكذا بدأ حديثه أحمد صلاح، البالغ من العمر ثلاثين عامًا، وهو أحد الأطباء العاملين بمستشفى شبين الكوم التي تقع على بعد 80 كيلومترًا من القاهرة تقريبًا. وكان في مصر وقتها إضراب وطني من قِبل العاملين في القطاع الطبي العام. واستكمل أحمد حواره قائلًا: "لم يعد الوضع محتملًا؛ فنحن نطالب بزيادة لنصل إلى نسبة 15% من الموازنة العامة الخاصة بقطاع الصحة. هذا هو الحد الأدنى وفقًا للاتفقات الدولية التي تم توقيعها في مصر. اليوم تحصل وزارة الصحة على 3.5% فقط من موازنة الدولة. وأي زيادة في التمويل الاقتصادي للقطاع الطبي من الممكن أن يحسن الخدمات المقدمة للمرضى؛ ليجعل لهم كرامة وليعطي فعالية للمستشفيات. وبالإضافة إلى ذلك نحتاج قانونًا يستطيع تأمين مكان العمل ويحاسب بشدة مَن يتعدى على هيكل المستشفى. وفي النهاية نطالب بأن تتم زيادة مرتبات الأطباء: فمتوسط المرتب الشهري يصل إلى 400 جنيه، وأنا أعد من المحظوظين فمرتبي 900 جنيه في الشهر.

وأضاف أحمد صلاح متحدثًا عن الإضراب: "إضرابنا هذا إضراب مفتوح، أي ليس له تاريخ انتهاء محدد؛ ولكنه سوف ينتهي عندما يتم الاستماع لطلباتنا وتلبيتها. وبطبيعة الحال تظل تعمل الإسعافات وأقسام الطوارئ ومجموعة الأطباء التي تعمل بهذه الأقسام دون انقطاع". وعن التدهور الكامل الذي تعاني منه المستشفيات العامة المصرية، حكى لنا أحمد صلاح: "نفتقد بشكل تام للنظافة الصحية: يمكنك بكل سهولة رؤية الدم على المفروشات والأسِرَّة،

وكذلك الثقوب في الحوائط، والقمامة ملقاة على الأرض خارج الغرف، والحمامات متسخة لدرجة لا تسمح باستخدامها". ثم أضاف: "ليس لدينا أسِرَّة كافية، وليست هناك مفارش لها أو أغطية نظيفة للجميع. وعلاوة على ذلك لا تعمل كل الغسالات دائمًا، ولا يوجد مال كافٍ لإصلاحها. ولذلك على المرضى إحضار الأغطية الخاصة بهم معهم من المنزل؛ نحن في ظروف حرجة لدرجة أننا لا نستطيع دفع رواتب طاقم مختص للنظافة. وكل هذا يؤدي إلى توابع مآساوية وخيمة: تعددت حالات الوفيات بين الأشخاص الذين تعرضوا للعدوى. في مستشفى شبين الكوم في السنة الأخيرة وصل العدد لـ 35 ضحية. ونحن للأسف لا نستطيع عمل شيء. نشعر بإحباط كبير كأية فئة من المجتمع".

وبالإضافة إلى النقص الكامل فيما يخص النظافة الصحية، تندر أيضًا الأدوية. وقد صرح لنا الطبيب الشاب – المتخصص في أمراض الجهاز التنفسي – بقائمة تضم كل الأدوية التي تصل بكميات ضئيلة جدًا، وقال منفعلًا: "حتى قطع الشاش، والقطن، والحقن محدودة. وغالب الأحيان نطلب من المريض شراء ما قد يحتاج إليه من أدوية. ولكِ أن تتخيلي رد الفعل: إذا كانوا شديدي الفقر، وليس لهم حول ولا قوة لشراء مثل هذه المتطلبات للعلاج، يسيطر عليهم العنف؛ فهم يعرفون جيدًا أنه لن يستطيع أحد علاجهم".

وقد كانت هناك أحداث كثيرة ساخنة في مكان العمل. وقد قال أحمد عن ذلك: "هناك خلل كبير في منظومة الأمن. نحن ندفع من جيوبنا الخاصة لبعض الأشخاص لكي يقوموا بتأمين غرف العمليات على الأقل، ولكن في أغلب الأحيان يكون هذا غير كافٍ. وقد حدث منذ شهرين أن تم الاعتداء عليَّ من أحد المرضى؛

لأني لم أكن أمتلك حينها الأدوية التي كان المريض في حاجة إليها. وقد تعرض زميل لي أيضًا للضرب من شاب مخمور كان قد تسلل إلى مبنى المستشفى؛ لأنه كان قد تعرض للإزعاج من زميلي هذا. وهناك حوادث عديدة من ذلك القبيل باستمرار. ومنذ شهر تعرض أحد المرضى للقتل في سريره، بعد قيامه بعملية. وكان ذلك المريض متورطًا في مشاجرة بالأيدي مع شاب في العشرين من عمره تقريبًا وهو من أراد القضاء على حياته. وقد وصلت الشرطة فقط بعدما دخل القاتل بمسدس وقتل المريض ثم انصرف، دون أن يوقفه أحد".

ولم يخفِ أحمد غضبه الشديد وضغينته من الفرعون السابق، فقال: "وأيضًا قبل الثورة كان الوضع كارثيًا. لم يفكر مبارك أبدًا في المواطنين: كان أهم شيء هو استثمار المال في القطاعات الخاصة. وبعد 2011 – إن أمكننا القول بذلك – فإن الأمور قد ازدادت سوءًا: حدث خلل أمني كبير؛ فكنت أخاف الذهاب إلى العمل. وعلى الرئيس مرسي إن أراد إعادة انتخابه أن يفكر قبل أي شيء في الفقراء. ونحن الأطباء سنواصل مظاهراتنا إلى أن تتحقق مطالبنا في الواقع".

وبالتأكيد الرعاية الصحية غير متاحة للجميع في مصر بصورة عادلة. وقد واصل الدكتور حديثه: "رجال الجيش هم مَن يتمتعون بظروف أفضل. فعدد المستشفيات العسكرية الخاصة يصل تقريبًا إلى خمسة عشر في القاهرة. وكلها مستشفيات حديثة، تتمتع بأفضل الإمكانات، يمكنني القول بأنها مستشفيات فاخرة. وكثير من المستشفيات العسكرية يكون متخصصًا في فرع معين من فروع الطب. وهناك يمكن علاج رجال القوات المسلحة فقط، وأقاربهم وبالتأكيد من لديه الكثير من المال".

وكانت المقابلة على وشك الانتهاء، عندما اختتم الطبيب الشاب حديثه فجأة بكل مرارة قائلًا: "كدت أنسى: إن كنتِ في أية محافظة في مصر لتطلبي الإسعاف عليكِ الاتصال بـ 123، وعندها يرد عليكِ مَن بالتحويلة المركزية في القاهرة ثم يرسل لكِ سيارة الإسعاف. ولذلك؛ بسبب التنظيم السيء للأشخاص العاملين – وبسبب نقص الاحترافية – تصل سيارات الإسعاف للمكان المحدد بتأخير كبير للغاية وغالبًا ما يكون صعبًا إنقاذ حياة المريض".

الأسوار العازلة بالقاهرة
13 فبراير 2013

كانت الأسوار المحيطة بوزراة الداخلية لحماية المبنى الحكومي أكثر من عشرة أسوار مصنوعة من جدران أسمنتية صلبة وضخمة. وتمثل هذه الجدران العملاقة عقبة حقيقية في طريق المصريين كل يوم. وتقول فتاة تعمل في منظمة غير حكومية بالقرب من ميدان التحرير: "أصبحت أستغرق ساعة زائدة عن المعتاد للوصول لمكان عملي. وعندما يضيق الأمر بي وأريد اختصار الوقت، أحمل معي من بيتي الحذاء الرياضي والبنطال المطاطي (بنطلون فيزون)؛ فهذا هو السبيل الوحيد لكي أستطيع القفز برشاقة أكثر. لقد أصبحت في مغامرة يومية. وكثير من المواطنين الذين يعيشون أو يعملون في وسط القاهرة أصبحوا في مثل وضعي هذا".

كان محيط وزارة الداخلية محاطًا بمصفحات الشرطة ورجال الشرطة بزيهم المميز يحرسونها ليلًا ونهارًا؛ بينما على بعد أمتار قليلة من هناك، في ميدان التحرير، لم يكن للشرطة أي وجود. والعشرات من الشوارع الصغيرة المتفرعة بطول شارع محمد محمود – المعروف بشارع «الجرافيتي» – كانت مغلقة. وبدأت الفتاة الشابة تشرح: "الشوارع المغلقة يتم استخدامها كجراج مفتوح: تكتظ الشوارع بمصريين دون عمل يتسولون من أي شخص يوقف سيارته للانتظار هناك. وفي المساء تصبح تلك الشوارع مأوى للبلطجية ولأصحاب السلوك السيء. والباعة الجائلين يعرضون بضاعتهم قليلًا وبحذر خوفًا من أن تتم سرقتهم".

وكانت المحلات الموجودة بطول الشوارع المؤدية لهذه الأسوار على وشك إغلاق أبوابها، استعدادًا لأي حدث محتمل. وقالت إحدى الصيادلة: "لم يعد يأتي أحد إلى صيدليتي هذه. منذ شهرين في هذا الجزء قل عدد الزبائن بنسبة 70 في المئة. لم يعد هذا الشارع شارعًا حيويًا يمر فيه الناس". صيدليتها موجودة في أحد الشوارع الجانبية لشارع محمد محمود. وهنا اقتربت من باب المحل واستكملت حديثها: "هنا عندي سلم بالداخل. وكل صباح أجعلها متاحة لمَن يريد القفز: هناك مَن يفضل أن يقفز من فوق السور هكذا على أن يتخذ مسيرة أطول بالسيارة. وهناك أيضًا من يحاول أن يفتح ممرات خلال هذه الأسوار ولكن دون فائدة؛ لأن الفتحات والثقوب التي يقومون بها يتم سدها على الفور، والشرطة منتبهة إلى هذه النقطة تمامًا". ثم أشارت بيدها للمبنى المجاور، كان مبنى مدرسة؛ وبسبب تلك الجدران تحتم عليهم عمل بوابة دخول أخرى للطلبة لدواعٍ أمنية. وهنا أضافت: "وسط المدينة بدأت تتغير ملامحه: ولكنها كلها قرارت تفتقد للاستراتيجية. ولم يحسب رجال الحكومة العواقب المشؤومة لحياة المصريين. بالضبط كما كان يفعل مبارك". تم حرق العديد من المباني الحكومية القريبة من ميدان التحرير أثناء المظاهرات الأخيرة. ولم تعد تعمل مكاتب مجمع التحرير، ذلك المبنى الحكومي الضخم الذي يطل على ميدان التحرير مباشرةً.

وكانت الرسومات منتشرة على الجدران. وكانت في الغالب رسومات أو عبارت ضد مرسي والإخوان المسلمين والمجلس العسكري. وكان بعضها يحمل توقيع الألتراس وكان شعارهم: «العدالة أو الفوضى». ومن العبارات الأكثر انتشارًا نجد: «العدالة من أجل جيكا» وهو أحد شهداء الاشتباكات الأخيرة بالقاهرة. وكان هناك العديد أيضًا من الرسومات التي تهاجم التحرش الجنسي الذي حدث مؤخرًا في ميدان التحرير.

وأمام مبنى وزارة الداخلية نجد مبنى وزارة العدل وكان أقل تحصينًا من الأول بقليل. ولم يكن بعيدًا أحد مقرات حزب الإخوان المسلمين، حزب الحرية والعدالة. ويقول صاحب متجر هناك: "أيضًا عساكر الشرطة مستاءون ومكبوتون. تتم معاملتهم كحيوانات من قِبل قادتهم، وعندما تسنح لهم الفرصة يخرجون هذا الكبت الداخلي وهذا العنف ضد المتظاهرين، دون التفريق في النوع بينهم. وفي إحدى المرات أشعلوا النيران في سيارة كانت في مكان الانتظار بهذه المنطقة. ثاروا بغضبهم ضد السيارة".

وبالقرب من مسجد ميدان التحرير كان هناك عاطل مصري، قد اصطنع لنفسه العمل كـ'سايس'، قال لي مبتسمًا: "لا أحد يريد أن يضع سيارته هنا في أماكن الانتظار بهذه الشوارع المركزية. حتى مَن عليه شراء بعض الأشياء من المحلات في وسط المدينة، أصبح يشترى سريعًا ما يلزمه دون التوقف طويلًا. أصبحوا يخافون على سياراتهم".

وعلى بعد مسافة صغيرة من ميدان التحرير، وقريبًا من ضفاف النيل نجد فندق سميراميس الذي تمت مهاجمته مؤخرًا من قبل المتظاهرين، وتم إغلاقه. وأمامه في الشارع نفسه نجد فندق شيبرد، وفي مدخله كان رجال الأمن يفتشون بكل شدة ودقة أي شخص يدخل. فقال أحد العاملين بأمن الفندق: "نفتش حقائب الجميع كي نتأكد من أنه لا أحد يدخل مسلحًا". وبالداخل قال لي موظف الاستقبال: "ظللنا محبوسين لمدة أسبوعين بعد أن أشعل المتظاهرون النيران في فندق سميراميس. الآن نحن نعمل، لكن إن كان الوضع في هذا الشارع يتدهور، فعلينا الاستعداد للإغلاق من لحظة لأخرى". وكانت الصالة الضخمة بالفندق خاوية. ومن المحتمل أن تظل هكذا لفترة ليست بالقصيرة.

في "الغرز" يبدأ الشغل الحقيقي
14 إبريل 2013

"الآن يبدأ الشغل الحقيقي"، هكذا تحدث مبتسمًا 'القهوجي' بإحدى المقاهي في وسط القاهرة. ويطلق على هذا النوع من المقاهي عادة اسم 'غرزة'. توجد في الخارج صالات للمشروبات العادية مثل الشاي ونحوه؛ أما بالداخل فهناك مكان خاص لتدخين الحشيش. وفي كل حي نجد 5 أو 6 مقاهي من هذا النوع، وتتمركز 'الغرز' في المناطق الأكثر فقرًا بالمدينة. وكان 'القهوجي' يعد الشيشة (النرجيلة) ويملأها بالحشيش وهو جالس على أحد الكراسي الخشبية؛ بينما كان هناك على الطاولة نفسها أربعة أشخاص يتبادلون خرطوم الشيشة فيما بينهم، كما لو كان 'سيجارة ملفوفة' وكانوا يرتشفون معها أكواب الشاي. وقال صاحب المقهى بابتسامة رضا: "هنا لا نبيع الكحوليات، ولكن الدخان كما ترين". وكان الشيء الذي أدهشني بشدة من لمحة البصر الأولى هو أن الأشخاص الجالسين على الطاولات في الهواء الطلق كانوا يدخنون الحشيش بكل هدوء، على الرغم من أنه شيء ممنوع في البلاد. ولكن الإجابة عن اندهاشي هذا لم تغب طويلًا؛ حيث شرح لي أحد من تواصلنا معهم من المصريين ممَن نثق برأيهم، وقد كان يتردد على هذه الأماكن من قبل، فقال بصوت خافت: "صاحب 'الغرزة' يرسل أموالًا ومخدرات لبعض ضباط الشرطة مرةً كل شهر ليطمئن أنهم لن يفتشون عنده في المنطقة". ثم أضاف ليحذرنا: "وللتمكن من الدخول إلى هذا النوع من المقاهي عليكِ أن تكونين على معرفة أحد الأشخاص الذين يذهبون إلى هناك باستمرار، وإلا فسيكون الأمر خطيرًا، خاصة إن رأوا شخصًا أجنبيًا، وبالإضافة لذلك امرأة".

والحشيش هو نوع المخدرات الأكثر انشارًا في مصر، وبعد الثورة زاد تناوله بين المواطنين. والدكتور أحمد حسين – أحد مؤلفي كتاب البحث الطبي عن إدمان المخدارت، وهو الكتاب الذي قامت بنشره وزارة الصحة منذ شهر – قد قال: "تظهر كل المعطيات أن الحالة مازالت تسوء. ولكي ندرك هذا يكفينا الذهاب لزيارة 'الغرز'، وهي مكتظة بالناس طول الوقت". وأضاف: "وفقًا لبحثنا، يصل عدد مدخني الحشيش في القاهرة إلى 13% من الشعب. ولكن علينا أن ننتبه؛ فليس الكل يعلن صراحةً أنه يدخن الحشيش. ومن ناحيتي، فأنا أظن أن أكثر من 50% من الشعب يستخدم هذه المادة المخدرة". وعندها توقف لحظة، كان يريد أن يتحرى الدقة؛ فأخذ يتفحص البيانات الموجودة في دراسته، ثم استأنف حديثه: "عامةً يدخن الرجال الحشيش بشكل أكبر، ولكن بعد الثورة تصاعدت نسبة النساء. والشريحة العمرية للمفرطين في استخدامه تتراوح ما بين الـ 20 والـ 25 عامًا: يمثلون الـ 73% من مدخني الحشيش". وهنا هز رأسه وقال: "19% من مدخني الحشيش يكون عمرهم أقل من 15 عامًا. أما فيما يخص بائعي الحشيش فيتراوح متوسط أعمارهم بين الـ 30 والـ 40 عامًا، وغالبًا ما يستخدمون الأولاد الصغار لتوزيع المخدرات". وكان الدكتور دقيقًا جدًا ولم يكن يريد أن ينسى شيئًا فأضاف: "الأحياء التي ينتشر فيها تدخين الحشيش بشكل أكبر في القاهرة تكون عادةً الأحياء الأكثر فقرًا. وأولها منطقة 'القرافة': وهناك يقوم السكان بتدخين الحشيش داخل المقابر، فأصبحت 'غرز' حقيقية، ولكن لا يدخلها إلا مَن كان من المنطقة".

كنا أمام إحدى المقاهي المصرية التي يتم تدخين الممنوعات فيها. وكان من الخارج مثله مثل المقاهي المعروفة بالقاهرة: كانت هناك الطاولات، والكراسي الخشبية في الشارع، والمصابيح الملونة، والحركة المستمرة لحشود الرجال فقط

خاصةً في المساء. وعلى العكس بالداخل كانت هناك غرفة كبيرة دون نوافذ وبها ما يقرب من عشرين طاولة ومكيف هواء. ونحو الثانية بعد منتصف الليل يدخل رواد المكان للتدخين ويظلون يتبادلون أطراف الحديث حتى الخامسة فجرًا. وبدأ صاحب 'الغرزة' يشرح الوضع بكل فخر وهو جالس على إحدى الطاولات: "الساعة 4 سوف يكون هناك أكثر من ستين شخصًا". وكان صاحب 'الغرزة' رجلًا طويلًا ممتلئ الجسد ولم يكن على ما يبدو على راحته مع الضيوف الجدد. وفجأة أشار لأحد الصبية الذين يقدمون الشاي؛ فأمره بنقل الطاولة إلى زاوية؛ فلم يكن يريد أن تبقى المرأة الوحيدة في المكان أمام أعين الناس الذين يدخلو أو يمرون بالشارع. وبالنسبة لبقية الأمور كانت الأجواء هادئة، ولكن على الرغم من عدم وجود تفتيشات كان يتخذ الاحتياطات اللازمة؛ فعن ذلك همس بصوت خافت: "لزيادة الأمان أعطيت مفاتيح السيارة لصبي يعمل هنا؛ ففي حالة مباغتة الشرطة – وهذا لن يحدث – سنخرج من المخرج السري حيث تنتظرنا السيارة في مكانها. وهذه الخدمة مفيدة ولا تكلف الكثير".

وكان الدكتور أحمد حسين يعرف جيدًا مواعيد فتح وغلق هذه 'الغرز' وشرح لنا الكثافة العالية للمترددين عليها: "بعد الثورة أصبحت عمليات التفتيش أقل في البلاد؛ فضباط كثيرون من الشرطة فاسدون، وأما غير الفاسدين منهم فلا يعتبرون مواجهة هذا النشاط غير القانوني أولوية". ولم يكن العامل الديني غائبًا، حيث قال: "98% ممَن يدخنون الحشيش يظنون أنه ليس محرمًا من الدين، أما الكحوليات فهي محرمة. ولهذا في معظم 'الغرز' يقدم فقط الشاي للشرب". وعن علاقة الإسلاميين بالمخدرات قال: "أعلم بشكل مؤكد أن بعضهم يدخن الحشيش خفية. يحرصون على ألا يراهم أحد في الأماكن العامة؛ لأنه بالنسبة لهم ليست الخمور فقط محرمة ولكن أيضًا المخدرات. وفي

إحدى المرات جاءني عضو من جماعة الإخوان وسألني سرًا عن نصائح طبية فيما يخص الحشيش". وهنا توقف عن الحديث في ذلك الموضوع؛ ولم يرغب في إضافة أية تفاصيل أخرى وغير الموضوع.

ولم تكن 'الغرزة' المكان العام الوحيد الذي يتم تدخين الحشيش فيه. فهناك العديد من الملاهي الليلية التي يُسمح فيها بكل شيء: الخمور، والمخدرات، وممارسة الدعارة. ومن هذه الملاهي نجد واحدًا بحي العجوزة، وعنه قال لي مترجمي الخاص الذي يصطحبني في العمل يوميًا: "هذا ليس مقهى من مقاهي القاهرة المعروفة والمعتادة، ولكن يتردد عليه الكثير من الزبائن؛ فمَن لديه الكثير من المال ويريد أن ينفقه يأتي إلى هنا". وكان المكان صغيرًا: حجرة واحدة (دون نوافذ) وبها ركن للاستقبال، و7 طاولات ومكيف هواء كبير. وكانت هناك 8 فتيات لخدمة الزبائن، وعند الحاجة – وحسب تقديرهن – يذهبن أيضًا مع الزبائن. ورواد المكان عادةً يأتون وقد أحضروا معهم الحشيش من المنزل: ويكفي أن يشير الزبون لإحدى تلك الفتيات وأن يعطيها قطعة من الحشيش، فتأتي له على الطاولة بالسجائر ملفوفة بالفعل. وعلى عكس الوضع في 'الغرزة'، تكون الموسيقى عالية الصوت للغاية في هذه الملاهي الليلة، ويرقص المرتادون ويغنون. وكان الجو عائليًا لدرجة أن كل مَن كان بالداخل يعرف بعضهم بعضًا. وعند ساعة الإغلاق قام أحد الزبائن بإعلان نبأ مهم على رواد المكان: "الأسبوع القادم ستتزوج ابنتي، وكلكم مدعوون للفرح". والأفراح في مصر تعد من الأحداث الاجتماعية التي يمثل تدخين الحشيش فيها عادة وتقليدًا؛ فعن ذلك قال لنا أحد من تواصلنا معهم هناك، وكان منهكًا للغاية: "إن كان هذا الموضوع يهمك كثيرًا فستجدين العديد من النقاط التي تساعدك هناك، أي في الأفراح".

شهادات أطباء الإخوان: "كان القتل نية الجيش"
9 يوليو 2013

كانت المستشفى الميداني للإخوان المسلمين قاعة كبيرة بداخل مسجد رابعة العدوية، بحي مدينة نصر في القاهرة. وكانت هناك حركة ذهاب وإياب للأطباء بالأجهزة والمعدات الطبية العديدة والمختلفة المستخدمة للإسعافات الأولية. وكان قد تم حمل ضحايا المذبحة إلى هناك: وكما شرح الأطباء كان بعضهم قد وصل بعد أن مات بالفعل. وبالخارج كان اعتصام رابعة مستمرًا منذ الثالث من يوليو.

وأيضًا بين الأطباء داخل المسجد كان هناك يقين تام بأنه لن يترك أحد المظاهرات القائمة حتى يعود الرئيس لمنصبه. واقترب منا أحد الأطباء وقال: "تم قتل الإخوان المسلمين وهم يؤدون الصلاة، ومعظم الضحايا من الشباب، أعمارهم بين الـ 18 والـ 30 عامًا. وكان يبدو أن الطبيب من المؤيدين بقوة للإخوان، وقد حكى لنا وجهة نظره بحسم وبرغبة شديدة في الإدلاء بها: "كانت نية الجيش أن يقتل. ليست هناك أية شكوك في ذلك. وسيؤكد ذلك لكِ الأطباء في المستشفيات التي تم حمل أجساد الموتى والضحايا والمصابين الذين كانوا في حالات خطرة إليها. لم يستخدم الجيش القوة من أجل الدفاع عن النظام العام، كما يقولون. ولكن قام بذلك من أجل الإرسال بإنذار واضح. ومع كل ذلك، نحن نرد اليوم بأننا مازلنا أقوياء ومقتنعين بما نحن عليه. وسنظل هنا إلى أن يعود مرسي لتولي مهام منصبه".

ثم عاد الطبيب ليتحدث عن المصابين الذين تم حملهم إلى المستشفى الميداني: "كل الضحايا عندهم إصابات خطيرة في الرأس والرقبة والصدر. ووفقًا لتقريرنا (أي التقرير الذي قام به الإخوان المسلمون) توفى 85 شخصًا وأصيب ألف تقريبًا". ولم تكن وزارة الصحة قد أكدت هذه الأرقام بعد.

وبدأ الدكتور يشرح كيف كان المستشفى الميداني منظمًا: "كل ما ترين هنا يمثل الإسعافات الأولية. نقوم بما يلزم من إسعافات أولية، ولكن إن كان الأمر خطيرا فإنه لدينا المعدات لنتدخل جراحيًا. والأشخاص الذين أصابهم الجيش ينتمون لكل الطبقات الاجتماعية، أغنياء وفقراء. ولكنهم مصريون كلهم، ولا أحد منهم من الأجانب".

وأثناء الحوار اقترب أحد المؤيدين لمرسي – ومثله مثل الآخرين كان يثيره الفضول لوجود الصحافة – وأراد أن يدلي برأيه: "نحن متفائلون من أجل المستقبل، وبعون الـلـه سنقوم بعمل أي شيء. لا نخشى أحدًا. وسنموت إن كان هذا حتميًا، ولكننا سنظل كلنا هنا. نحن لا نحارب من أجل مرسي، ولكن نحارب قبل أي شيء من أجل الإسلام ومن أجل شرعية رئيسنا الإسلامي. ولن نقبل بمرشحين آخرين. ولن نقبل بأي اتفاق أو أية حلول وسط".

وبالقرب من المستشفى الميداني كان هنا مستشفى مدينة نصر الذي استقبل أكبر عدد من الضحايا. كان هناك الدكتور محمد فتحي الذي لا تربطه علاقة بالإخوان المسلمين (وليس مؤيدًا لهم) ولكن كان يتحدث فقط كمتخصص في مجال الطب، فقال: "مات في هذا المستشفى حتى أمس ثلاثون شخصًا تقريبًا

وهناك أكثر من مائتي شخص من المصابين. وأولئك الذين ماتوا لقوا مصرعهم إثر طلقات رصاص مميتة في الرأس وفي الصدر. ومن الواضح أن النية كانت مبيتة للقتل وليس لمجرد الإصابة. وبين الموتى والجرحى كان هناك شرطي واحد، وباقي الضحايا كانوا بالطبع من مؤيدي مرسي. ولم تكن هناك أية امرأة ولم يكن هناك أي طفل على الأقل في هذا المستشفى".

وفي الممر نفسه، وجدنا بالقرب منا طبيبًا آخر اسمه الدكتور علي ناجي الذي تابع شخصيًا ضحايا المذبحة في الـ 48 ساعة الأخيرة، فقال: "كل مَن مات، مات إثر طلقة في غاية الدقة. وقد حكى لي أحد المرضى الناجين بأنهم كانوا يؤدون الصلاة، وكانت هناك حول المصلين دائرة ممَن يؤمنون المصلين. وعند لحظة معينة أطلق رجال التأمين إنذار الخطر: فبدأوا الضرب بالعصي المعدنية لتحذير الناس. لكن الوقت لم يكن في صالحهم؛ فقد لحقت بهم طلقات النار. ومن المرضى الذين أعالجهم هناك ثلاثة أصيبوا بطلقات في ظهوهم عندما كانوا يفرون". ووفقًا لما قاله الدكتور على ناجي فإن معظم المصابين والضحايا كانوا من خارج القاهرة، أي من محافظات أخرى.

وعند باب الخروج من المستشفى قابلنا أحد حاملي المصابين وقال: "أمس وصل أحد الضحايا ورأسه مقسمومة نصفين. لم يكن من الإسلاميين، بل كان ضابط شرطة. وهذا يعني شيئًا من اثنين: عندما أطلق رجال الجيش النيران كان هو في الوسط، أو عندما تبادل الإخوان معهم إطلاق النار – بعض الإخوان كانوا مسلحين بالتأكيد – قتلوا ذلك الشرطي". وأشار حامل المصابين إلى ذلك الحائط الذي تم لصق عليه أكثر من مئتي صورة للأشخاص الذين ماتوا أو

تمت معالجتهم، وقال: "هنا الناس – أصدقاء وأقارب الضحايا – يأتون للبحث عن عزيزهم المفقود. وكانوا يتفحصون الصور وغالبًا ما كنا نسمع صرخات أشخاص بائسين بالطبع كانوا قد تعرفوا على صور أحبابهم من الضحايا. كان موقفًا مفجعًا. ولم يتم حمل كل الجرحى عندنا هنا؛ فقد كان هناك مستشفيتان أخرتان تستقبلان المرضى وهما مستشفى هليوبوليس ومستشفى منشية البكري". وهكذا أنهى حديثه إلينا وألقى تحية بيده وانصرف.

وفي مسشتفى منشية البكري عند باب الدخول كانت هناك صور الضحايا. وكان الطبيب النوبتجي في آخر يومين، د. حمدي سلّام يدلي بأخبار من هذا القبيل، وكان دقيقًا فقال: "هناك ثلاثة مصابين أصيبوا بجروح من أسلحة نارية في ظهورهم، وقد تمت إصابتهم أثناء الصلاة. والموتى تم قتلهم بطلقات الرصاص. هنا تم استقبال 17 حالة منها حالتان لموتى. وهاتان الحالتان كانتا لأحد أفراد الجيش ولشاب في الـ 18 من عمره. ومعظم المرضى هنا في حالة حرجة، من الممكن أن يموتوا بين لحظة وأخرى".

ومع كل ذلك كان هناك حشد مستمر في الاعتصام المؤيد لمرسي أمام مسجد رابعة العدوية بمدينة نصر. واقترب أحد المؤيدين وقال: "اليوم نحن أصبحنا أكثر قوة؛ فشهر رمضان سيزيد من عزمنا ويُعلي من روحنا المعنوية". ثم قام برفع نبرة صوته وقال: "انظري حولك، نحن كثيرون، وكثيرون ينامون في الخيام؛ فقتل أكثر من 50 من إخواننا زادنا قوة واقتناعًا". واقترب أولئك الذين أثارهم الفضول والتفوا حولنا وبدأوا يكررون نفس الشعار كما لو كانوا في

'كورال': "نحن قبل أي شيء مسلمون وبعد ذلك مصريون. الإسلام بالنسبة لنا أهم شيء. ولن نسمح لأحد بانتهاك حقوقنا".

ثم أيضًا اقتربت بعض النساء المحجبات بشكل كامل وبقوة أردن الحديث فقلن: "لماذا بلدك غاضب منا؟ ربما لأننا مسلمون؟ لن تنجحوا أنتم أيها الغربيون في إتمام المؤامرة ضد شعبنا. لقد تم انتخاب مرسي بالديمقراطية". وتجاهلت المرأة في البداية الإجابة عن السؤال حول التحريض على العنف من جانب قادة الإخوان، فقالت: "وسائل الإعلام تقول الكذب: قالوا وكتبوا أشياء غير حقيقية. أنا لا أصدق الصحفيين". ثم هاجمت المذيع الساخر المصري باسم يوسف وقالت عنه: "إنه تابع لأمريكا، ولا يعجبنا: يسخر فقط من الإسلاميين". وهنا أخيرًا بعد لحاقها بالسؤال عن استخدام العنف في الأيام القادمة، قالت أخيرًا: "نحن لا نتسم بالعنف. ولكن، نعم: سندافع عن أنفسنا، أيضًا بالعنف إن لزم الأمر".

وعلى مسافة قريبة كانت هناك إحدى الميليشيات الإسلامية – كان معهم عصي خشبية وحديدية، وكانوا يرتدون قمصانًا واقية من الرصاص وخوذ على رؤوسهم – تمر بين الحشود. وقام أحد الواقفين بشرح الأمر فقال: "إنها ساعة تغيير طاقم حراس التأمين. إنهم أبطالنا، إنهم حماتنا؛ يقومون بحمايتنا من هجمات رجال الجيش أو رجال مبارك السابقين الذين يتآمرون ضد حكومة مرسي. نحن الآن نعاني، ولكن فلينتبه الجميع؛ لن يستمر الأمر دائمًا هكذا". وكان هذا تحذير الرجل قبل أن ينصرف.

الفهرس

كلمة شكر	5
وصولي إلى مصر	7
السياق التاريخي المصري للسنوات الثلاثة الأخيرة	11
الفصل الأول: نساء القاهرة	13
بثينة كامل: امرأة في الانتخابات الرئاسية	19
بودي جارد التحرير	22
الأخوات السلفيات	26
سما المصري: الراقصة التي تسخر من الرئيس مرسي	31
دعاء العدل: انتهاكات الإخوان في رسومات الكاريكاتير	35
نوال السعداوي: الناشطة ذات الشعر الأبيض	40
في ميدان التحرير مع سمية، الطباخة الثائرة	45
بهيرة جلال: ومحل المخبوزات المؤيد للسيسي	51
المرأة وكرة القدم	57
الفصل الثاني: الإسلاميون	61
سَلفيو النور يصرخون: "نحن شعب مصر الأصيل"	66
"نحن الإخوان المسلمون، سنسيطر على ميدان التحرير"	70
"في مصر فزنا ونريد الشريعة"	74
في مصر الموتى يصوتون ويختارون المرشح الإسلامي	77
قناة الناس: القناة التي وراء نجاح السلفيين	81
أبو إسلام: المتعصب الإسلامي	86
طارق الزمر: الأقباط وصباحي والفلول هم وراء أحداث العنف	90
مظاهرات الضباط الملتحين	94
مرسي يقسم مصر إلى نصفين	98
"فلنُعد رئيسنا ... محمد مرسي"	103
8 يوليو: حكاية أحد الناجين	107

الفصل الثالث: البروباجندا 111
الدكتور عمرو الشورى: المستشفيات العامة 117
الألتراس: لوبي حقيقي قادر على التأثير على مرسي 122
بيير: "بيتي يتسع لبحر من النشطاء والصحفيين" 126
تمرد: "سنطرد مرسي والثورة ثورتنا" 131
مشرحة زينهم بالقاهرة 136
اللاجئون الناجون من الغرق في بحار مالطة 141
أحمد: بطل فيلم "الميدان" المرشح للأوسكار 146
الفصل الرابع: مفكرون وفنانون 149
علاء الأسواني: "فاز الإسلاميون، وعلى الجيش تَقَبُّل الأمر" 154
ناعوم تشومسكي: "سوبر ستار" في القاهرة 159
محمد عبلة: مصر ورسام الثورات ولوحاته 162
أحمد المغربي: "مكان" يتحدى حظر التجول 166
بهاء طاليس: "السير في القاهرة أثناء حظر التجول" 170
نجوم المهرجانات 174
الفصل الخامس: عسكريون وسياسيون 181
"نحن، رجال الجيش، أغنياء لكن لا نريد أن يتحكم أحد فينا" 186
عمرو موسى: المعتدل الذي يتحدى الإخوان المسلمين في مصر 191
المرحلة الثانية من الانتخابات تدير ظهرها للثورة 195
أول محاكمة لمحمد مرسي 199
مَن هو السيسي؟ 203
الفصل السادس: القاهرة: بين المأساة والواقع 207
عيد الأضحى في العالم الإسلامي 212
المستشفيات العامة: إضراب الأطباء وامتيازات العسكريين 215
الأسوار العازلة بالقاهرة 219
في "الغرز" يبدأ الشغل الحقيقي 222
شهادات أطباء الإخوان: "كان القتل نية الجيش" 226